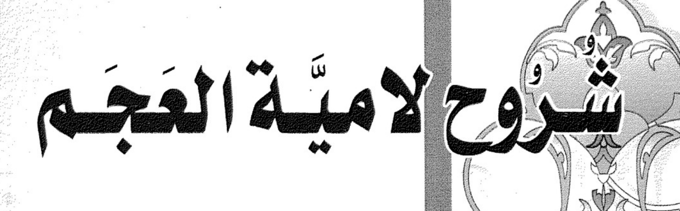


شُرُوح لاميَّة العَجَم

دراسة تحليلية نقدية

تأليف

د. إبراهيم محمد منصور

كلية الآداب - جامعة طنطا

الطبعة الثانية
(منقحة)

٢٠٠١م

دار الحضارة للطبع والنشر

شروح لامية العجم

دراسة تحليلية نقدية

تأليف

د . ابراهيم محمد منصور
كلية الآداب - جامعة طنطا

الطبعة الثانية
(منقحة)
٢٠٠١م
دار الحضارة للطبع والنشر
طنطا ☎ ٠٤٠/٣٣٥٤٠٧٤

الكتاب :

شروح لامية العجم

دراسة تحليلية نقدية

المؤلف :

د. إبراهيم محمد منصور

الطبعة الثانية

1421 هـ - 2001 م

رقم الإيداع :

٢٠٠١/٥٤٤٢

الترقيم الدولي :

977 - 326 - 080 - 1

الناشر :

دار الحضارة للطبع والنشر

طنطا ☎ ٠٤٠/٣٣٥٤٠٧٤

التنفيذ الطباعي :

البربري للطباعة الحديثة

بسيون ☎ ٠٤٠/٢٧٣٢٣٧٥

إهـــــداء...

إلي روح أستاذي

الدكتور محمد مصطفي هدَّارة

في عالم الحق والخلود

تصـــدير

هذا كتاب قديم جديد ، فهو قديم لأننى كتبته منذ نحو ثمانية أعوام ، فقد كنت تقدمت به مخطوطاً لقسم اللغة العربية ، بكلية الآداب ، جامعة طنطا . للحصول على درجة الماجستير فى الأدب ، وقد نال - والحمد لله - رضا المشرف والمناقشين جميعاً . وهو جديد لأننى عاودت النظر فيه وأقدمه للقارى مطبوعاً لأول مرة .

ولقد كنت أسأل نفسي وأنا مُقْدمٌ علي طبعه ونشره ، هل يستحق هذا الكتاب ما يبذل فيه من جهد في المراجعة والطبع والنشر ، وكنت أذكر نفسي برأيي القديم فى هذه الشروح . وفيمن يحاول إحياءها ، فقد كنت أرى في ذلك لوناً من اجترار ما مضى وكان . وأنه جدير بنا أن ننظر فيما هو أحق وأجدى . ولكني اليوم أنظر حولي وأتأمل ما آل إليه حال كثير من الأعمال النقدية أو أراها لا تخرج كثيراً عن كونها شروحاً للأعمال الأدبية المعاصرة من شعر وقصة ومسرحية ، وإذا كان الأمر كذلك ، فتلك شروح كما هذه شروح . وبذلك تصبح هذه أعمالاً نقدية ، كما أن تلك أعمال نقدية .

علي أية حال فإن هذا العمل فيه تقدير لجهد عدد ذي خطر من أعلام تراثنا الأدبيّ ، كما أنه لا يخلو من نزعة تعليمية أرجو ألا يفوت طلاب اللغة العربية الاستفادة منها .

وأخيراً فإننى على يقين من أن كل عمل قد بُذلَ فيه جهد مخلص ، لابد أن يلاقي من العناية . وأن يؤتي من الثمــار مـا يناسب هذا الجـهـد وهذا الإخلاص ؛ ولهذا أقدمت على العمل في هذا الكتاب مبتغياً الحق والصدق ، قاصداً وجهَ اللّه الذي لا يُضيعُ أجْرَ مَنْ أحسنَ عملاً .

د . إبراهيم محمد منصور

دمياط في غرة يناير ١٩٩٨ م

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

الموضوع — **رقم الصفحة**

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع **رقم الصفحة**



الفصلُ الأولُ

مقدمـــة عامـة

الفصلُ الأول
مقدمة عامة

(١)

يعلم العارفون بتراث اللغة العربية أن المادة الواقعة تحت عنوان «شرح» تحتل ركناً كبيراً فى عدد الكتب وحجمها ، أما الحكم على قيمتها ، وفرز كل مافيها من غث وسمين فذلك عمل العُصْبَة أولى العزم من الباحثين ، ذلك إذا كان ينبغى أن يُحْكم على هذه الشروح حكماً موضوعياً تفصيلياً ، وأما رصد هذه الشروح فقد قام به ، أو بشطر كبير منه المؤرخون للأدب والتراث بعامة .

ويبدو لى أن ظاهرة الشروح تمثل مرحلة لازمة فى طريق تطُور كل حضارة [١] ، وأظنني أقول بعض الحق إذا أنا زعمت أن الشطر النظرى من الحضارة الرومانية قام على الشروح التى كتبت باللغة اللاتينية على الأصول اليونانية للحضارة الإغريقية ، وكانت للحضارة الرومانية منجزاتها العسكرية والقانونية ، ثم سقطت الإمبراطورية الرومانية ، ومرت السنون ، فلما كان عصر النهضة فى أوربا كانت الشروحُ قائمةً تؤدى دورها .

وفي تلك المرحلة دعا مارتن لوثر إلى نبذ الشروح والتعليقات فقال : " إنِّني لا أمانعُ فى تعليم ماكتبه « أرسطو » فى المنطق والبلاغة والشعر ، ولا في أن توضع كتبه فى صيَغ جديدة ومختصرة لكى تعود قراءتُها بالنفع على قارئها ، وتساعد النّشء علَى إتقان فن الكلام والوعظ ، ولكن لابد من إلغاء جميع الشروح والتعليقات التى يجب أن تختفي أيضاً من كتاب

(١) من الطريف أن الشروح قد مَثّلت مرحلة البداية فى تاريخ الثقافة العربية في نيجيريا ، فقد ارتبطوا أول الأمر ببعض الكتب المتداولة وكتابة الحواشى لها قبل أن يشرعوا فى محاولات التأليف والكتابة (د. أبو بكر بلارمى : اللغة العربية فى نيجيريا . محلة الثقافة العربية - عدد ١٢ - تونس) .

البلاغة لـ «شيشرون»[١] كما يجب قراءة كتاب المنطق لأرسطو مجرداً من كل أنواع التعليقات، أو التفسيرات ، لأنها لاتعود اليوم بأية فائدة تعليمية على الخطيب أو الواعظ ، كما أنها لم تعد تفسح المجال للنقاش أو المجادلة[٢].

هذا ماقاله «مارتن لوثر» (١٤٨٣-١٥٤٦م) وهو رجل دين يحمل فكراً ثورياً ويرى فى الشروح معوقاً من هذه الناحية ، وربما لم تكن الشروح فى اللغات الأوربية أو اللغة اللاتينية زمن « مارتن لوثر » قد بلغت نهاية تطاولها وتضخمها ، ومع ذلك قال هو في حقها ما قال ، وهذا هو نفسه مادفع الباحثين المعاصرين إلي اعتبار أن عصر التخلف والتأخر هو عصر الشروح والحواشى . فقد بلغت تلك الشروح مبلغاً عظيماً من الطول والتمكن فى تاريخ الأدب العربى ، ويكفيك أن تطالع القسم الثالث من الترجمة العربية من كتاب تاريخ الأدب العربى لـ « بروكلمان » ؛ لترصد تطاول الشروح واستعلاءها على النصوص، فهذه واحدة ، أما الأخرى فهى أن فهارس المكتبات فى البلاد العربية تضم العدد الضخم من مخطوطات هذه الشروح ، بل إنّ فهارس المخطوطات فى كل من أوربا وأمريكا تظهر الحضور اللافت لمخطوطات هذه الشروح[٣] .

وهذا الرصد يؤدى إلى نتيجة هي : أن هذا العدد الكبير من الشروح كان زادَ العقول فى تلك البلدان (العربية والإسلامية) في عصور ممتدة فهي ؛ لهذا صورة مهمة جداً من صور الإنتاج الذهنى للأمة العربية ، فالكتاب إذا كان له

---

(١) ماركوس توليوس شيشرون M. T. Cicero (١٠٦ - ٤٣ ق. م.) خطيب وسياسى رومانى ، شهير .

(٢) انظر مجلة « رسالة اليونسكو » العدد ٢٦٩ - الطبعة العربية - القاهرة - مقال بقلم نويل بيريز

(٣) حاولت أن ألفت النظر الظاهرة بعامة فى مقدمة الكتاب ، فمن ذلك شروح فى مكتبة جامعة ييل بالولايات المتحدة ومكتبات أوربا جميعها ، ومكتبات العراق ومصر ، وكل البلدان العربية ، انظر (مجلة المورد عدد ٢ مج ١٠ . محنة معهد المخطوطات العربية - الكويت مع ٢٧ ديسمبر ١٩٨٣ ، على سبيل المثال لا الحصر) .

كاتب فله قارئ ، ووجود الكتاب فى مكتبة ما له دلالة ، فإذا وجد الكتاب فى كل المكتبات أو أكثرها فما أكثر دلالات ذلك .

(٢)

لعَلّي قدمت فيما سبق داعياً دعاني لاختيار هذا البحث أن يكون موضوعه « شروح لامية العجم ، دراسة تحليلية نقدية » أما الدراسة التحليلية لتلك الشروح فهي ماتمثلة فصول الكتاب التالية ، وأما اللاّميَّة فهى قصيدة الحُسَين بن عليّ الأصْبَهَاني المعروف « بالطُّغْرَائي » نسبة إلى مهنته « الطُّغْرَاء » وتعنى الكتابة الديوانية ، وأصلها الطُرَّة التى تُكتب في أعلى الصفحة تقريظاً للحاكم الذي تصدر الرسالة باسمه ، وهو - أى الطُّغْرَائي - عربي لا أثر للعجمة فيه وقد عاش بين سنتى ٤٥٣ و ٥١٥ هـ ، وكتب قصيدته سنة ٥٠٥ هـ ولا علاقة للقصيدة بالعَجَم ، وإنما هو اسم لحق القصيدة في عصر تال ، ولابد أن يكون القارئ مستعداً لقراءة حيثيات الحكم فى هذه القضية ، ولكنّى أكتفى بالإحالة على ما كتبه الدكتور على جواد الطاهر فى كتابه « الطُّغْرَائي . . حياته شعره ، ولاميّته » فقد حقق الأمر وفصّله [١] ولما كانت محاولة الدكتور على جواد الطاهر لتصحيح التسمية قد ذهبت أدراج الرياح من حيث دأب الناس إلى اليوم على استعمال الاسم القديم المتداول، فقد ذكرنا نفس التسمية فى عنوان الكتاب جرياً على العرف الغالب .

بل وجدت قصيدة « لاميَّة العجم » لنفسها مكاناً بين أعظم الآثار الشعرية العربية القديمة ، فترجمها المستشرقون ، ومن هذه الترجمات ترجمة المستشرق الإنجليزى « رِدْهاوس J.W. Redhouse » ، وقد نشرها تحت عنوان THE L POEM OF THE FOREIGNER أي « القصيدة اللامية للشاعر الأجنبى »[٢] . وواضح أنه توَهم أن الطغرائي أعجميّ عاش بين العرب أجنبياً .

---

(١) انظر الكتاب المذكور . بغداد ١٩٦٥ م . ص ص ١١١ - ١١٥ .

(٢) راجع J. D. Carlyle ; Specimens of Arabian Poetry, Cambridge, 2.ed London, 1840

وللقصيدة مكان فى التراث العربى ، واضح من كثرة شروحها ، وحضورها فى العصر الحديث ملحوظ كذلك فى كتب الاختيار ، فهى فى مختارات البارودى ، وغيره من أصحاب المختارات ، ومايزال صداها متردداً فى كتب الاختيار إلى اليوم [١] .

(٢)

وفى السنوات الأخيرة ظهرت فى الجامعات المصرية طائفة كبيرة من رسائل الماجستير والكتوراه تتناول موضوع الشروح من نواح كثيرة ، منها : شروح الشعر الجاهلي ، وشروح المعلقات ، وشروح ديوان الحماسة ، وشروح «سقط الزند» وغيرها ، كما رصدت تلك الدراسات بعض الظواهر في التأليف العربي منها تأثير قصيدة في التراث العربي كله[٢] ولقد كانت هذه الدراسات تمثل بعض مراجع هذا الكتاب وإن لم يُفِدْ منها فائدة مباشرة .

أما المراجع التي اعتمدتُ عليها فهي كثيرة متنوعة منها القديم والحديث في تاريخ الأدب وفي النحو والصرف والبلاغة والنقد الأدبي .

وأما المصادر الأصلية للكتاب فقد كانت الشروح نفسها هى مادة هذه المصادر المباشرة ، وهذه الشروح متعددة ، وقد ذُكرَت فى كتب كثيرة وفى فهارس مكتبات كثيرة حاولت ما استطعت أن أعرفَها ، وقد تبين من مطالعة هذه الكتب والفهارس مايلى :

أولا : ذكر حاجي خليفة في كشف الظنون هذه الشروح كما يلي :

(لاميَّةُ العَجَم) لمؤيد الدين أبى إسماعيل الحسين بن على فخر الكُتَّاب العميد الطغرائى المتوفي سنة ٥١٤ هـ ، نظمها سنة ٥٠٥ هـ في وصف حاله

---

(١) من ذلك : قصائد لاتموت لمحمد إبراهيم أبو سنه ، كما اختارها الدكتور حسن عباس في مجلة العربي الكويتيه في باب معروف بعنوان هكذا غنّى الأباء ، وغير ذلك .

(٢) كتب الدكتور محمد السيد إبراهيم رساله دكتوراه بعنوان : قصيدة بانت سعاد لكعب ابن زهير وأثرها في التراث العربي ، بإشراف أستاذنا الدكتور هدّارة ونشرت في المكتب الإسلامي بدمشق ١٩٨٦م .

وشكاية زمانه واعتنى بها الأدباء (فشرحها) صلاح الدين خليل ابن أيْبَك الصَّفَدي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ وسماه «الغَيْثُ المُسْجَم فى شَرْح لاميَّة العَجَم» وعليه حاشية لعبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسى المتوفى سنة ٩٦٣هـ (واختصره) كمال الدين محمد بن موسى الدّميري المتوفى سنة ٧٣٩هـ (وشرحها) أيضا أبو البقاء عبد الله بن الحسين العُكبَري المتوفى سنة ٦١٦ هـ ، والأديب بدر الدين محمد بن أبى بكر بن عمر المالكى الدَّمَاميني له رد على شرح الصَّفَدي سماه نزول الغيث . . لما ارتحل إلى مصر سنة ٧٩٤ هـ ، وشرحها (ابن جمعة) النَّحْوي وسماه إيضاح المُبْهَم والمُعْجَم في شرح لامية العَجَم ، وشرحها (جمال الدين محمد بن عمر بن مبارك الحضرمي) المتوفى في سنة ٩٣٠ هـ وسماه نَشْرُ العَلَم فى شرح لاميَّة العَجَم (وحسين الكفوي) جَمَعَهُ من الشروح كشرح الصَّفَدي ، والقاضى (جلال الدين المدني) وجلال الدين بن خَضر الحنفي الذى أَلَّفَه بالقسطنطينية سنة ٩٦٢ هـ [١] .

ومما وقع لصاحب كشف الظنون من السهو والخطأ فى هذا أنه عَدّ شرح الصَّفَدي مجموعاً من الشروح وهذا مناف للحقيقة ، كما دعا صاحب الشرح المعروف بإيضاح المبهم ابن جماعة ، والصَّحيح أنه أبو جمعة وسيأتي .

ثانيا : ذكر في الذَّيْل على كشف الظنون مايلى :

١ - شرح لعبد القادر بن محمد بن محمد الفيُّومي المصري ، المسمّى بقَطْر الغَيْث

٢ - شرح تقى الدين بن حِجَّة الحَمَوى سمَّاه « بروق الغَيْث الذى انْسَجم في شرح لامية العجم » .

٣ - شرح لزين العابدين زكريا الأنصاري السنيكي المتوفى سنة ١٠٦٨هـ [٢]

---

(١) كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، جـ ٢ باب اللام . ط . دار العلوم الحديثة ، بيروت ، ١٩٨٢ م .

(٢) الذيل على كشف الظنون ، المعروف بإيضاح المكنون (لإسماعيل باشا بن محمد سليم) جـ٤ ، باب اللام ، نفس الطبعة والتاريخ .

ثالثا : تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان :

ذكر الشروح نفسها التي ذكرت في كشف الظنون والذيل عليه ، ولكنه حدد أماكن النسخ المختلفة منها ، ثم زاد عليه مايلي :

أ - شرح يوسف المالكي ، ألفه حوالي سنة ٧٥٠ هـ .

ب - مختصر لشرح الصفدي بعنوان « غيث الأدب » لمجهول .

جـ - مختصر من مختصر الدّميري ، لمحمد بن الخليل الكازروني .

د - مختصر آخر منه لجلال الدين محمد بن أحمد المصري المحَلّي (ت٨٦٤هـ)

هـ - مختصر لمجهول .

و - شرح محمد بن أحمد المحَلّي (ت ٨٥٤ هـ) .

ح - شرح عبد اللطيف بن عبد الرحمن النزيلي اليمني (١٠١٨ هـ) .

ط - شرح عبد الرحمن الشافعي العلواني الطّبيب بعنوان : «الغيث المنسجم» وهو مطبوع على هامش كتاب نفحة الأزهار لعبد الغني النابلسى في بولاق سنة ١٢٩٩ هـ ولم يذكر بروكلمان أنه مختصر لشرح الصَّفَدى ، وقد اطَّلَعْتُ عليه فى مكتبة جامعة القاهرة ، ووجدت أنه تلخيص صغير لشرح الصَّفَدى .

ك - شرح عبد الرحمن الحَلَوانى بعنوان « قطر الغيث » .

ل - شرح باللغة التركية لليبب أفندى طبع في استانبول (١٢٧١ هـ) .

م - شرح مجهول .

ن - شرح لأيُّوب بن موسى الكَفَوي .

س - تحفة الرَّائي للامية الطغرائي ، لمحمد علي المنياوي .

ثم ذكر أعمالا أخرى حول اللامية منها التصدير والتعجيز والتذييل والمعارضة والتشطير ، والتخميس (بلغت اثني عشر عملا) [١] .

---

(١) انظر : تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب ، دار المعارف القاهرة ، جـ ٥ ص ٥ - ١٣ .

رابعاً : ذكر الدكتور " علي جواد الطاهر " فى كتابه عن الطغرائى أربعة عشر شرحاً نقلا عن كشف الظنون وبروكلمان [1].

خامساً : اطلعت على شرحين مطبوعين لم يرد لهما ذكر فيما مضى وهما :

- شرح إبراهيم سند .
- شرح الشلفون ، وسيرد ذكرهما في الفصل الثاني .

ولم يكن فى استطاعتى أن أستخدم هذا الحشد الهائل والركام الكثير من الشروح والأعمال حول اللامية لأسباب أهمها :

١ - كثرة العدد .

٢ - تكرار الشروح بين جمع وتلخيص .

٣ - ليس كل شرح له من القيمة ما يضطرنا للبحث عنه أو التعلق بأمل الحصول عليه بعد شهور وجهود .

وبرغم كل ذلك فقد بذلت مافي وسعي واستطعت أن أحصل على أكثر هذه الشروح أهمية ، وقد مثلت الشروح التى اعتمدت عليها كل لون من الشروح (شرح : تلخيص ، نقد لشروح ونحوها) كما مثلت جميع طوائف الشراح (النحوى ، والفقيه ، والأديب) كما مثلت جميع العصور (أوّل شرح وآخر شرح مثلاً) بل مثلت القرون من السابع إلى الثالث عشر الهجري

وفيما يلى نص اللامية كما ورد فى كتاب « الطغْرائي : حياته وشعره ولاميته » للدكتور على جواد الطاهر ، مع ذكر اختلاف بعض الروايات فى الهامش :

---

(١) انظر : الطغرائي ، لعلي جواد الطاهر ، بغداد ص ١١٧ - ١٢٢ .

١ - أَصَالةُ الرَّأْي صَانَتْني عَن الخَطَلِ
وحِلْيَةُ الفَضْلِ زَانَتْني لَدَى العَطَلِ

٢ - مَجدِي أَخِيراً ومَجدِي أوّلاً شَرَعٌ
والشَّمْسُ رَأْدَ الضُّحَى كَالشَّمْسِ في الطَّفَلِ

٣ - فِيمَ الإِقَامَةُ بالزَّوْراء لا سَكَني
بِهَا وَلانَاقَتي فِيها وَلا جَمَلِي

٤ - نَاءٍ عَنِ الأَهْلِ صِفْرُ الكَفِّ مُنْفَرِدٌ
كَالسَّيْفِ عُرِّيَ مَتْنَاهُ عَنِ الخِلَلِ

٥ - فَلا صَدِيقَ إِليهِ مُشْتَكى حَزَني
وَلا أَنِيسَ إِلَيْهِ مُنْتَهى جَذَلي

٦ - طَالَ اغْتِرابِي حَتَّى حَنَّ رَاحِلَتي
ورَحْلُها وقَرَى العَسَّالَةِ الذُّبُلِ

٧ - وَضَجَّ مِنْ لغَبٍ نِضْوِي وعَجَّ لِمَا
يَلقَى رِكابِي ولَجَّ الرَّكْبُ فِي عَذَلِي

٨ - أُرِيدُ بَسْطَةَ كَفٍّ أَسْتَعِينُ بِهَا
عَلَى قَضَاءِ حُقُوقٍ للعُلَى قِبَلِي

٩ - والدَّهْرُ يعكِسُ آمالِي ويُقْنِعُنِي
مِنَ الغَنِيمَةِ بَعْدَ الكَدِّ بالقَفَلِ

١٠ - وَذِي شَطَاطٍ كَصَدْرِ الرُّمحِ مُعْتَقِلٍ
بمِثْلِهِ غَيْرُ هَيَّابٍ ولا وَكِلِ

١١ - حُلوُ الفُكَاهَةِ مُرُّ الجِدِّ قَدْ مُزِجَتْ
بِقَسْوَةِ البَأْسِ مِنهُ رِقَّةُ الغَزَلِ

١٢ - طَرَدْتُ سَرْحَ الكَرَى عَنْ وِرْدِ مُقْلَتِهِ
واللَّيلُ أَغْرَى سَوَامَ النَّوْمِ بِالمُقَلِ

١٣- والرَّكْبُ مِيلٌ عَلى الأَكْوارِ مِنْ طَرَبٍ
صَاحٍ وآخَرُ مِنْ خَمْرِ الكَرَى ثَمِلِ

١٤- فَقُلْتُ أَدْعُوكَ لِلجُلَّى لِتَنْصُرَنِى
وأَنْتَ تَخْذُلُنِى فى الحَادِثِ الجَلَلِ

١٥- تَنَامُ عَنِّى وعَيْنُ النَّجْمِ سَاهِرَةٌ
وتَسْتَحِيلُ وَصِبْغُ اللَّيْلِ لَمْ يَحُلِ

١٦- فَهَلْ تُعِينُ عَلى غَىٍّ هَمَمْتُ بِهِ
والغَىُّ يَزْجُرُ أَحْيَانًا عَنِ الفَشَلِ

١٧- إِنِّى أُرِيدُ طُرُوقَ الحَىِّ مِنْ إِضَمٍ
وَقَدْ حَمَاهُ رُمَاةُ الحَىِّ مِنْ ثُعَلِ

١٨- يَحْمُونَ بالبِيضِ والسُّمْرِ اللِّدَانِ بِهِ
سُودَ الغَدَائِرِ حُمْرَ الحَلْىِ والحُلَلِ

١٩- فَسِرْ بِنَا فِى ذِمَامِ اللَّيْلِ مُعْتَسِفًا
فَنَفْحَةُ الطِّيبِ تَهْدِينَا إِلى الحِلَلِ

٢٠- فَالحِبُّ حَيْثُ العِدَا والأُسْدُ رَابِضَةٌ
حَوْلَ الكِنَاسِ لَهَا غَابٌ مِنَ الأَسَلِ

٢١- نَؤُمُّ نَاشِئَةً بِالجِزْعِ قَدْ سُقِيَتْ
نِصَالُهَا بِمِيَاهِ الغُنْجِ وَالكَحَلِ

٢٢- قَدْ زَادَ طِيبَ أَحَادِيثِ الكِرَامِ بِهَا
مَا بِالكَرَائِمِ مِنْ جُبْنٍ وَمِنْ بُخُلِ

٢٣- تَبِيتُ نَارُ الهَوَى مِنْهُنَّ فِي كَبِدٍ
حَرَّي وَنَارُ القِرَى مِنْهُمْ عَلى القُلَلِ

٢٤- يَقْتُلن أَنضَاءَ حُبٍّ لاحَرَاكَ بِهَا
وَيَنْحَرُونَ كِرَامَ الخَيْلِ والإِبِلِ

٢٥- يُشْفَى لَدِيغُ العَوَالِي فِي بُيُوتِهُمُ
بِنَهْلَةٍ مِنْ غَدِيرِ الخَمْرِ وَالعَسَلِ

٢٦- لَعَلَّ إِلمَامَةً بالجِزْعِ ثَانِيَةً
يَدِبُّ مِنْهَا نَسِيمُ البُرْءِ فى عِلَلِ

٢٧- لا أَكْرَهُ الطَّعْنَةَ النَّجْلاَءَ قَدْ شُفِعَتْ
برِشْقَةٍ مِنْ نِبَالِ الأَعْيُنِ النُّجُلِ

٢٨- ولا أَهَابُ الصِّفَاحَ البِيضَ تُسْعِدُنى
باللَّمْحِ مِنْ خَلَلِ الأَسْتَارِ والكِلَلِ

٢٩- ولا أُخِلُّ بِغِزْلان أُغازِلُهَا
وَلَوْ دَهَتْنِى أُسُودُ الغِيلِ بالغِيَلِ

٣٠- حُبُّ السَّلامَةِ يَثْنِى هَمَّ صَاحِبِهِ
عَنِ المَعَالى ويُغْرِى المَرْءَ بِالكَسَلِ

٣١- فَإِنْ جَنَحْتَ إِلَيهِ فاتَّخِذْ نَفَقاً
فى الأرْضِ اوْ سُلَّماً فى الجوِّ فَاعْتَزِلِ

٣٢- وَدَعْ غِمَارَ العُلَى للمُقْدِمِينَ عَلَى
رُكُوبِهَا واقْتَنِعْ مِنْهُنَّ بِالبَلَلِ

٣٣- رِضَى الذَّلِيلِ بِخَفْضِ العَيْشِ مَسْكَنَةٌ
والعِزُّ عِنْدَ رَسِيمِ الأَيْنُقِ الذُّلُلِ

٣٤- فَادْرَأْ بِهَا فِى نحور البِيدِ جَافِلَةً
مُعَارِضَاتٍ مَثَانِى اللُّجْمِ بِالجُدُلِ

٣٥- إنَّ العُلى حَدَّثَتنى - وَهْىَ صَادِقَةٌ -
فيمَا تُحَدِّثُ، أنَّ[1] العِزَّ فِى النُّقَلِ

٣٦- لَو أنَّ فِى شَرَفِ المَأوَى بُلُوغَ مُنًى
لَمْ تَبْرَحِ الشَّمْسُ يَوْماً دارَةَ الحَمَلِ

٣٧- أَهَبْتُ بِالحَظِّ لَوْ نَادَيْتُ مُسْتَمِعاً
والحَظُّ عَنِّىَ بالجُهَّالِ فِى شُغُلِ

٣٨- لَعلَّهُ إنْ بَدَا فَضْلِى وَنَقْصُهُمُ
لِعَيْنِهِ نَامَ عَنْهُمْ أوْ تَنَبَّهَ لِى .

٣٩- أُعَلِّلُ النَّفْسَ بالآمَالِ أرْقُبُهَا
مَا أَضْيَقَ العَيْشَ لَوْلا فُسْحَةُ الأمَلِ .

٤٠- لَمْ أرْتَضِ العَيْشَ والأيَّامُ مُقْبِلَةٌ
فَكَيْفَ أرْضَى وَقَدْ وَلَّتْ عَلَى عَجَلِ .

٤١- غَالَى بِنَفْسِىَ عِرْفَانِى بِقِيمَتِهَا
فَصُنْتُهَا عَنْ رَخِيصِ القَدْرِ[2] مُبْتَذَلِ

٤٢- وَعَادَةُ النَّصْلِ[3] أنْ يُزْهَى بِجَوْهَرِه
وَلَيْسَ يَعْمَلُ إلاَّ فِى يَدَىْ بَطَلِ .

٤٣- مَا كُنْتُ أُوثِرُ أنْ يَمْتَدَّ بِى زَمَنِى
حَتَّى أرَى دَوْلَةَ الأوْغَادِ والسَّفَلِ .

٤٤- تَقَدَّمَتْنِى أُنَاسٌ كَانَ شَوْطُهُمُ
وَرَاءَ خَطْوِىَ إذْ أمْشِى عَلَى مَهَلِ

(١) في الغيث : إنّ : وقال هي محكيه أي أن الكسر فيها واجب .
(٢) في مختارات البارودي : رخيص الفول .
(٣) في تحفة الراني : وعادة السيف .

٤٥- هذا جَـزاءُ امـرِئٍ أقرانُـهُ درَجُـوا
مِـنْ قَبْلِـهِ فتَمنَّـى فُسْحَـةَ الأجَـلِ .

٤٦- وإنْ عَـلانِىَ مَنْ دُونِى فَلا عَجَـبٌ لِـى
أُسْوَةٌ بانحطَاطِ الشَّمـسِ عَـنْ زُحَـلِ .

٤٧- فَاصْـبِرْ لهَا غَيرَ مُحْتَـالٍ ولَا ضَجِـرٍ
فِى حَـادثِ الدَّهْـرِ مَايُغْنِى عَنِ الحِيَلِ

٤٨- أعْدَى عَدُوِّكَ أدْنَـى مَـنْ وثِقْـتَ بـهِ
فَحَـاذِرِ النَّـاسَ وَاصْـحَبْهُم عَلي دَخَلِ

٤٩- وإنَّمـا رَجُـلُ الدُّنيَـا ووَاحِدُهَـا
مَنْ لا يُعَـوِّلُ فـى الدُّنيَـا عَلي رَجُـلِ

٥٠- وحُـسْنُ ظَنِّـكَ بالأَيـامِ مَعْجَـزَةٌ
فَظُنَّ شَـراً وكُـنْ منهَـا عَلـى وَجَـلِ

٥١- غَاضَ الوَفَـاءُ وفَاضَ الغَـدْرُ وانفَرَجَتْ
مَسَـافَةُ الخُلْـفِ بيْـنَ القَـوْلِ والعَمَـلِ

٥٢- وشَانَ صِدْقَـكَ عِـنْدَ النَّاسِ كِذْبُهُـمُ
وَهَـلْ يُطَابَـقُ مُعْـوَجٌ بِمُعْتَـدِلِ .

٥٣- إنْ كَـانَ يَنْجَـعُ شَـئٌ فى ثَبَاتِهِـمُ
عَلَـى العُهُـودِ فَسَـبْقُ السَّيفِ للعَذَلِ

٥٤- يَاوَارِدًا سُـؤْرَ عَيْـشٍ كُـلُّهُ كَـدَرٌ
أنْفَقْـتَ صَـفْوَكَ (١) فِى أيَامِكَ الأُوَلِ .

٥٥- فِيمَ اقْتِحَامُكَ لُـجَّ البَحْـرِ تَركَبُـهُ
وأنْـتَ تَكْفِيـكَ مِنْـهُ مَصَّـةُ الوَشَـلِ

---

(١) فى مختارات البارودى ، والديوان (ط . الجوائب) أنفقت عمرك .

٥٦- مُلْكُ القَنَاعَــةِ لا يُخشَــى عليــه ولا
يُحتــاجُ فيــه إلى الأنصَــارِ والخَــوَلِ
٥٧- تَرْجُــو البَقَــاءَ بِــدَارٍ لاثَبَاتَ لَهَــا
فَهَــلْ سَمِــعْتَ بِظِــلٍّ غَيْــرِ مُنْتَقِــلِ
٥٨- ويا خَبيراً عَلى الأســـرَارِ مُطَلِــعَــاً
أَصْمُتْ[1] فَفِى الصَّمْتِ مَنْجَاةٌ مِنَ الزَّلَلِ
٥٩- قَــدْ رَشَّحُوكَ لأمــرٍ لَوْ فَطِــنْتَ لَــهُ
فَارْبَأْ بِنَفْســـكَ أَنْ تَرْعَــى مَعَ الهَمَــلِ .

ولم أعوّل كثيراً على اختلاف الرِّوايات فى القصيدة ، إلا ما كان من خلاف حول رواية الفتح والكسر فى همزة أن فى قول الشاعر :

٣٥- إنَّ العُلى حَدَّثتنى - وَهْىَ صَادِقَةٌ - فِيمَا تُحدِّثُ ، أَنَّ العِزَّ فِى النُّقَلِ

وذلك مذكور فى موضعه من البحث .

كذلك ماكان من انفراد أبى جُمْعة برواية البيت :

١٢- طَرَدْتُ سَرْحَ الكَرَى عَن ورْدِ مُقْلَتِه والليلُ أغْرَى سَوَامَ النَّومِ بالمقَلِ

فقد روى كلمة (ورْد) وَرْد وبنى عليها حكماً وتفسيراً آخر للبيت وبينه هناك .

(١) فى مختارات البارودى : أصْمتْ ، وفى الديوان أنْصِتْ .

الفصل الثانى

شـــروح اللاميـــة

الفصل الثانى

شـــروح اللاميـــة

(١)

جاء في ديوان الطُّغْرَائي : « وقال يذكر حاله ويصف نفسه وهو ببغداد سنة ٥٠٥ هـ » :

أَصَـالةُ الرَّأي صَـانتْنِي عَـن الخَطَـلِ

وحِـلْيَةُ الفضْـلِ زانتْنِي لدَى العَـطَلِ [١]

وهذه القصيدة اللامية عدتها تسعة وخمسون بيتاً ، وهي التي عرفت بلامية العجم فيما بعد ، وهي معروفة بهذا الاسم المتحل إلى اليوم .

وكان الطُّغْرَائى قد أقبل بشعره على الرؤساء فحاز القبول فى دولة السَّلاجقَة . [٢] وعُيِّن كاتباً للإنشاء ثم اتصل بالوزير نظام المُلْك . . وتكونُ علاقته بالسلاجقة هي محور حياته وشعره حيث قدم مدائحه وتعلق بالمناصب فى ظل دولتهم ، ثم لَمْ يَدُمْ له عزُّهُ هذا ، فقد بدأ المناوئون يسعون به واشتدت عليه السِّعَايات . وفى نفس هذه السنة عُزِلَ وعلاه من دونه وتَنَكَّر له أصدقاؤه ، وثقلت عليه الإقامة ببغداد ، فنظم قصيدتين هما من خير ما قال من شعر ، الأولى هي هذه اللامية ، والثانية بائية مطلعها :

أَهَابَ بِهِ دَاعِي الـهَوَى فَأَجَـابَا وَعَاوَدَهُ نُكْسُ الصِّـبَا فَتَصَـابَا

---

(١) ديوان الطغرائي . الطبعة الأولى ، مطبعة الجوائب ، القسطنطينية سنة ١٣٠٠ هـ ، ص ١٤٣ وما بعدها

(٢) حول ترجمة الطغرائي وعلاقته بالسلاجقة انظر :

١ - الطغرائى : للدكتور على جواد الطاهر ، ص ٢٢ - ٤٠ .

٢ - الدكتور شوقى ضيف : عصر الدول والإمارات (جـ٥) ص ٥٨٢ ومابعدها .

٣ - معجم الأدباء جـ ١٠ ص ٥٦ - ٧٦ ،

٤ - ديوان الطغرائى ،

٥ - الغيث المسجم جـ١ ص ٩ ومابعدها .

ولم يكن الطغرائى ممن ينأى بنفسه عن المناصب ، بل كان حريصًا عليها محبًا لها ، ويبدو أن عزله فى هذه المرة كان بسبب مؤامرة حيكت ضده فهاجت نفسه ، وانفجر بالشكاية ، وعبر عن ذلك في القصيدتين المذكورتين ، وكانت اللامية هي الثانية فى ترتيب النظم - كما أرَجِّح - فهي أشبه بشعره المتقن المصنوع ، وكان هذا من عوامل شهرتها وذيوعها .

أما البائية فقد جاءت رداً مُباشراً وصريحا على المنافسين المتآمرين كما نلمس فى قوله - منها :

مَللتُ ثَوائِيَ بالعِـراقِ ومَلَّـنِي رِفَاقِي وكَانُوا بالعِرَاق طِرَابَا

وفى القصيدة هجاء لشخص اسمه « زُرَيْق » ، يبدو أنه كان على حظٍّ من نفوذ :

أليْـسَ زُرَيْـقٌ لَمْ يَخَـفْ أنْ أمضَّـهُ
عِتَاباً ، وهَـلْ يَخْشَـى اللئِـيمُ عِتَـابَا ؟!
تَصَـامَمَ عَنِّي ، أوْ تَعـامَى ، ولَـمْ يَخَفْ
سِـهَاماً مِنَ العَتْـبِ المُمِـضِّ صِـوَابَا

فهذا التوجه المباشر بالذمّ هو أثر الصدمة المباشرة على الشاعر ، ولا نجد مثل ذلك فى اللامية ، إذ يعتمد الشاعر فيها طريقَ التعميم لا التخصيص ولا نجد فيها ذكراً لأسماء أو وقائع قَطُّ .

فلما هدأت العاصفة ، اعتنى الشاعر بقصيدته الثانية ، يصور فيها محنته فخرجت للناس متقنةً كأحسن مايكون الاتقان في شعر ذلك الزمان ، فكان حظها كما وجدنا من العناية ، فسار بذكرها الركْبان ، وحفظتها الصُّدُور ، وشرحتها الأقلام على مدى القرون إلى العصر الحاضر .

(٢)

(أ) ويتبين من استقصاء الشروح - المذكورة فى الفصل الأول - أن أول من أقدم على شرح اللامية هو (محب الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين العُكْبَري الحنبلي)[١] ولد فى بغداد سنة ٥٣٨ هـ . . وهو من أكبر اللغويين فى عصره وقد توفي في سنة ٦١٦ هـ ، وله كتاب «التبيان في إعراب القرآن» ، وكثير من المصنفات فى اللغة والنحو وشروح الشعر ، منها شرح لامية العرب للشَّنْفَرَى [٢] . وقد ذكر شرح العُكْبَري للامية العجم كل من : صاحب كشف الظنون ، وبروكلمان ، وناشر شرحه للامية الشنفرى ، وقد حصلت على نسخة مصورة من مخطوط هذا الشرح المحفوظ بمكتبه أوقاف الموصل [٣] وهو شرح مختصر يُعنى باللغة والنَّحو على وجه الخصوص ، وشرحه خال من المقدمات والاستطراد .

(ب) ثم شرحها (عليّ بن قاسم الطَّبَرى) [٤] وذكر هذا الشرح حاجي خليفة ، وبروكلمان . قال في كشف الظَنون «وشرحها على بن قاسم الطبري المتوفى فى حدود سنة ٦٨٣ هـ وسماه حَلّ المُبْهَم والمُعْجَم فى شرح لامية العَجَم وقد اعتمدت على نسخة مصورة من الأصل المحفوظ فى مكتبة المعهد الدينى بدمياط [٥] . وهو شرح أكبر من شرح العُكْبَري إذ

---

(١) انظر : ١- المدارس النحوية للدكتور شوقى ضيف ص ٢٧٩-٢٨٠ وقد عدّه من النحاة البغداديين ٢- بروكلمان . الترجمة العربية جـ ٥ ص ١٧٤-١٧٦ ، والعُكْبَرى نسبة إلى بلدة قرب بغداد هي «عُكْبَرَا» .

(٢) نشرها محمد أديب جمران بعنوان «إعراب لامية الشنفرى» المكتب الإسلامى ، بيروت ١٩٨٤م

(٣) نسخة مصورة من مخطوط شرح العكبرى للامية العجم ، ويقع هذا الشرح فى ١٧ ورقة تاريخ نسخه سنة ١٢٠٥ هـ .

(٤) نقل صاحب معجم المؤلفين كلام حاجى خليفة فى كشف الظنون ولم يزد عليه ، أما كتاب «الأعلام» فليس به ترجمة له ، انظر كشف الظنون حرف اللام ، ومعجم المؤلفين جـ ٧ ص ١٦٨ .

(٥) نسخة مخطوطة بمكتبة المعهد الدينى بدمياط برقم / ٨٢ أدب . وتقع فى ٧٠ صفحة .

يعادل مثليه تقريبًا وقال في وصف القصيدة « . . فأقبل عليها المشتغلون ، وتولع بها المتولعون ، ومع ذلك لم نسمع أنه شرحها أحد ، وتصدى لبلوغ هذا الأمد » .[١]

ثم قدم لشرحه بقوله :

« التمس منّي بعضُ أصحابي أنْ أشرحها شرحاً وافياً لا طويلاً مملاً ، ولا قصيراً مخلاً ، بحيث إذا رأيتُ موضعاً يصلح أن يُتكلّم عليه في الإعراب نبهت وأشرت إليه بتوفيق ملهم الخير والصواب . . . وإن لم يكن يحضر في وقت التعليق كتاب أرجع إليه ، أو شرح أعتمد عليه أو قلب أتقوّى به» .[٢]

ويلاحظ أنه أول من ربط بينها وبين لامية العرب من الشراح جريا على الشائع من وصفها بلامية العجم فقال :

« وحتى رجّحوها على أختها التي للشّنْفَرى المشتهرة بلامية العرب »[٣]

ولعل هذا الشرح أن يكون من أحسن الشروح من حيث إحاطته بجوانب القصيدة دون إملال ولا تطويل ، وإن خرج من إعرابها إلى بعض المسائل النحوية كحديثه علىّ « لا المشبّهة بليس » والفرق بين إنّ المكسورة وأنّ المفتوحة ، وهو مع ذلك لا يطيل ولا يملّ في الجملة ، ويبدو أن هذا الشرح لم يشتهر ، ولم يُعرف كما لم يشتهر صاحبه ولم يعرف ، وإن بقيت نسخة من هذا الشرح - وربما نسخ كثيرة - حتى وصلت إلينا وكأنها الأثرَ الوحيدَ له .

---

(١) حل المبهم والمعجم ص ١ / ظ .
(٢) حل المبهم والمعجم ص ١/ ظ ، ٢/ و
(٣) المصدر السابق ص ١ / ظ

(٣)

(جـ) فلما كان القرن الثامن الهجرى أقدم صلاحُ الدّين خَليل بن أَيْبَك الصَّفَدي[١] (٦٩٦-٧٦٤ هـ) المولود فى صَفَد بفلسطين - وإليها نسبته - علَى شرح اللامية فأتم ذلك الشرح فى حدود العقد الرابع من القرن الثامن - كما أرجّح - فقد ذكر فى أثناء شرحه بعض كتبه التى ألفها فى النحو والبلاغة والنقد ، كما ذكر تاريخ بعض الحوادث تبدأ من ٧٢٧ هـ وما بعدها ويقع هذا الشرح فى مجلدين كبيرين .

وبعد شرح الصفدى المسمّى الغَيْث المُسْجَم في شَرْح لاميَّة العجم » أهم شروح اللامية كلها من حيث استيعابه لما دار حول القصيدة والشاعر من مباحث اللغة والنحو والبلاغة والنقد . . الخ .

وقد أشار هو إلى هذا التنوع والشمول فى مقدمته فقال :

« وقد أحببت أن أضع عليها شرحاً يزيد جيدَهَا فرائداً ، وقصيدتها فوائداً، مما سمعت فوعيت وجمعت فأوعيت ، ولا أغادر فيها لغةً ولا إعرابا ، ولا إيضاح معنىً ولا إغرابا، ولا ما يضمه إليها سلك ، أو يدخل معها جرابا إلا نبهت عليه وأشرت - بحسب الإمكان - إليه ، هذا إلى مايستطرد إليه الكلام من نكتة ، وتعترض جملة ذكره بغتة ، ويبديه الضمير على لسان القلم . . . ليَكون هذا الشرح أنموذج الأدب ، وعنواناً يدل على الفضيلة التي امتاز بها لسان العرب »[٢] .

فهو يريد كتابه نموذجًا لكتب الأدب لا مجرد شرح وبيان للقصيدة ، التى تعد قنطرة يمر عليها إلى مايريد أو مطية يركبها إلى غرضه ، أى تلفيق

---

(١) ترجمته فى الدُّرَر الكامنة ، الطبعة الثانية جـ ٢ ، ص ١٧٦ . وما بعدها (٢) الأعلام جـ٢ص٣١٦ .

(٢) الغيث المسجم جـ١ ص٢ (كلما أهملت ذكر طبعة كتاب الغيث فهى طبعة الاسكندرية ، المطبعة الوطنية ١٢٩٠ هـ .)

مايعن له من مباحث اللغة والنحو وغيرها فهو يقول :

« فلهذا لاتجدني في هذا الشرح واقفاً مع ضيق المقام ، ولا فاراً من مَشْق القواضب ولا رَشْق السّهام ، بل أشْرف على كل مكان فأسقط ، وأتوخّى الحبب من الدرر الكبار فألقط ، فمهما استطرد الكلام إليه وفيته حقه ، ومهما تعلّق به ملّكته رقه »(١)

والحق أن هذا الذي ذكره هو التعبير الحقيقي عن مضمون كتابه ، وسير منهجه - لو جاز لنا أن نَسم عمله بالمنهج - لا ما ادعاه هو بعدُ من أنه قد خشي الإطالة واجتَنَبَ العَثرة وفرّ من الزيادة ، وحتى لا يكون ضغثاً عَلى إبَّالَة »(٢)

والحق أنه قد وقع فيما زعم أنه قد فرّ منه ، أو ظن أنه قد بَعُدَ عنه ، حيث وقع له من الاستطراد الطويل ما أخَلَّ بكتابه إخلالاً ، حتى أغرى به معاصريه فانتقدوه ، وأغرى من لحقوا به فجعلوا ذلك ذريعة لتلخيص الكتاب ليكون دلك تهذيباً له مما لحق به من الزيادة الخارجة عن القصْد .

ونود أن نوضح أن الصَّفَدي لم يكن بدعاً في طريقته هذه إلا فيما زاده فيها من إبعاد شديد عن أصل الموضوع ، أما أساس تلك الطريقة وأصل هذه السنة فهو سابق على الصَّفَدي ، وهو نفسه قد أوضح ذلك ، وكأنما يحتَجُّ لنفسه فقال :

« وما أليق هذا المقام بقول ابن عُمَيرة لما جعل البرْقَ سَميره :

تعرّضَ مُجتازاً وكان مُذكّراً   بعَهْد اللّوَى ، والشّئُ بالشّىء يُذْكَرُ

ومن وقف على كتاب « الحيوان » للجاحظ ، وغالب تصانيفه ورأى

---

(١) الغيث المسجم جـ ١ ص ٤ .

(٢) الغيث المسجم جـ ١ ص ٦ ، وضغثاً على إبَّالة ، مثلٌ معناه بَلِيَّة على أخرى .

تلك الاستطرادات التى يستطردها والانتقالات التى ينتقل إليها ، والجملَ التي يعترض بها في غضون كلامه ، ويدرجها في أثناء عباراته بأدنى ملابسة وأيسر مشابهة ، علم مايلزمُ الأديبَ ، وما يتعين عليه من مشاركة المعارف »[١] .

فهو مايزال فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) يرى أن الأدب هو « الأخذ من كل شيء بطرف » وقد يفترض أن هذه « الأشياء » التي هى العلوم كلها ، قد تشعبت وتطاولت ، ولكن هذا لا يثنى الصَّفَدي عن طريقه ، فهو يتحدث في الفقه ، والحساب ، وعلم الضَّوْء ، والطّب ، والشِّطْرنج والكيمياء ، وعلوم الحديث ، والشّعر ، والبلاغة ، والنحو ، والتاريخ ، وغيرها من العلوم والمعارف ، ولا ننكر أنه على معرفة ببعض هذه العلوم ، وأنه ينقل بعضها الآخر عن مصادره المباشرة ، ومع ذلك فلا شك أن مافى كتابه من « العلوم » لا يعدو أن يكون نقولاً مبتسرة عن أصول أكبر وأليق بهذه العلوم ، ولهذا أرى أن هذا الكتاب - برغم مافيه من الفوائد ، قد حمل فى داخله مايعوق الناس اليوم عن محاولة تحقيقه ونشره ؛ لأنّ من يقوم بهذه المهمة يكون بين أمرين : إمّا أن ينشره بتمامه كما هو متبع ومعهود ، فيجد الكتاب متضخما ممتلئا بصفحات طويلة مما يدخل اليوم فى تاريخ العلم لا أكثر ولا أقل - ثم هو بعد ذلك له مظانٌ أخرى أليق به وأجدر - وإمّا أن يخرج منه هذا الرّكامَ ويقع فيما تحظره القواعد والسنة المتبعة فى تحقيق النصوص القديمة ونشرها .

ثم نعود إلى حديث الصَّفَدي عن كتابه ، لنستبين منه منهجه وطريقته ، لأنّا نستغني بهذا عن تكرار مثله حول شروح أخرى - هي فى الحقيقة صدىً له ، فقد تحدَّث الصفدى عن ظروف تأليف كتابه فقال :

---

(١) الغيث المسجم جـ ١ ، ص ٥ .   (٢) الغيث المسجم جـ ١ ص ٦ .

« وقد علّقت هذا الشرح وأنا في هموم قد علم الله ترادُف بعوثها وانسكاب غمائم غمومها وغيومها »[٢] وقد نقلت كلامه هذا هنا ؛ لأنه مما يلفت النظر أن أكثر الشراح قد ذكروا ما يشبه أن يكون تكراراً لهذا الزعم ، وافترق الصفدى عنهم في إقدامه على الشرح دون تكليف من أحد كما ذكر شُرّاح القصيدة بعدُ .

ولسنا بحاجة إلى إعادة القول بأن شرح الصَّفَدي هذا هو أعظم الشروح مكانةً وأكثرها تداولاً وتأثيرًا فيما جاء بعده من شروح ، فضلا عن استيعابه واستقصائه ، ومع ذلك فإننا بحاجة إلى إشارة موجزة إلى أمور وجدنا كتابه ينماز بها عما سواه من الشروح ، بل هي مما يجعل لهذا الكتاب شأنًا فلاينبغي إهماله من الباحثين فى تاريخ الأدب العربّي وهذه بعض تلك الميزات :

أولاً : عايش الصَّفَدي - في كتابه - حياة عصره بشعرها ومؤلفاتها ، فهذا كله له صَدًى فى كتابه ملموسٌ ومسموع ، وهو نفسه قد أشار إلى هذا في مقدمة كتابه ، يقول :

« وملت فى المباحث إلي قول المتأخرين وانتصرْت ، اللهم فيما نَدَرْ ، وخان ذلَك الشْرط وغَدَر »[١] .

ولهذا نجد فى كتابه نقولا عن أساتيذه من الفقهاء والمحدِّثين والأدباء فى الشعر والبلاغة وغيرها ، ونجد كذلك نص بعض المحاورات بينه وبين معاصريه كابن تيمية مثلاً[٢] .

ثانيا : روى الصَّفَدي فى كتابه شعرَهُ وشعْرَ المعاصرين (وشعره فيه مقطوعات كثيرة قصيرة لا يزيد أكثرها على بيتينَ ، وأما شعر معاصريه فهو

---

(١) الغيث المسجم : جـ١ ص ٦ - ٧

(٢) انظر على سبيل المثال الغيث المسجم جـ ١ ص ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ .

عدد كبير من مقطّعات ومختارات ، فهو يذكرها ويذكر مناسبة إنشادها ، وأحيانا يذكرها بسندها ، أو يقول نقلتها من خط فلان) فهذا يجعل من كتابه مصدراً مباشراً لهذا الشعر [1] .

ثالثا : دأب الصَّفَدي علي ذكر مصادره ، وقد أحصيتها فإذا هى تربو على مائة كتاب من كتب القدماء والمعاصرين وكتبه هو ، وقد نقل عن هذه الكتب نقولا مباشرة أو رآها أو انتقدها ، فهذه الكتب تدل على مصادر كتابه كما تعد مصدراً لدراسة عصره والكتب الشائعة فى زمنه التى كونت عقول معاصريه ، وقد اخترت أن أجعل في آخر هذه الكتاب ثَبَتاً بأسماء هذه الكتب ومؤلفيها كما ضَمَمْتُ إليها مصادر الشُّرّاح الآخرين .

رابعاً : ذكر الصَّفَدي قطعاً من رسائل معاصريه إليه أو إلى غيره تدل على ذوقهم فى التَّرَسُّل ، كَما ذكر ألواناً من الشعر منها شعر أصحاب الصنائع ، وشعر فى صحبة الحيوان ، وشعر المجُون ، وغير ذلك من الطرائف التى تعدُّ قطعًا مستقلة يمكن أن يفرد بعضها فيدرس وينشر .

فهذا بعض ما انفرد به كتاب « الغيث المسجم فى شرح لامية العجم » الذى طبع في جزأين بلغت صفحاتهما (٨٢٥ صفحة) في أول طبعة طبعت بالمطبعة الوطنية بالاسكندرية سنة ١٢٩٠ هـ ، وهي طبعة جيدة أغنتنا كثيراً عن مطالعة المخطوطات، وتعد هذه الطبعة محققة بأسلوب عصرها ، إذ اضطلع بعض اللغويين بمقارنة النسخ المخطوطة وتصحيحها

---

(١) ولا يبعد أن يكون كتابه « الغيث المسجم » مصدراً من مصادر الشعر القديم ، وقد استعمله الدكتور سامي الدهان فى تحقيق ديوان مسلم بن الوليد ، فقد أشار إلي تسعة مواضع من الجزء الأول وستة مواضع من الجزء الثانى ورد فيها شعر لمسلم (ديوان صريع الغواني ص ٥٠) . كما تبين لي وجود مقطوعتين لابن أبي الشخباء أمددت بهما صديقي الدكتور جمال غباشي « ١٩٦٠-٢٠٠٠م » الذي حقق أعمال ابن أبي الشخباء ودرسها .

والتعليق عليها أحيانا ، ثم أعيد طبعه في القاهرة سنة ١٣٠٥ هـ وهي طبعة جيدة أيضاً ، أعتقد أنها اعتمدت على الطبعة السكندرية ، وفى الجملة فهاتان الطبعتان لهما فضل كبير فى التعريف بالكتاب ، وقد أغنتنا عن المخطوطات الكثيرة المنتشرة فى مكتبات كثيرة فى مصر وغيرها من بلدان العالم غربه وشرقه ، ولكنى لم أعول على هذه المخطوطات لما ذكرتُ من فضل الطبعتين المذكورتين ولما لمست أيضًا من تحريف فى بعض نسخ المخطوطات، فهي في عمومها مخطوطات متأخرة وقع فيها تصحيف وتحريف كثير فلم تَخْلُ من عبث العابثين ، وربما دفع الي هذا مافي الكتاب من المجون الذى يغري بمثل هذا التحريف[1] .

وقد تعدَّدتُ الإشارة إلى النسخة المطبوعة ، بل التنويه بها ، لما لمست فيها من دقة ظهرت من مطالعة الشروح الأخرى ومقارنة النصوص فتبين أنها نسخة جيدة تكاد تكون هى أصل الكتاب المخطوط .

ولقد ظل كتاب الصَّفَدي معروفاً مشهوداً ومحموداً في القرن الثامن وفى القرن التاسع حتى أشار ابن حجر إليه بقوله :

« ونه شرح لامية العجم كثيرُ الفوائد[2] »

● ● ●

(١) رأيت نسخة مخطوطة من الغيث المسجم فى مكتبة مسجد البحر بدمياط لمست فيها مثل هذا التحريف

(٢) الدرر الكامنة جـ ٢ ، ص ١١٦

(٤)

الأعمال حول شرح الصَّفدِي :

(د) وقام كمال الدين الدَّمِيري [١] بتلخيص شرح الصفدي بعد وفاة الصَّفَدي فقد انتهى من هذا التلخيص في سنة ٧٦٧ هـ وقد بدأ تلخيصه هذا بمدح الكتاب وصاحبه ، وقال إنّ الصَّفَدي قد أتى في الكتاب بأشياء ما كان ينبغي له أن يذكرها على فضله وعلمه ، ثم قال : « . . فاستخرت الله تعالى وله الخيرة في تلخيصه وتهذيبه » [٢] ثم ترجم للطغرائي ، ولخص أبواب الكتاب متتابعة كما هي في كتاب الصفدي ، فلم يزد كتابه على هذا التلخيص الذي يمكن اعتباره تنقية من استطرادات الصَّفَدي وخاصة المجون .

(هـ) ولما كان كتابُ الصَّفَدي قد ذاع صيته وعرفته الخاصة فتسامعوا به وتحدثوا عنه بلغ خبره إلى بدر الدين الدَّمَاميني [٣] فكتب نقداً للكتاب سماه « نزول الغيث على الغيث » [٤]

قال في أوله : « فإنّ بعض سكان الاسكندرية ممن يزعم أنه من طلبة العلم شاهدته يطنب في ذكر الكتاب الذي وضعه صلاح الدين خليل الصَّفَدي شرحاً على لامية العجم ، ويرى أنه حُلو في الذّوق . . فكنت

---

(١) كمال الدين الدميري (محمد بن موسى بن عيسى بن علي) ٧٤٢ - ٨٠٨ وترجمته في :
١ - شذرات الذهب : ، دار المسيرة ، بيروت ، جـ ٧ ص ٧٩ ٢ - الأعلام جـ ٧ ص ١١٨ .

(٢) منه نسخة مخطوطة في مكتبة المعهد الديني بدمياط برقم ٣٨/ أدب وتقع في ١٢٠ ورقة انتهى منها الدميري سنة ٧٦٧ هـ ، والنص منقول من المخطوط ص ٢/ و .

(٣) هو محمد بن أبي بكر المخزومي القرشي (٧٦٣-٨٣٧) هـ وهو مولود في الاسكندرية ، ولازم ابن خلدون في القاهرة ثم رحل إلى الهند فمات هناك ، ترجمته في الأعلام جـ ٦ ص ٥٧ . وذكر الزركلي أنه امتلك نسخة من الكتاب .

(٤) منه نسخة مصورة بدار الكتب تحت رقم ٨٦٠ / الادب وهو مخطوط صغير أضاف له الناسخ تقريظات ابن خلدون وغيره من العلماء فبدا أكبر من حجمه الحقيقي بكثير .

أودُّ لو وقفتُ على هذا الكتاب لأقضي منه الوَطَر . . فلما ارتحلت إلى الديار المصرية في أواخر سنة أربع وتسعين وسبعمائة وقفت عليه وقوفَ متنقد لما فيه من الزيف ، سالك معه سبيل الإنصاف مُنَكِّباً عن طريق الحَيْفَ، فوجدت هذا الصلاح قد ارتكب من الفساد خَطْباً جليلاً . . ورأيت فيه سقطات كثيرة »[1]

وهكذا يعد هذا الشرح نقداً عنيفاً للصفدي ركّز فيه مؤلفه على سقطات الصَّفَدي وأهمل محاسنه ، وقد قَرَّظَ هذا النقد ابن خلدون وغيره من الخاصة ، وهذا دليل على أنهم قد قرأوا كتاب الصفدي ، وقد وجدوا في رد الدَّمَاميني على الصَّفَدي ما يؤدى عنهم ويقضى وطرهم ، وخاصة أن صاحب الرد هو الدماميني فقيه المالكية ، وكان هذا الرد موضع تعليق « أبي جُمْعَة » في شرحه بعد ذلك بأكثر من ثلاثمائة عام .

(و) وكتب الشيخ جمال الدين محمد بن عمر بن مبارك الحَضْرَمي[2] (بَحْرَق اليمني)(٨٦٩ - ٩٣٠هـ) شرحاً بعنوان « نشرُ العَلَم في شَرْح لاميّة العَجَم »[3] قال في مقدمته :

« علّقت عليها شرحاً يحل غريب لغاتها ، وشكل إعرابها لتسفر مطالبها وجدة أترابها عن نقابها . . ويوضح معانيها » .[4]

ويوضح علاقة شرحه بشرح الصَّفَدي قائلاً :

« جَرَّدْتُ أكثره من شرحها للأديب الفاضل المتقن خليل بن أيبك الصَّفَدي ، واخترت جملةً من أشعاره المفيدة ، واقتصرت منه على ما

---

(١) مخطوط نزول الغيث : ص ١/ ظ . ٢/ و نسخة دار الكتب .
(٢) ترجمته في الأعلام : جـ٦ ص ٣١٥-٣١٦ .
(٣) نشر في المطبعة الكاستلية بمصر سنة ١٨٦٣ م ، ويقع في ٦٧ صفحة من القطع الصغير .
(٤) نشر العلم ص ٢ .

يتعلق بشرح القصيدة ، فإنه أبلغ فيه وأوعب وأطنب وأسهب وأعجب وأغرب . . واستطرد من فن إلى فنون واسترسل في شجون الجدّ والمجون حتى صار ذلك التطويل سبباً للعجز عن التحصيل ، هذا مع مَا خرج فيه عن الحدّ وطفى الماء به فى المدّ ، من مستهجنات هزله التي لا تليق بعلمه وفضله ، مما لا يحل ذكره وإيداعه ، بل يخل بالعدالة روايَته وسماعه ، فليت ذلك لم يكن في الكتاب مسطوراً ، ولكن كان أمر الله قَدَراً مقدوراً » . (١)

فليس شرح (بَحْرَق) مجرد تلخيص وتنقية لشرح الصَّفَدى مما فيه من المجون ، ولكنه أيضاً نقد لبعض مواضع الإعراب وغيرها ، ولكن صاحبَ «نَشْر العَلَمُ » شديد الاحترام والتقدير للصَّفَدي ولعلمه ، حتى أنه ذكر شعراً للصَّفَدي فى كتابه ، وهذا مالم يُقْدِم عليه أحد من الشُّرّاح برغم اطلاعهم على شرح الصَّفَدي . (٢)

وقد كانت النزعة الأخلاقية هي دافع الشيخ ب " حرق " فقيه الشافعية ، إلى تلخيص الكتاب كما كانت هي دافع فقيه المالكية الدماميني لنقده وتجريحه .

والملاحظ أن نظرة الفقيه ظاهرة فى كتاب الشيخ " بَحْرَق " فهو يهتم بشعر الإمام الشافعي وشعر عليّ بن أبي طالب ، ويَروي شعرهما دون تشكُّك ولا تحوُّط كما نجد عند الصَّفَدي مثلاً ، كذلك نجد صدى نظرة الفقيه في تفسير بعض الألفاظ ، وبعض المصطلحات البلاغية مما نشير إليه بعدُ .

(ز) وإذا كانت الشروح السابقة جميعاً قد ظهرت في المشرق العربيّ

---

(١) نشر العلم : ص ٢ ، ٣ .

(٢) انظر نشر العلم : ص ٢٥ .

فإنّ المغرب العربيّ والقسطنطينية قد شاركت في الشروح بشرحين .

وكتب الشرح الذى ظهر فى القسطنطينية الفقيه الحنفى « جلال بن خَضر » ، الذى لم أعثر له على ترجمة إلاّ فى كتاب « الأعلام » قال الزِّرِكْلي :

« جلال بن خَضر الحنفى أديب رومى ، استقر فى المدينة المنورة له «نَبْذُ العَجَم عن لاميّة العَجَم » كتبه سنة ٩٦٦ هـ »[١]

ويبدو أن آثاره الأخرى مفقودة ، كما أن وصمه بالأديب فيه تَجوُّز من الزِّرِكْلي ؛ لأنّ شرحه يدل على أنه فقيه لا أديب ، ثم إنَّ فى اسمه مايدل عَلى انتسابه للمذهب الحنفى ، وقد جاء فى كِتابه عبارات تدل أيضاً على ذلك فهو يتحدث عن فتاوي أبي حنيفة قائلاً : قال الإمام الأعظم .. إلخ » . [٢]

وشرحه يقع فى (٣٥٠ صفحة) ويبدو من أوّلِ وهلة أن الشّارح قد خلط فى أمرين هما :

الأول : ذكر أن الطُّغْرَائي قد أنشد قصيدته بعد إطلاقه من السجن وأنه « رأى أن ذلك من أعظمَ الإحسان إليه فأبدع هذه القصيدة وفصّل فيها أحواله العديدة »[٣] ، وهذا غريب منه ؛ لأنّ الطغرائى لم يسجن قبل سنة ٥٠٥ هـ التي كتب اللاّمية فيها .

الثاني : ذكر أن قَتْل الطُّغْرَائى كان فى سنة ٥١٨ هـ بينما الثّابت تاريخيا أن الوزير السُّلجوقي « السَّميرَمي قد مات في سنة ٥١٦ هـ وهو المتسبب فى قتل الطغرائي لاحظ ذَلك الدكتور على جواد الطاهر من

---

(١) الأعلام : جـ٢ ص ٢٣٢ ، وذكر فى كشف الظنون أنه كتبه بقسطنطينية سنة ٩٦٢ هـ .
(٢) نبذ العجم ص١٦ / ظ ، ١٧/ و
(٣) نبذ العجم : ص ٢/ ظ .

اطلاعه على مخطوط المتحف البريطانى من « نَبْذ العَجَم » ، وهو نفس التاريخ الذى ذكر في مخطوط الأزهر منه .[(١)]

وقد أشار ابنُ خَضِر لشروح القصيدة السابقة بقوله :

« وقد تصدى لشرح هذه القصيدة بعض العلماء الأفاضل والأدباء الأماثل ، غير أن ذلك إمّا شرحاً مخلاً بالمقام أو مملاً بلغو من هجر العوام »[(٢)] ولم يعترف بأنه استعان بشيء من هذه الشروح ولم يُشرْ لأحدها صراحة ، إلا أننا نلمس أثر كتاب الصفَدي واضحا في « نبذ العَجم » من أوله ثم نأخذ في القراءة فإذا أغلب مختاراته من الشعر هي نفسها مختارات الصفدى ، وأحياناً تكون رواية الشعر مختلفة عند الصفدى عنها عند جلال بن خضر ، كما في قول الطغرائي كما رواه الصَّفَدي :

ولولا وُلاةُ الجَوْرِ أصْبَحْتُ والحَصَا
بكفّيَ - أنّى شئتُ - دُرٌّ وَيَاقُوتُ [(٣)]

أما جلال بن خضر فرواه كما يلى :

وَلَوْلا ولاةُ الجَوْرِ في الأرْضِ أصْبَحَتْ
وَحَصْبَاؤُهَا دُرٌّ لـ.يَ وياقُوتُ[(٤)] .

ولكن هذا الاختلاف فى الرواية لا يخدعنا عن حقيقة أن صاحب نبذ العجم تأثر تأثراً مباشراً بكتاب « الغيث المسجم » ونقل منه مختارات الشعر في مواضع كثيرة جداً ، ومن ذلك شعر ابن دقيق العيد ، وشعر ابن

---

(١) انظر الطغرائى للدكتور على جواد الطاهر ، ص ٣٦ . ومخطوط الأزهر من « نبذ العجم » هو نسخة الأزهرية رقم ١٨٧٥ أدب ، وهى مكتوبة سنة ١٣٣٧ هـ . نسخها على جلال وناسخها له خط جميل ، وعلم قليل ، فقد دأب على تحريف الكلام والشعر خاصة ، وأساء للكتاب إساءة بالغة

(٢) نبذ العجم : ص ٣/ ظ .

(٣) الغيث المسجم : جـ١ ص ١٨ .

(٤) نبذ العجم ص ٧/ ظ

ساعد الأنصاري أستاذ الصفدى، وهما من العلماء وشعرهما مما لا يتداول في كتب الأدب أو على ألسنة الناس ولكن ابن خضر نقله من كتاب الصفدى كما نقل شعر ابن حمديس وشعر ابن النقيب [١]، بالاضافة إلى شعر الأعلام مثل: المُتَنبّي وأبي العَلاء ولَبيد .

وقد ظهرت روح الفقه في شرحه حيث امتلأ بشعر الفقهاء وخاصة الإمام الشافعي وهو يتفق في روايته والثقة فى صحة نسبته مع بحرق اليمني كما تظهر نزعة تَصَوّفية في جنوحه نحو أشعار الصوفية وخاصة ابن الفارض فقد نثر أبيات شعره بين صفحات كتابه كما تقابلنا أخبار وأشعار متناثرة عن الجُنَيْد والشِّبْلي وغيرهما ، وفى الكتاب مادة غزيرة تدخل تحت باب الرقائق والمواعظ منها حكايات عن لقمان [٢] ، مع ابنه وغيرها .

وقد أشار ابن خَضِر فى أول كتابه إلى طريقته في شرح اللامية فقال :

« شرعت في كتابة شرح . . لا أمُرُّ على لغة إلا وأفصح عن فصيحها ، ولا على إعراب كلمة إلا وأعربُ عن صريحها ، ثم أشرح معنى البيت ومغزاه ومراده ومبّناه »[٣] .

وشرحه معتدل من حيث تناول اللغة والنحو والبلاغة ، وأما نثره لمعنى البيت فهو متكلف غاية التكلف ، وكما قلنا فإن مختاراته تتفق مع الصفدى فى عمومها إلاَّ أنه لا ينسبها لأصحابها أحياناً .

ولم ينسَ الشارحُ أن يعتلي منبر الوعظ كلما سنحت فرصة أو جاءت

---

(١) قارن الغيث جـ١ ص ٨١ ، ٨٢ ، ٨٨ القاهرة ، مع نبذ العجم : صفحات ٢٠/ ظ ، ٢١/ و ، ٢٣/ و .

(٢) نبذ العجم : ص ٣٢/ و ، ٣٢/ ظ .

(٣) نبذ العجم . ص ٥/ ظ

مناسبة فمن ذلك قوله يشرح البيت الأول من اللاَّميَّة (أصالةُ الرأي . . الخ)

« فلا تأسُّفَ على مازال وفات ، ولا نَدَمَ على ما هو غاد وآت ، فمناصب الدنيا للانقلاب أقلب وللزوال أقرب »[1] كما عوَّل عَلى ذكر حكم الشرع في كثير من المسائل كلما شرح بيتاً يتيح له ذلك ، كما فى شرحه للبيت :

١٠- وَذِي شَطَاطٍ كَصَدْرِ الرُّمْحِ مُعْتَقِلٍ

بِمِثْلِهِ غَيْرِ هَيَّابٍ وَلاَ وَكَلِ

قال : « وكذلك كان الفرار من الزَّحْفِ من الكبائر »[2]

وبرغم أن كتابه ليس في ضخامة كتاب الصفدى ، فإنَّهُ يفتقد للدقة وخاصة في رواية الشعر ، وذكر مناسبته وسياقه ، أو نسبته لصاحبه ، كما في حديثه على البيت :

٣- فِيمَ الإِقَامَةُ بِالزَّوْرَاءِ لاسكَنِي

بِهَا وَلاَ نَاقَتِى فِيهَا ولا جَمَلِي .

فقد تحدث عن الغربة ، وعن خروج النبىّ ص من مكة ، وعن المدينة وفضلها ، وعن إجماع أهل المدينة ، ورأي الإمام مالك في أنه حُجَّة ، وهذا كله موجود فى كتاب الصَّفَدي[3] ، ثم تحدث عن فضل المدينة فقال :

---

(١) نذ العجم : ص ٩/ ظ .

(٢) بذ العجم : ص ٤٤ / ظ

(٣) قارن الغيث . حـ١ ص ٦٦ القاهرة . مع سد العجم : ص ٢٠/ ط ، ٢٣/ و .

وقد أنشد بعضهم قول المتنبي :

ولمّا رأينا رَسْـمَ مَنْ لَمْ يَـدَعْ لَنـا
فُـؤادًا لعرفـان الرُّسُـومِ ولاَ لُبّـا
نَزَلْنـا عَـنِ الأكْوار نَمْشـي كَرَامَـةً
لِمَـنْ بَانَ فيه أنْ نُلِـمَّ به رَكْبَـا[1]

ثم إنَّه اكتفى بذلك وهو فى كتاب «الغيث المسجم» إلاّ أنه قال هناك :

« ولما أشرف أبو الفضل الجَوْهري على المدينة نزل عن راحلته وأنشد قول أبي الطَّيب . . الخ » .[2]

فهذا مَثَلٌ على الفرق بين طريقة الصَّفَدي ودقته وطريقة ابن خَضِر ، بل إنَّ هذا ربما يصدق على شروح أخرى تتفق مع ابن خَضر في هذا الأسلوب المتساهل مع النصوص ، ويبقى الصفدى الأكثر دقةً وإحكاماً . ونكرر قولنا إنَّ ابن خَضِر واقع في تأثير الصَّفَدي مالم يخرج إلى الحديث والفقه والرَّقائق .

• • •

---

(١) نبذ العجم : ص ١٩/و . ورواية الديوان :

وكيفَ عَرفنا رَسْمَ مَنْ لَم يَدَعْ لَنا ... فُؤادًا لعرفانِ الرّسُومِ ولا لُبّا
نَزَلْنا عن الأكْوار نَمشي كَرَامَةً ... لِمَنْ بانَ عَنْهُ أنْ نُلِمَّ بهِ رَكْبا

(ديوان المتنبي بشرح البرقوقي : جـ١ ص ١٨٢ .)

(٢) الغيث المسجم جـ ١ ص ٦٦ القاهرة

(٥)

(ح) وكتب أبو جُمْعَة سَعيد الصَّنْهَاجي[١] (٩٥٠ - بعد ١٠١٦ هـ) من أهل مُرَّاكش ، شرحاً على اللَّامية سَماه « إيضَاحُ المُبْهَم من لامِيَّة العَجَم » وهوَ شرح متوسط ، توجد منه نسخة جيدة فى مكتبة المعهد الديني بدمياط [٢] عدد صفحاتها (٣٠٠) صفحة وعليها اعتمدتُ .

وهو شرح جيد شارحه نَحْويَ أديب له ذوق خاص ورؤية واضحة تجعل من شرحه كتاباً مستقلاً برغمَ أنه قرأ الشروح السابقة وخاصة شرح الصفدى ونقد الدماميني عليه ، وهو مع ذلك يرى :

« أن شارحيها لم يشفوا غليل المتأمل فمن مُقَصرٍ مُخلٍ ومن مُطولٍ مُمِلٍ [٣] » .

وهو لهذا يقدِّم لها شرحاً يزعم أنه :

« يوضح بعون الله ما انبهم من معانيها ، مُؤثراً لما يلائم طبع المتأمل من المعانى اللطيفة مجتنباً لما يعده المنتقد من المباحثَ السخيفة » [٤] وزعم أنه مال إلى الاختصار فقال : « ولم آلُ جهدا فى إيثار طرق الاختصار » [٥] ولاشك أنه زعم صحيح في حديثه على اللغةَ والبلاغة ، فى حين أنه زعم باطل في حديثه عن النحو ، إذْ أطال فيه فأخلَّ وأملَّ وأثقل شرحه بالمباحث النحوية المطولة وخاصة مسائل الخلاف ، فَتَسَرَّب الإملال إلى شرحه من هذا الباب .

---

(١) الأعلام : جـ ٣ ص ١٠٢ ، وبروكلمان جـ ٥ ص ٣٣٠ .

(٢) مخطوط تحت رقم ٤٠ / أدب .

(٣) إيضاح المبهم : ص ٢ / و .

(٤) إيضاح المبهم ص ٢/ ظ ، ٣/ و ، لعل فى هذا إشارة إلى ما وقع فى شرح الصفدى من المجون .

(٥) إيضاح المبهم ص ٢ / ١ .

ويبدو أن الشارح قد عاش فى كنف الدولة السَعْديّة بالمغرب [١] (٩٦٥-١٢٦٩ هـ) وكتب شرحه وبعضَ كتبه الأخرى تلبيةً لرغبة حكامها فهو يقول :

« فأشار من تتعين عليَّ طاعته ولا يسعني - مع الأدب - مخالفته عند قراءتها عليه وتصحيح ألفاظها لديه أن أضع عليها شرحاً [٢] » .

وقد صرح باسمه فقال : « وجعلته تحفة مهداة لحضرة الملك الأعظم المحُيِي ما اندرس من آثار السماحة . . مولانا السلطان الأعظم أبى العباس أحمد بن مولانا الملك الأشرف أبى محمد عبد الله بن محمد الشريف الحسينى [٣] » .

وقد علق الشارح كثيراً على آراء الصَّفَدي ، وأنصفه من مؤاخذة الدَّمَامينى ، وفى كتابه تبجيلٌ واحترام كبير للصَّفدي وان اختلف معه في الرأيَ .

والشارح نحويٌّ متمكن قد أتقن قراءة كتب النحو القديمة ككتاب سيبويه وشروحه ، كما قرأ كتب الأندلسيين ، وهو يذكرهم في شرحه وخاصة : ابن عصفور والسُّهَيْلي وابن القُوطيَّة ، كما أشار في شرحه إلى كثير من كتب اللغة ، فهو يذكَر مصادره دائماً ، ويلاحظ أيضاً أنه مغرم بمسائل التصريف خاصة ، كما هو واضح من تكرار اسم ابن القُوطيَّة وكتابه « الأفعال » ، وكذلك « ابن القَطَّاع » ، كما يظهر أن له جهداً فى هذا المضمار فقد ذكر «بروكلمان » أن له « شرح الشافية لابن الحاجب [٤] »

---

(١) ذكر فى الأعلام أن المنصور السعدى (٩٥٦ - ١٠١٢ هـ) قد طلب منه أن يشرح « دُرَرَ السِّمْط في مَناقب السِّبط (جـ ٣ ص ١٠٢ ، جـ ١ ص ٢٣٥) .

(٢) إيضاحَ المبهم : ص ٢/ و .

(٣) المرجع السابق : ص ٢ / ظ ، ٣/ و .

(٤) بروكلمان : جـ ٥ ص ٣٣٠ .

ومن يقرأ كتاب « إيضَاح المُبْهَم » يكاد يقطع باطّلاع صاحبه على كتاب « الإنصاف » للأنباري ولكن أبا جمعة لم يذكر « أبا البركات الأنباري » ولا كتابه قط (١) ، ولكن البيِّن أنه يمتح من كتب المتأخرين التى اهتمت بمسائل الخلاف وخاصة شرح « الرَّضِي » على الكافية « وشروح الألفية » وغيرها مما هو متواتر في كتابه .

كما يلاحظ أن هذا الشارح هو من أكثر الشراح اهتمامًا بمسائل «البيان» و « البديع » حيث أعطاها ركناً مهماً في كتابه ، ومن مصادره فيها « الكشّاف » للزمخشري و « المفتاح » للسكّاكي .

وانفرد هذا الشارح - برغم تأخره - بأنه يروى القصيدة عن شيخه وقد ذكره في أكثر من موضع في كتابه كما في قوله :

« والذي رويناه عن شيخنا أعزه الله . . » (٢) ولم يصرِّح باسمه إلاَّ أنه ذكر بعض من يُظنُّ أنه من شيوخه فقال : « قال الأستاذ أبو الحسن بن الأخضر - رحمه الله (٣) » .

وامتاز أبو جمعة - برغم مَنْحَاهُ النَّحْوِيّ - بذوق جَيِّد في اختياراته من الشِّعر ، فقد امتاز بمختاراته الخاصة إلاَّ ماكان من شعر المتنبي وأبي العلاء وكما قلنا كان الإعجاب بشعرهما عامّاً بين الشُّرَّاح ، وفي أحيان قليلة كان الشارحُ يختار شعراً مما اختاره الصَّفَدي (٤) .

---

(١) وردت فيه إشارة إلى « أنباري » آخر هو أبو بكر ، فقال : واعلم أن خبر المبتدأ قد يكون جملة لتضمنها للحكم المراد من الخبر لتضمن المفرد له ولا يشترط أن تكون خبرية خلافاً لبعض الكوفيين وأبي بكر بن الأنباري (ص ٧٩/ ظ) .

(٢) إيضاح المبهم : ص ٢٢/و .

(٣) المرجع السابق: ص ٢٢/و .

(٤) أنظر مثلاً : إيضاح المبهم : ص ٥٢/ و وقارن مع الغيث حـ١ ص ٢١٨ ، القاهرة .

وإذا كان الصَّفَدي قد اختار شعرَ أساتذته وشعر معاصريه ، واختار بحرق وابن خَضر شعرَ الإمام الشافعيّ وعليّ بن أبي طالب وابن الفارض، فإنّ "أبي جُمْعَة" قد اختار شعر "حازم القَرْطَاجَنّي" - الأنصَاري . وخاصة مقصورته[1] .

●●●

(٦)

وظهرت بعد سنة ١٢٨٠ هـ ثلاثة شروح مطبوعة في مصر ، وهي شروح قصيرة أولها :

(ط) شرح إبراهيم سَنَد[2] . ويقع في ٨٧ صفحة ، ولم يجعل له عنواناً ، وهذا الشرح هو مجرد نسخة من شرح « بحرق » : « نَشْرُ العَلَم » السابق في « و » وقد بدأ بمقدمة عن حياة الطغرائى ثم عرَّج على العلاقة المزعومة بين لاميَّته ولامية الشَّنْفَرَىَ واستطرد إلى ذكر الشَّنْفَرَى ولاميته . وربما كانت هذه الزيادة هي الإضافة الوحيدة إلى شرح بحرق ، ومع ذلك لم يتورع عن مدح هذا الشرح وكأنه من إبداعه فيقول :

« يحل منها محل الروح من الجسد ، وترمقه بقيَّة شروحها على كبَر حجمها بعين الحسد ، فهو وإن صغر حجمه - لكنه بحمد الله علَى جميعها أضاء نجمه[3] » .

---

(١) إيضاح المبهم : ص ٣٢/ و ومواضع أخرى .
وحازم هو : حازم بن محمد بن حسن القرطاجنى (٦٠٨-٦٨٤ هـ) من أهل قَرْطاجَنَّة بشرقي الأندلس ومقصورته مطلعها :

لله ما قَدْ هجْتَ يَايَوْمَ النَّوَى   عَلَى فُؤَادِيَ من تَبَاريح الجَوَى .

(٢) لم أعثر له على تَرجمة ، وشرحة مطبوع في مطبعة الموَسوعَات بمَصر سنة ١٣٢٠ هـ ، بعد وفاة المؤلف ، وأشار طابعه - وهو ابنه - إلى أن والده استعان بشرح « محرق » .
(٣) شرح إبراهيم سند المطبوع ص ٢ .

(ى) والشرح الثانى هو شرح « محمد على المنَيَاوي » المُدَرِّس بالمدرسة التوفيقية بالقاهرة وطبع باسم « تُحفَةَ الرَّائي للامَيَّة الطَغرائي[1] » ويقع هذا الشرح في ٨١ صفحة ، وقد طبعته وزارة المعارف العمومية ثلاث مرات في طبعة أنيقة كان أولها سنة ١٨٩١ هـ ، وقررت تدريسه على طلاب المدارس الثانوية ، ولعل هذا الكتاب كان مادة التعليم في المدارس الثانوية أول هذا القرن مما تناوله الدكتور طه حسين بالنقد الشديد في مقدمة كتابه «في الأدب الجاهلي » .

وقد يظهر تكلفه فى أول سطر من كتابه حتى أوقع نفسه فى خطأ ظاهر بقوله يصف اللامية : « محكمة الأسلوب فى الفخر والعتاب ، مطربة وصف الحال وشكوى الزمان بما يُصدِّع الألباب ، أنيقة فى المدح والغزل ، رصيفة فى ابتداع الحكم ، واختراع المثَل »[2] فهو قد آثر القافية على الصدق ، فَعَدَّ من القصيدة ما ليس فيها من العتاب والمدح .

ثم إنَّهُ زعم أنه « قد عُنِيَ بشرحها جَمٌّ غفير من الفضلاء غير أنهم لم يكشفوا عن المقصود منها الغَطاء »[3] ومع ذلك فان المطالع لكتابه هذا لا يجد هذا الكشف المزعوم اللهم إلاّ ما نُسَلِّمُه له من وضوح الإعراب وبساطته أما البلاغة فحسبك أن تقرأ تفسيره البلاغى لبيت واحد من أبيات القصيدة حتى تدرك كيف أصبحت فنون البلاغة لغواً من القول وضرباً من التعقيد مَلِيء بالإملال والإخلال مما سنوضحه في فصلٍ تالٍ .

وقد يُحْمَدُ للشَّارح أنه أورد نص القصيدة مضبوطة بالشكل فى أول شرحه ، ولم يعول كثيراً على اختلاف الروايات - كما فعل بعض الشراح

(١) ترجمته في الأعلام ٦/ ٣٠٢ وله كتاب آخر هو « الشذرات السنية فى تاريخ أدب اللغة العربية وتوفي سنة ١٩١٧ وشرحه مطبوع في المطبعة الأميرية ط٣ . القاهرة ، ١٩٠٦م .

(٢) تحفة الرائي ص ٣ .

(٣) المرجع السابق ص ٤ .

- وربما يعود هذا إلى قرار وزارة المعارف بتدريس الكتاب على طلاب المدارس الثانوية .

(ك) والشرح الثالث شرح صغير (٣٦ صفحة) وكتبه مؤلفه « يوسف الشَّلْفُون »(١) ولم يجعل له عنواناً ، وقد أهمل الشارح الحديث على «النحو» كليَّةً ، وإنَّما ذكر كل بيت من أبيات القصيدة ثم شرح معناه وأشار فى بعض المواضع إلى « البديع » ، وانفرد بذكر شعر بعض معاصريه وهو شخص يسميه « اللبنانى » وله قصيدة ميمية أثبت بعض أبياتها فى أكثر من موضع من شرحه ومنها قوله :

وإذا النُّفُوسُ رأَتْ نَقَائِصَ ذَاتِهَا   جَدَّتْ عَلَى نُقْصَانِهَا بِتَمَامِ .(٢)

وبرغم أنه شرح صغير إلاَّ أن قارئه يجد أثراً ضئيلاً من « الغيث المسجم » ، مما يرجِّح أنه قرأ كتاب الصفدى(٣) .

●●●

(٧)

هذا ما اطَّلَعْتُ عليه من شروح « لاميَّة العَجَم » وأتناوله بالدرس والتحليل فى الفصول التالية ، وقد مثلت هذه الطائفة من الشروح جميع القرون التالية لظهور القصيدة (من السابع الهجرى حتى الثالث عشر) وان ماعدا ذلك من شروح أشار إليها بروكلمان أو حوتها فهارس مكتبات مختلفة لايعدو أن يكون تلخيصات وحواشى لاقيمة لها ، بل أن أكثر الشروح قد افتقد المنهجية والأصالة كما سوف نوضح فى ثنايا الكتاب .

(١) وهو يوسف ابن فارس بن يوسف الخورى (١٢٥٥ - ١٣١٤ هـ) ولد وتوفى ببيروت وهو صحفى متأدب ، ترجمته فى الأعلام جـ٨ ص ٢٤٤ ،

(٢) شرح الشلفون ص ٢١ .

(٣) قارن شرحه للبيت فالحبُّ حيثُ العدَى . . الخ بشرح الصفدى .

الفَصْلُ الثالث

الاتجاه النّحْويّ واللغويّ في الشّرُوح

١ - موضوعاتُ الصَّرْف فى الشُّروح
٢ - موضوعاتُ النَّحْـو فى الشُّرُوح
٣ - موضوعاتٌ لغويَّـــةٌ أخـــرى

تناول شُرَّاح اللاميَّة مباحث فى اللغة والنحو والصرف ، وسوف نجعل هذا الفصل لعرض تلك المباحث ومناقشتها ونبدأ بمباحث التصريف

(١)

وأكثر الشراح كان يذكر الكلمة ثم يُرْدفها بمعناها كما ذكرته المعاجم وينتقل إلى غيرها حتى إذا انتهى من البيت ذكر معناه إجمالاً أو تعرض للإعراب وهكذا .

إلاَّ أنَّ بعض الشُّرَّاح قد تعرَّض لمباحث صرفيّه جعل تفسيره لكلمات الشاعر متكأً له فى هذا ومنطلقاً .

أما العُكْبَرِي - أول شُرَّاح اللاّمية - فلم يتعرض لمسائل التصريف إلا كما نجد فى قولهَ :

« المَعَالِى جَمْعُ مَعْلاَة » أو قوله « أغْراهُ ، الاسم الغَرَاء بالمدّ والفتح » [1]

أو قوله « السُّلَّم واحِدُ السَّلاَلِيم » [2] أو قوله « الزمان ، جمع على أزمان وأزْمنَة » [3]

والحق أن العكبري قد أحسن بهذا الانصراف عن مسائل التصريف ؛ لأنَّ شرحه كان قصيراً لا يحتمل أن يستطرد فى مسائل التصريف أكثر مما فعل .

أما الشراح الآخرون فقد تعرضوا لمسائل التصريف كثيراً فى شروحهم ، وتقع هذه المسائل تحت أكثر من مبحث من مباحث التصريف نعرضها فيما يلي :

---

(١) شرح العكبري ص ٩/ ظ .
(٢) المرجع السابق ص ٩/ ظ
(٣) المرجع السابق ص ٩/ ظ .

(أ) القياسُ الصَرْفِيّ :

وقد عَرّف « مجمع اللغة العربية » القياس اللغوى بأنه :

« حَمْل كلمة على نظيرها فى حكم ، ولا يحمل على هذا النظير إلاّ إذا لم يوجد ما يعارضه ألبتَّة » . (١)

وقد تعرض الشراح للقياس والشذوذ فى الصرف في مواضع كثيرة كما فى قول الطبري في شرح البيت :

٢٨ - ولا إهَابُ الصُّفَّاحَ البِيضَ (٢) .... الخ

« . . والرواية كسر الهمزة فى ولا إهاب وهو المشهور إلا أنّ القياس فتحُها مثله مثل إخال (بكسر الهمزة) من خلتُ الشىء مَخيَلة ، وخَيْلُولَة ، فإنَّ الأفصح فيه كسر الهمزة مع أن القياس فَتحها » . (٣)

وفى شرح البيت الأول من اللاّمية :

١ - أَصَالَةُ الرّأى صَانَتْنِى .... الخ

أصالة : مصدر . . وفَعَالة (بفتح الفاء) مُطّرد في مصدر فَعُل (بضم العين) كَفَصُحَ فَصَاحَة وجَزُل جَزَالَة ، وحكى أبو بَكر محمد بن القوطيَّة أصل إصَالة كَفعَالة (بكسر الفاء) قال الأستاذ أبو الحسن بن عصفور : وهذا مع كونه مَقصوراً على السَّماع قليل جداً » . (٤)

وفي شرح الصفدى للبيت :

---

(١) اللغة والنحويين القديم والحديث ، عباس حسن - دار المعارف ، ط ٢ ، ١٩٧١ م ،ص ٤٤ وانظر التعريفات للجرجانى . بغداد ، ١٩٨٦ م . ص ١٠٢ ط .

(٢) رواية الديوان « أهاب : بفتح الهمزة » .

(٣) حل المبهم والمعجم ص ١٦/ ظ

(٤) حل المبهم والمعجم ص ٣/ و ، ٣/ ظ ، وابن عصفور وابن القوطية ، أندلسيّان (انظر المدارس النحوية للدكتور شوقى ضيف ، دار المعارف ، ص ٣٠٦ - ٣٠٩) .

٣٣- رِضَى الذَّلِيلِ بِخَفْضِ العَيْشِ مَسْكَنَةٌ .. الخ

ويقال تَمَسْكَنَ الرجل كما قالوا : تَدَرَّعَ وتَمَنْدَلَ في المِدْرَعة والمِنْدِيل على تمنْعل، وهو شاذ وقياس تَسكَّنَ وتَدَرَّعَ وتَنَدَّلَ مثل تَشَجَّعَ وتَحَلَّمَ » (١)

وفي شرح أبي جمعة للبيت :

٢٦- لا أكرهُ الطَّعْنَةَ النَّجْلاءَ قَدْ شُفِعَتْ

بِرَشْــقَةٍ مِنْ نِبَالِ الأعْيُنِ النُّجُلِ

« الأعْيُن » جمع قِلَّة لعين ، وهو شَاذٌ قِياسَاً لاعتلال عين مفرده وقياسُهُ عُيُون .

(النُّجُل) جمع كثرة لنجلاء ، وهى العين الواسعة مع الحسن ، وهو شاذ أيضا وقياسُه (نُجْل) بسكون الجيم ، وأما بضمها فَشَاذٌ كأعين ، لكنهما مسموعان ، قال الربيع بن ضَبُع الفزَارى :

طَوَى الجَدِيدَانِ ما قَدْ كُنتُ أَنْشُرُهُ

وأَخْلَقَتْنِى ذَوَاتُ الأعْيُنِ النُّجُلِ » (٢)

وفى شرحه للبيت :

٢٢- قَدْ زَادَ طِيبَ أَحَادِيثِ الكِرَامِ بِهَا .. الخ

قال « الأحاديث جمع حديث ، أو جمع أُحْدُوثَة وهى ما يتحدَّث به ، وعلى الأول فجمعه على أحاديث شَاذٌ لاعلى الثانى ، قال أبو القاسم السُّهَيْلِيّ - رحمه اللَّه - الحديث والأُحْدُوثة لا يفاوتان فى المعنى، فمجىء الجمع على أحدهما لا يصير شَاذّاً فى الآخر ؛ على أن سيبويه نَصَّ على

(١) الغيث المسجم جـ ٢ ص ٦٢ .

(٢) ايضاح المبهم ص ٧١/ ظ .

أنّ فَعِيل يجمع على أفاعيل كقَطِيع وأقَاطِيع وعَرِيض وأعَارِيض » .[١]

وفي شرح المنياوى للبيت الثانى : مَجدى أخيراً . . . الخ

قال « مَجْد كنَهْر مصدر مَجَد الرجل كنَصَرَ وكَرُم وشَرُف »[٢] .

ويبدو أن معنى القياس والشذوذ فى اللغة والنحو كان موضع خلاف بين القدماء ، كما ظل غامضاً عند المتأخرين ومنهم هؤلاء الشراح .

ويري الدكتور « إبراهيم أنيس » أن الكوفيين كانوا يستعملون القياس بمعنىً أقرب إلي السَّمَاع ، أما البصريون فكانوا أصحاب اجتهاد وتجديد وابتكار »[٣] ويرى أنه على يَدَىْ « أبى علي الفارسى » قد استقر معنى جديد للقياس هو (ماقيس على كلام العرب فهو من كلام العرب) فلم يقل هو مثل كلام العرب أو يشبه كلام العرب ، بل اعتبره منه ولهذا استخدم الزمخشرى - فى القرن السادس - شعر أبى تمام فى استشهاده للغة بهذا المعنى للقياس »[٤] .

وعلى هذا لو اعتمد رأي « أبى على الفارسى » لأصبح كل ما عدّه الشراح شاذاً فيما سبق من الأمثلة - قياسياً ، فإنَّهُ من كلام العرب ولكن رأى « أبى علي » لم يُعتمد بل ظل النقاش سائداً بين العلماء بصدد هذا القياس . . في معظم عصور اللغة ، لا ينتصر له إلا القلة من العلماء ، ومع معارضة معظم المتأخرين من العلماء لفكرة القياس - بالمعنى الجديد -

---

(١) إيضاح المبهم ص ٥٩ / ظ ، ٦٠/ و ، وأبو القاسم السُّهَيْلي هو : عبد الرحمن بن عبد الله الضرير صاحب كتاب الرَّوْض الأنف ت / ٥٨١ هـ ، كانَ يُشْغَفُ بالعلل النحوية واختراعها (المدارس النحوية ، ص ص٢٩٩ - ٣٠٠)

(٢) تحفة الرائى ص ١١ .

(٣) من أسرار اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة : ١٩٧٥ ط الخامسة ، ص ص ٢٤-٢٦

(٤) المرجع السابق ص ٢٧ .

ظلوا يتمسكون بقياس المتقدمين أى بالأحكام العامة التى وضعوها ولكن هؤلاء المتأخرين جاءت أحكامهم فى صورة تعليلات وتأويلات وتفسيرات شحنت بكل ما هو متكلف متعسف من الآراء. [١] بل بلغ الأمر بهؤلاء المتأخرين أن أصبحوا يستعملون مصطلح القياس فى مواضع لاتمتُّ للقياس بأية صلة. [١]

والحق أن اللغويين المعاصرين ممن يأخذون بالمنهج الوصفى فى دراسة اللغة قد انتقدوا هذا الأمر كثيرا، وعدوه مما عوق الدراسات اللغوية النافعة؛ لأنّ الاستعمال هو الحكَم وليس القاعدة « ومعنى دعوى الشذوذ لهذه الصيغ هو فرض للقاعدة الصرفية على الاستعمال العام ووضعها فى موضع المعيار ». [٢]

(ب) الجمع:

تعرض بعض الشراح لصيغ جموع التكسير، واستطرد بعضهم لشرح معنى الجمع واسم الجمع واسم الجنس والفرق بينهما، فقال الصَّفَدي في شرح البيت :

٤ - نَاءٍ عَنِ الأهْلِ، صِفْرُ الكَفِّ مُنْفَرِدٌ .... الخ

(الأهْلُ) أهل الرجل، فهو اسم جمع لا واحد له من لفظه، مثل رَهْط وقَوْم، ولا بأس بمعرفة الجمع واسم الجمع واسم الجنس، فإنه من المهمات وقد خبط الناس في ذلك، قال الشيخ « بدر الدين محمد بن مالك »[٣] : « ... فالموضوع للآحاد المجتمعة هو الجمع سواء كان له واحدٌ من لفظة كركْب وصَحْب، أو لم يكن له كرَهْط وقَوْم، والموضوع

---

(١) من أسرار اللغة ص ص ٢٧، ٢٨ .

(٢) اللغة بين المعيارية والوصفية، د. تمام حسان، دار الثقافة، الرباط ص ٢٠ .

(٣) هو ابن ناظم الألفية (ت ٦٨٦ هـ)، وانظر (المدارس النحوية) لشوقى ضيف .

للحقيقة بالمعنى المذكور وهو اسم الجنس ، وهو غالباً يفرق بينه وبين واحده ، بالتاء كثَمَرَة وتَمْرَة وعكسه كَمْأة وجَبْأة »(١)

وقال الصَّفَدي تطبيقاً على هذه القاعدة :

« نبَال جمع نَبْل » وهى السِّهَام العربية اسمِ جمعِ لا واحد له من لفظه »(٢)

وقال العُكبَرِي في شرح البيت :

٢٣- .... وينَحَرُونَ كِرَامَ الخَيْلِ والإبلِ .

« الخَيْلُ » جمعٌ لا واحد له من لفظه وكذلك الإبل ، وأسماء الجموع التى لا واحد لها إذا كانت لغير الآدميين ، فإذا صُغِّرَت دخلها التاء والنون للجمع » . (٣)

واستعمل الطبري نفس التسمية (جمع لا واحد له من لفظه) في قوله « والرِّكابُ الإبلُ التي تركب فيسار عليها ، والواحدة راحلة من غير لفظها ، والجمع رُكُب علي مثال الكُتُب » . (٤)

وقال أبو جمعة السِّفَل (بكسر السين وفتح الفاء) كالسفلة (بفتح السين وفتح الفاء) - كذا ضبطهما ابن قتيبة - سُقَاطُ الناس وأراذلُهم ، وكأنه اسم جمع لسَفِيل أو سَافِل » . (٥)

---

(١) الغيث المسجم جـ ١ ، (ط القاهرة) ص ٧٦ ، وقد نقل ابن [illegible] هذا الكلام مع تصرف فى اللفظ (ص ٢٩ / و ، ٢٩ / ظ من نبذ العجم) .

(٢) الغيث المسجم جـ ٢ ص ١١ .

(٣) شرح العكبري ص ٧/ ظ .

(٤) حل المبهم والمعجم ص ٦/ ظ .

(٥) إيضاح المبهم ص ١٠٨/ و والظاهر أنه وقع فى كلام الشارح [illegible] حيث ينبغى أن يضبط الثانى (بفتح السين وكسر الفاء) قال فى اللسان « قال الجوهرى السفلَة السقاط من الناس (لسان العرب (س ف ل) دار المعارف) .

كما أشار الشراح إلى جموع القلّة وجموع الكثرة :

قال الصفدى « الدَّار مؤنثة » . وأدنى العدد أَدْؤُر . . والكثير دِيَار ، مثل جَبَل وأَجْبُل وجبَال ، ودُور أيضاً مثل أسَد وأسْد » .(١)

وقال أيضا « الخُطوة (بالضم) « ما بين القدمين ، وجمع القلة خطوات وخطوات (بضم الطاء وفتحها وسكونها) وجمع الكثرة خُطاً » .(٢)

أما أبو جمعة فيُلاحَظ أنه قد دأب على تسجيل صيغ الجموع والتفريق بين جموع القلة وجموع الكثرة بصورة لافتة كما فى قوله :

« الذُّبَّل) جمع كثرة لذَابِل ، وهو الرُّمْحُ الرقيق ، وقد يجمع على ذَوَابل وذُبُل » .(٣)

وكما فى قوله « الدَّهْرُ الزمان الطويل ، ويجمع فى القلة على أَدْهُر وفى الكثرة على دُهُور »(٤) وقوله « الأكوار جمع قلة وهو الرَّحْل بأداته ، وقد يُجمع على كِيران » .(٥)

واتفق الصفدى وأبو جمعة فى الحكم على كلمة مِيَاه أنها جمع كثرة للماء ويجمع في القلّة على أَمْوَاه .(٦)

وقال أبو جمعة « النُّقَل (بضم أوله وفتح ثانيه) جمع كثرة لنُقْلَة» .(٧)

ويبدو أن لمسألة القلة والكثرة فى الجمع أصلاً عند « ابن جني » ومَنْ سبقه من النحاة قال فى لسان العرب «والدار » المحل يجمع البناء والعَرَصَة

---

(١) الغيث المسجم جـ ٢ ص ٣٦٠ . (٢) الغيث المسجم جـ ٢ ص ١٨٦ .
(٣) إيضاح المبهم ص ٨٨/ و . (٤) إيضاح المبهم ص ٢٨/ ظ .
(٥) إيضاح المبهم ص ٤٠/ و .
(٦) الغيث المسجم جـ ١ ص ٢٤٠ (القاهرة) ، إيضاح المبهم ص ٥٨/ و .
(٧) إيضاح المبهم ص ٨٨/ و .

أُنثَى قاله ابن جنى . والجمع أدْؤر فى أدنى العدد ، قال ابن سيدة في جمع الدَّار : آدُر على القلب ، قال حكاها سيبَوَيْه فى باب جمع الجمع فى قسمة السَّلامَة » .(١)

وقرر الجَوْهرىُّ ما نقله الصَّفَدي وأبو جمعة حول كلمة المياه قال « . . يجمع على أمواه فى القلة ومياه فى الكثرة مثل جَمَل وأجْمَال وجمَال » كما نَقَل عنه فى « اللسان » .(٢)

ثم وضع المتأخرون من النُّحَاة القواعد الجامعة فقال « ابنُ مالك » :

أَفعِلَــــة أَفْعُــلٌ ثُـمَّ فعلَـة   ثُمَّـتَ أَفعَــالٌ - جُمـوع قلَّــةْ

وقال الشيخ أحمد الحملاوى عن جمع التكسير ، « وأبنيته سبعة وعشرون ، منها أربعة للقلَّة ، والباقى للكَثْرَة » .(٣)

وبرغم ما يحوم حول هذه القاعدة من شك فإنَّ الشراح قد اتبعوا النحاة وسلَّموا بها وبالغ بعضهم كما فعل أبو جمعة خاصة ، فتمادى في تطبيقها فى شرحه .

« ونعود إلى النصوص العربية فنجدها لا تؤيد دعواهم ومن الأمثلة القرآنية :

﴿الْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾ (٤) . . . وقروء جمع كثرة عند جميع علمائنا ، ومع ذلك جاء تمييزاً لثلاثة ، وفى اللغة أقراء (جمع قلة وفاقاً لاصطلاحهم) وليس من ضرورة - كالضَّرُورات الشعرية - تدعو إلى ذكر قروء بدل أقراء فى الآية ، وكل ذلك يدل على اضطراب قاعدة جموع القلة والكثرة فى كل أنواع الجمع الثلاثة » .(٥)

---

(١) اللسان مادة (دور) .   (٢) اللسان مادة (م و ه)

(٣) شذا العرف في فن الصرف ط ٢١ ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص ١٠١

(٤) سورة البقرة ٢٢٨ .

(٥) أضواء على لغتنا السمحة ، محمد خليفة التونسي . الكويت ، ١٩٨٥ ، ص ص ١٣٩ - ١٤١

وفي « شرح ابن عقيل على الألفية » ما يُشكِّك في صحة القاعدة ، قال « وقد يُستَغْنَى ببعض أبنية الكثرة عن بعض أبنية القلة ، كرَجُل ورِجال وقَلْب وقُلُوب » . (١)

وزعم الجرجانى أن جمع القلة هو الذى يطلق على عشرة فما دونها من غير قرينة ، وعلى ما فوقها بقرينة ، وأن جمع الكثرة عكس جمع القلة ويستعار كل واحد منهما للآخر كقوله تعالى « ثلاثة قروء » فى موضع أقراء . (٢)

وفي كلام الشيخ أحمد الحملاوى مايؤكد اضطراب القاعدة أيضاً حيث يقول :

« وقد ينوب أحدهما عن الآخر وضعاً بأن تضع العرب أحد البناءين صالحاً للقلة والكثرة ، ويستغنون به عن وضع الآخر فيُستعمل مكانه » (٣) وزعم أن استخدام صيغة مكان الأخرى يكون مجازاً « كإطلاق أفلُس على أحد عشر ، وفلوس على ثلاثة ، ويسمى بالنيابة استعمالاً . (٤) وهذا الذى سماه الجرجانى استعارة ، وسماه الحملاوي مجازاً لا أساس له . ولهذا كان الباحث المعاصر على حق حين قرر أن القاعدة مضطربة لا يؤيدها الاستعمال ، وقد أطلت فى تناول هذه المسألة ، لأبين أن الشراح قد وقعوا في أسر القواعد التى قررها النُّحاة ، ولم يحاول أحد منهم أن يفلت من إسارها ، أو ينفذ بعقله لنقضها أو محاولة نقدها ، وأنا أعتقد أن العرب لم تقصد بأىٍّ من الجموع أن تحدد العدد أو الكمية ، وإلا لاستغنوا عن العدد تمييزاً لهذه الجموع أو عن الوصف لها أو عن التصغير .

---

(١) شرح ابن عقيل . تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، دار التراث - القاهرة ١٩٨٠ ج٤ ، ص ١١٥

(٢) التعريفات . ص ٤٨

(٣) شذا العرف : ص ١٠١ .

(٤) المرجع السابق . ص ١٠١ .

(جـ) الإعلال والإبدال :[1]

ووقعت في اللامية ألفاظ وصيغ هى أمثلة للإعلال والإبدال تعرض لها الشراح في شروحهم فمن ذلك قول الطَّبَرى في شرح البيت :

٤- نَاء عَن الأهْلِ صفْرُ الكَفِّ[2] . . . الخ

« أقول : نَاء اسم فاعَل من نَأى يَنْأى أى بَعُدَ ، فهو نَاء على وزن جَاء وأصله نَائى فَأْعل إعْلاَل قاض » .[3]

وقوله : « الأيام جمع يوم اجتمع الواو والياء وسبق إحداهما بالسكون فقلبت وأدغمت الياء فى الياء » .[4]

وفي شرح البيت :

٣٣- يَرْضَى .... والعزُّ بَيْنَ رَسِيم الأيْنُقِ الذُّلُلِ

« الأيْنُق جمع نَاقَة ، ووزنُها أفْعُل ، وكان أصلها أنْوُق، على وزن أعْفُل فاستثقلت الضمة على الواو فنقل عين الفعل إلى فاء الفعل وفاء الفعل إلي عين الفعل فقالوا آونُق على وزن أفْعُل ثم عوضوا من الواو ياءً فقالوا أيْنُق .[5]

وتعليقاً على البيت السابق قال الصفدى : « الأيْنُق جمع ناقة تقديرها فَعَلَة (بالتحريك) ؛ لأنها جُمعت على نُوق مثل بَدَنَة وبُدْن وخَشَبَة وخُشْب ، وفَعْلَة (بالتَّسْكين) لا تُجمع على ذلك وقد جُمعت فى القلَّة على أنْوُق مثل أسْهُم ، ثم إنَهم استثقَلوا الضَّمَة على الواو فقدَّمُوها فقَالوا آونُق حكاه يعقوب .

---

(١) الإعلال : هو تغيير حرف العلة للتخفيف بقلبه أو اسكانه أو حذفه ، والإبدال هو جعل مطلق حرف آخر (شذا العرف ص ١٤٣) . وانظر التعريفات (الإعلال) ص ٢٤ .

(٢) رواية الطبرى : صفْر الرَّحْل ، وأثبتُّ رواية الديوان .

(٣) حل المبهم : ص ٥/ و . (٤) المصدر السابق : ص ٢٨/ ظ . (٥) نفسه : ص ٨٨/ ظ .

عن بعض الطائيين ، ثم عوضوا من الواو ياءً فقالوا أَيْنَق ، وقد تُجمع الناقة على نِيَاق مثل ثَمَرَة وثِمَار إلاَّ أن الواو صارت ياءً لانكسار ماقبلها» .[١]

وقال ابن خَضر تعليقاً على البيت :

١٣ - والرَّكْبُ مِيلٌ على الأكْوَار . . . . الخ .

« مِيلٌ جمع أَمْيَل كأَبْيَض وبِيض وأصله مُيل (بضم الميم وكسر الياء) نقلت كسرة الياء للميم لثقل الضمة قبلها ، تقول مَالَ الشئ يَميلُ مَيْلاً ومَالاً » .[٢]

وقال « أبُو جُمْعَة » تعليقاً على البيت الأول :

١ - أَصَالَةُ الرَّأى صَانَتْنِى عَنِ الخَطَلِ

وحِلْيَةُ الفَضْلِ زَانَتْنِى لَدَى العَطَلِ

« زانتني . . أصل عـينه ياء أعلّت بالقلب فى الماضى والنقل فى المضارع » .[٣]

وقال فى تعليقه على البيت :

٦ - طَالَ اغْتِرَابِى حَتَّى حَنَّ رَاحِلَتِى . . . إلخ .

« طَالَ . . أصل عـينه واو أُعِلَّتْ بالقلب فى الماضى والنقل فى المضارع . »[٤]

وقال في شرح البيت

١٩ - فَسِرْ بِنَا فى ظَلاَمِ اللَّيْلِ . . . . الخ

« سِرْ أَمْرٌ من سار يسير وأصله أسْير كأفْعل فنقلوا حركة العين إلى الفاء فحَذفت همزة الوصل لذهاب موجبها أعنى السكون ، فالتقى

---

(١) الغيث المسجم : جـ١ ص٦٦

(٢) نبذ العجم : ص٥٨/ ظ .

(٣) إيضاح المبهم : ص٣/ ظ .

(٤) المرجع السابق : ص٢٢/ ظ .

ساكنان فحذفوا عين الكلمة فقيل سر وهكذا فى أمر كل ثلاثى معتل العين يائياً كان كهذا أو واوياً كقُمْ وقُلْ » . [١]

وقال « المنياوى » في شرح البيت الأوَّل : وأوَّل ضد أخير قيل أصله أوْآل وفعله وآلَ إلى المكان كَوَعَدَ بَادَرَ إلَيْه ، وقيل أصله وَوَّل على وزن فَوْعَل ولا فعْلَ له » . [٢]

وهذه الأمثلة وغيرها مما وقع فى شرح الطبَّرى والصفدى وأبى جمعة تدل على انشغالهم بمسائل التصريف المتوارثة اعتماداً على من سبقهم من النحاة ، ومما يلفت النظر أن آخر هؤلاء الشراح قد شغل نفسه بأصل كلمة أول ، كما شغلت وزارة المعارف تلاميذ المدارس الثانوية حقبة من الزمن فى آخر القرن الماضى وأول هذا القرن بهذه المسألة ، حيث كان كتاب «تحفة الرائى » يُدَرَّس في مدارسها ، وهذا يفسر الثورة التى ثارها الدكتور « طه حسين » على كتب وزارة المعارف آنذاك ، ويجعلنا نقول إنَّ الرجل كان على حق فيما قال ولأنَّ مثل هذه الطريقة لا يمكن أن تثمر فى تنمية اللغة بأى حال . [٣]

ولقد كان هذا الأسلوب في شروح الشعر . هو دأب الشراح النحاة في كل عصر ، ونظرة عابرة على شرح « ابن هشام » لقصيدة « بانت سعاد» ومقارنة ذلك الشرح بشرح أبى جمعة (إيضاح المبهم) سوف يبين لنا أن أسلوب التطويل في بيان الصيغ الصرفية للكلمات ، وعلل ذلك وأقيسته ويكفينا أن نذكر شرحه لكلمة (بَانَتْ) ونقارنه بشرح أبى جمعة أو الصفدى لكلمة ناقة أو شرح المنياوى لكلمة أوَّل السابقة ، نجد ابن هشام

---

(١) إيضاح المبهم : ص ٥٣/و . (٢) تحفة الرائى : ص ١١ ، ١٢ .

(٣) سنلاحظ أن الدكتور شوقى ضيف حذف باب « الإعلال » فى كتاب « تجديد النحو » فقال «حذفت باب الإعلال ؛ لأنه يفرض للحروف المعتلة في الكلمات صُوَراً لا تجرى في النطق» . ص ١١

يقول :

« قوله بَانَتْ) معنى بَانَ فارق وله مَصْدَرَان البين ، والبينونة ووزنه عنه البصريين فَيْعَلُولَة وأصله بَيْنُونَة (بياءين) الأولى زائدة والثانية عين ، ثم أدغمت الأولى فى الثانية فصار بينونة ، ثم خفف بحذف الثانية كما فعل بسيد وميت ، فصار بينونة على وزن فَيْلُولَة ومذهب الكوفيين أنه فُعْلُولة (بالضَّم) كعُصْفُورة ثم كُسِرَت فَاؤُه . . الخ » .[1]

فاذا تعدينا هذه الشروح إلى نظرة المعاصرين لهذه الظاهرة اللغوية – أعنى الإعلال والإبدال – وجدناهم لا يسيغون طريقة القدماء فى تناولها ، يقول الدكتور إبراهيم أنيس عن النحاة :

« . . . وهؤلاء قد وسعوا من شأن الإبدال حتى شمل الإعلال ، فتراهم

يعدون الكلمات الآتية من الإبدال : سَمَاء ، قَائل ، مَصَابيح ، صيَام ، فى حين أنه لم ترد لنا مثل هذه الكلمات في صُور أخرى كَالتى افترضوها مثل : سماو ، وقاول ، مصاباح ، صوام ، وهكذا نرى النحاة قد خلطوا بين ظاهرتين مختلفتين أو على الأقل يمكن أن يقال إنَّهُم قد أخذوا بمذهب الأصل والفرع فى صُورة الكلمات . . »[2]

وهذا النقد يصدق على عمل الشراح بلا استثناء ؛ لأنهم قد نقلوا ما ذكروه ، فى هذه المباحث عن النحاة مقلدين إياهم تقليداً ظاهراً .

وقد كانت المسائل الصرفيه المذكورة آنفاً هي مايمكن التعرض له لما نالته من عناية الشراح ، وقد ذكر الشراح مسائل أخرى منها :

---

(١) شرح بانت سعاد ، لابن هشام الحلبى ، ط الثالثة . القاهرة ١٩٥٩ م ، ص ٩ .

(٢) من أسرار اللغة ، ص ١٧ .

الإدغـــام[1] :

يقول الصفدي في شرح البيت :

١٦ - فَهَلْ تُعينُ عَلى غَيٍّ هَمَمْتُ به . . . الخ

(تقول هَمَّ يَهِمُّ ، وإنما يُفَكُّ الإدغام عند اتصال الفعل بضمير الرفع ، وأما إذا دخل الجَازم على المضارع من هذا المشدد فأنت مخيّر بين الفكّ والإدغام ، والفكُّ لُغَةُ القرآن ، وهي للحجازيين ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَرْتَدْ منكُمْ عن دينه ﴾[2] ﴿ ومَنْ يَحْلُلْ عَلَيْه غَضَبِي ﴾[3]و﴿ وَلاَ تَمْنُن تَستَكْثِر ﴾[4] ﴿ واغْضُضْ منْ صَوْتك ﴾[5] . والإدغام لغة بني تميم وعليها قوله تعالى ﴿ ومَنْ يُشَاقِّ اللَّه ﴾[6] ، ولك أن تقولَ حُلَّ واحْلُل ، ومُدَّ وامْدُد ، وغُضَّ واغضض » .[7]

وفي بعض الشروح إشارات إلى التَّصْغير ، واسْم المصْدَر ، وأفعل التفضيل ، وصيَغ اسم الفاعل واسم المفعول كما في شرح الصفدي للبيت :

٢٥- يُشْفَى . . . . بنَهْلَة منْ غَدير الخَمْر والعَسَل

« الغدير القطعة من الماء يغَادرها السَّيل ، وهو فَعيل بمعنى مُفَاعَل ، أو مفعل من أغْدَرَهُ وقيلَ بمعنى فَاعل ؛ لأنَّهُ يَغْدُرُ بأهلهَ عند الحاجة إليه ، قال الكُمَيْت :

وَمَــنْ غَـدْره نَبَـرَ الأوَلُـونَ بأنْ لَقَّبُوهُ الغَديرَ الغَديـرَا »[8]

وقد خَطَّأ « بحرق » تفسير الغدير ، بأنه بمعنى فاعل عند الصفدي

---

(١) انظر شذا العرف ص ١٥٣ - ١٧٠ .
(٢) سورة البقرة آية ٢١٧ .
(٣) سورة طه آية ٨١ .
(٤) سورة المدثر آية ٦ .
(٥) سورة لقمان آية ١٩ .
(٦) سورة الحشر آية ٤ .
(٧) الغيث المسجم جـ ١ ص ٢١٣ ط القاهرة . (٨) الغيث المسجم جـ ١ ص ١٦١ (ط القاهرة)

فقال :

« والغدير (بالغين المعجمة) القطعة من الماء يغادرها السيل أى يتركها فهو فعيل بمعنى مفعول لا بمعنى فاعل كما توهم الشارح » .[١]

ومن مسائل الصرف التى وردت فى الشروح « التقاء الساكنين » كما فى قول ابن خضر فى تفسير البيت :

١٩ - فَسِرْ بنَا فى ظَلاَمِ الَّليْلِ . . . الخ

« سِرْ : أَصْلُهُ سِير فحذفت لالتقاء الساكنين » .[٢]

وهكذا يمكن أن نعد مسائل التصريف فى الشروح صورة للتفكير اللغوي عند العرب فى سبعة قرون ، (من السابع حتى الثالث عشر الهجرى) ولا شك أن هذا التناول كان صدىً لجهود النحاة واللغويين القدماء ولا أثر فيه للاستعمال المعاصر لهؤلاء الشراح قط .

• • •

(٢)

موضوعات النحو فى الشروح :

وفى حديث الشراح على إعراب القصيدة تناولوا موضوعات نحوية مختلفة ، ووضع بعضهم عنوان « الإعراب » على رأس حديثه ، وتحدث بعضهم عن الإعراب مع حديثه عن اللغة ، وكان الهدف عندهم جميعاً هو إعراب القصيدة ، ولكن بعضهم خرج على هذا الهدف كثيراً فقدم لنا « النَّحْو » من خلال القصيدة لا مجرد الإعراب ، كما ينتظر قارئ الشرح ، وقد كان بعض الشراح نَحْوياً من الأساس أو له إسهام فى النحو كالصفدى فجعل القصيدة ذريعة لحديث طويل فى مسائل نحوية وفى خلافات النحو وعلله وأقيسته كما هو واضح فى شَرْحَى الصفدى وأبى جمعة خاصة ،

(١) نشر العلم ص ٣١ .

(٢) نبذ العجم ص ٨٠/ظ .

ولم يخلُ من الحديث فى الإعراب والنحو إلاَّ شرحُ الشَّلْفُون » .

أما العكبري أول شراح القصيدة ، فقد تحدث فى الإعراب حديثاً موجزاً برغم أنه نحوى ، وذلك بحكم صغر شرحه ، فهو يشير إلى إعراب بعض الألفاظ ، ولا يستطرد خارج هذا الإطار الضيق إلاَّ نادراً ، يقول فى إعرابه البيت الأوَّل :

١ - أصالةُ الرأى صَانَتْنى عَنِ الخَطَلِ
وحِلْيَةُ الفَضْلِ زَانَتْني لَدَى العَطَلِ

« وأصالة الرأى مبتدأ ، وصانتنى بعده خبر ، وعن الخطل متعلق بصانتنى ، والخَطل مصدر »[1] بل أكثر من الاختصار أن العكبري ربما قال « والإعراب واضح وكذا المعنى » .[2]

ومع ذلك فهو قد يذكر أكثر من « إعراب » للكلمة الواحدة ، ولكن فى غير تَزَيُّد ولا تطويل كما في شرح البيت :

١١ - حُلو الفُكَاهَة مُرُّ الجدِّ . . . . الخ

« وحلو يجوز فيه الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، والنصب بإضمار أعنى ، والجر على أنه صفة لما تقدم » .[3]

أما الشراح بعد العكبرى فقد توسعوا فى تناول الموضوعات النحوية ، ومن هذه الموضوعات :

(أ) العامــــل :[4]

دار شطر كبير من النحو العربى حول « العامل » ، ولهذا سوف نجد

---

(١) شرح العكبرى ص ١/ ظ .

(٢) انظر شرحه للبيت السابع ص ٣/ و .

(٣) شرح العكبري ص ٤/ و .

(٤) عرف الجرجانى « العامل » بأنه « ما أوجب كون آخر الكلمة على وجه مخصوص من الإعراب» التعريفات ص ٨٤ .

لنظرية العامل صدىً كبيراً في النحو عند الشراح ، وأول مايلقانا من شرح «الطبرى» ذكر العامل صراحة في قوله :

« مهتدياً حال من ضمير فَسِرْ وهو العامل فيه ، أى والحال أنك تكون مهتدياً »(١)

وفي شرح البيت :

٥٤- يَاوَارِدًا سُؤرَ عَيْشٍ كُلُّهُ كَدَرٌ   أَنْفَقْتَ صَفْوَكَ فِى أَيَّامِكَ الأُوَلِ

« . . قولَه ياواردًا منادى مضارع للمضاف ، ونَصَبَهُ لكونه مشابهاً للمنادي والمضاف من حيث كل واحد منهما عامل فيما بعده وكون مابعدهما متمّماً ومخصّصاً إيَّاهما(٢)» .

فإذا شرعنا فى رصد حديث الصَّفَدي وجدناه حديثا متنوعاً ، وهو يعتمد على كلام «ابن مالك» «وابن الحاجب» في كثير من كلامه ، فتحدث عن عمل الحروف فى الاسم والفعل عند شرح البيت :

٥- فَلاَ صَدِيقَ إِلَيْهِ مُشْتَكَى حَزَنِي   ولا أنيسَ إليْه مُنتَهى جَذَلِي

« . . القاعدة عند أهل العربية أن الحرف إذا كانَ مختصاً عمل كحروف الجر لما اختصت بالأسماء ، ومثل كان وأخواتها وإنَّ وأخواتها وظنَّ وأخواتها ومثل لَمْ وعوامل الجزم وعوامل النَّصب فى الأفعال مثل أنْ وبابها لما اختصّت بالأفعال عملت فيها ، وإذا كان الحرف غير مختص كحروف الاستفهام والنفى والعطف لم يعمل شيئاً ، لاشتراكه في الدخول على الأسماء والأفعال » .(٣)

وقال : أخيراً منصوب على أنه ظرف ، وكذلك قوله أولاً ،

---

(١) حل المبهم والمعجم ص ١١/ و .

(٢) حل المبهم والمعجم ص ٣١/ ظ .

(٣) الغيث المسجم جـ ١ ص ٩٠-٩١ (ط . القاهرة) .

والظرف ينتصب بالمعنى فالعامل فيه معنى الاستقرار » .[١]

ويبدو أن اهتمام الصفدى بالعامل كان يمثل جانباً مهماً من تفكيره النحوى ، فقد تحدث عن رافع المبتدأ ورافع الخبر فاستطرد إلى آراء النحاة من « سيبَويه » « والبَصريين » إلى غيرهم ، من « الكوفيين » والمتأخرين ثم قال :

« وقيل بل هما مترافعان . . وهو أقرب الأقوال وقد استوفيت هذه المسألة في تعليق لى على الحاجبيّة » .[٢]

ويقدم ابن خَضر إعراباً للقصيدة لا نجد فيه استطراداً ولا تطويلاً ، كما فى إعراب البيتَ :

٢- مَجـدِى أخِـيراً ومَجْدِى أولاً شَـرَعٌ
والشَّمْسُ رَأدَ الضُّحَى كَالشَّمْسِ فِى الطَّفَلِ .

قال « مجدى مبتدأ ، أخيرا ظرف زمان ، ومجدى : مبتدأ أيضا معطوف على الأول ، شَرَع خبرها كقولك : زيد وعمرو قائمان ، والشمس مبتدأ ، رأدَ الضحى ظرف زمان ، كالشمس في الطَّفَل خبره ، وهذه الجملة اسمية معطوفة على الجملة الأولى » .[٣]

وليس إهماله « للعامل » دليلاً على استقلال فى تفكيره النحوى ، وعلى كل حال فما يحمد لهذا الشارح وضوحه فى الإعراب .

أما « أبُو جُمْعَة » فهو صاحب القَدَحَ المُعَلَّى فى الحديث عن « العوامل والمعمولات » ، فهو أكثر الشراح اتصالا بمباحث النحو ثم هو قد أعطى للنحو جانباً مُهماً فى شرحه .

وقد تحدث أبو جمعة عن عامل الرفع فى المبتدأ والخبر ، وعن العامل

---

(١) الغيث المسجم جـ ١ ص ٧٨ . (٢) الغيث المسجم جـ ١ ص ٥٨ .
(٣) نبذ العجم ص ١١ / و

فى المضاف إليه ، فى قوله : « والعامل فى المضاف إليه مُخْتَلَفٌ فيه فذهب أكثرهم إلى أنَّهُ المضاف وهو الحق ، ونُسبَ إلى « سيبَوَيْه » ، وذهب بعضهم إلى أنه الحرف الذى تقدير الإضافة بمعناه ، ونُسَبَ إلى أبى إسحاق « الزَّجَّاج» ، وليس بِوَجْه ؛ لأن عمل حروف الجر فى حَال حذفها ضعيف . . » .(١)

وتحدث عن رافع الفعل المضارع فى شرح البيت :

٨- أُريدُ بَسْطَةَ كَفٍّ أسْتَعِينُ بهَا . . . . الخ

فقالَ : « أُريد فعلٌ مضارعٌ مرفوع باتفاق النحاة ، وإنَّما الخلاف في رافعه ، وقد ذهب «ابنُ مالك» تبعاً «لابن الحاجب» إلى اختيار مذهب الفَرَّاء وأكثر الكوفيّين وهو أن رافعه التجرُّد من النَّواصب عليه والجوازم» .(٢)

وحديثه عن العامل كأنه مقصود لذاته ، فهو يختلق سُؤالاً حول العامل ثم يُفصِّل القول فى الإجابة عليه كما نجد في قوله :

« . . فان قيل العامل فى النَّعْت ماهو ، قلنا : قد اختلفوا فى عامل سائر التوابع على مذاهب ، الأول : مذهب « سيبَوَيْه » وجمهور المحقّقين أن العاملَ فى جميعها هو عاملُ المتبوع ؛ لأن مقصود المتكلم أن ينسب إلى التابع والمتبوع معاً معنى العامل . . الثانى : مذهب « الأخْفَش » وأبتاعه أن العامل فى النعت والتوكيد وعطف البيان التَّبَعيَّة . . الثالث : مذهبُ «الأخْفَش » « والرُّمَّاني » « والفَارسي » « وابن جِنّي » أنَّ العامل فى البَدَل مقدر من جنس عاملَ المُبْدَل منه . . » .(٣)

أما « المنياوى » فلم يتعرض في شرحه للعامل فهو يهتم « بالإعراب»

---

(١) إيضاح المبهم ص ٨/ و ، ٨/ ظ

(٢) إيضاح المبهم ص ٢٧/ و .

(٣) إيضاح المبهم ص ٧٣/ و .

لا «بالنحو» ، فيقدم إعراب القصيدة مختصراً ، كما نجد في إعراب البيت :

١٧- إنِّي أُرِيدُ طُرُوقَ الحَيِّ مِنْ إِضَمٍ   وَقَدْ حَمَاهُ رُمَاةٌ مِنْ بَنِي ثُعَلِ

« الإعراب : إنّ حرف توكيد ونصب والنون للوقاية والياء اسمها ، وأريد فعل مضارع والفاعل أنا والجملة خبر إنّ ، وطروق مفعول به ، والحيّ مضاف إليه ، ومن إضم متعلق بطروق والواو للحال ، وقد حرف تقريب وحمى فعل ماض ، والهاء مفعول به ورُماة فاعلة ، والجملة حال من الحي وبنى متعلق بصفة لرماة ، وثُعَل مضاف إليه ، وكُسر للرَّويّ »[1]

ونستطيع أن نحكم على صنيع هذا الشارح بأنه قد أحسن ، من وجهة نظر تربوية ؛ لأنَّ شرحه كان يدرس على طلاب المدارس ، فكان انصرافه عن العوامل والمعمولات والتعليل والقياس مما يحمد له في إعراب القصيدة .[2]

وأما صنيع الشراح في مسألة العوامل والمعمولات فهو ترديد لآراء النحاة ، والحكم عليه هو حكم على تاريخ النحو العربي .

ويكفي أن ننظر في مسألة واحدة كالفعل المضارع فنجد أن الكتب والمتون والمختصرات والحواشي كلها قد تحدثت عن « عامل الرفع في الفعل المضارع »[3] حديثا مكَرَّراً مسبوقاً وهكذا في كل العوامل والمعمولات .

---

(١) تحفة الرائي ص ٣١ .

(٢) وقد زعم بعض الشراح أن له هدفاً تعليمياً ، فقال أبو جمعة : وقد ذكرنا هذه الوجوه وأن كان أحدهما كافيا تدريبا للطالب وتنبيها له على أن المعنى قد يختلف باختلاف التقدير (من إيضاح المبهم ص ٤٥/ ظ) ، ولكن زعمه هذا لو صدق على ذكر وجوه الإعراب فإنه لا يصدق على ذكر الخلافات النحوية التي أطال فيها .

(٣) انظر : الانصاف في مسائل الخلاف ص ٥٥٠ مسألة ٧٤ ، شرح ابن عقيل جـ ٤ ص ٣ ومابعدها ، وشرح قطر الندى لابن هشام ص ٥٧ .

وليس من سبيل هنا لممارسة الحكم على عمل النحاة ، ولكننا نشير إلى وقوع « العامل » موقعاً مؤثراً ومهماً في كتب الشراح كما هو في كتب النحاة سواء بسواء ، وأعتقد أن الشُّراح كانوا في حلٍ من هذا الارتباط بالنحاة .

ويحق لنا أن نتساءل ، إذا كانت نصيحة « ابن مَضَاء » للنحاة [١] قد ذهبت أدراج الرياح فلماذا لم يستمع إليه أمثال هؤلاء الشراح ؟ وأعتقد أنه إمَّا أنَّ كتاب « الرد على النحاة » قد فُقِدَ تمامًا فلم يطلعوا عليه [٢] ، أو أن هؤلاء الشراح قد خاضوا فيما خاض فيه النحاة تابعين لا مبتدعين ، والمؤكد أنهم - حتى لو اطّلَعوا على كتاب ابن مضاء لما استمالهم مثلما استمالتهم كتب النحو ، وأكاد أقول فتنتهم نظرية العامل فُتُوناً هو في الحق قديم عند أمثالهم من الشراح ، كما نجد عند «التّبريزِي» في شرح القصائد العشر [٣] .

(ب) القيَـــاس :

للقياس [٤] مكان في الأصول وفي المنطق ، وقد أخذ طريقه إلى النحو - برغم أن منطق اللغة غير منطق أرسطو - وهو لا يعدو أن يكون في النحو بنفس مفهومه في علم الأصول « إجْرَاءُ حكم الأصل على الفرع» . [٥]

---

(١) دعا ابن مضاء في كتابه « الرد على النحاه » إلى الغاء نظرية العامل من النحو العربي .

(٢) ناقش الدكتور محمد عيد في كتابه « أصول النحو العربي » أسباب إغفال المؤرخين والنحاة لآراء ابن مضاء (ص٤٦-٤٨) وانظر مقدمة « الرد على النحاه » للدكتور شوقي ضيف - دار المعارف ط ١٩٨٢

(٣) انظر بحث للدكتور عبد المحسن الفتلي بعنوان « النحو عند التبريزي في شرح القصائد العشر » مجلة المورد مجلد ١٦ عدد (١) ١٩٨٧ ص ١١٧ .

(٤) القياس في اللغة عبارة عن التقدير ، يقال قِسْتُ الفعل بالفعل إذا قدرته وسويته وهو عبارة عن رَدّ الشيء إلى نظيره ، وهو في الشريعة الجمع بين الأصل والفرع في الحكم « أنظر : التعريفات ص ١٠٢

(٥) د . محمد عيد أصول النحو العربي ، عالم الكتب - القاهرة ١٩٧٧ ، ص ٧٦ .

وفى الشروح من ذلك القياس الكثير ، قال الطَّبَرى في شرح البيت :

٣- فِيمَ الإِقَامَةُ بالزَّوراءِ لاسَكَنِى　　بِهَا ولا نَاقَتِى فِيهَا ولا جَمَلِى

« وقوله لاسكني بها : لا هذه هى المشبهة بليس ، تدخل علي المبتدأ والخبر فترفع المبتدأ بأنه اسمها وتنصب الخبر بأنه خبرها تشبيها بليس » .[1]

وفي شرح الصفدى للبيت :

٢٠- فَالحبُّ حَيْثُ العدَى والأُسْدُ رَابِضَةٌ . . . الخ

« حيثُ ظَرف مكان وَهو مبنيٌّ على الَضم وإنما بُنِىَ لأنه أشبه الحرف من حيث الاستعمال إذا كان يحتاج إلى صلة مثل الذى ويوصل بالجملة الاسمية كقولك (جلست حيث زيدٌ جالس) وبالجملة الفعلية كقولك (جلست حيث يجلسُ زيد) . . وكان البناء ضمّاً لوقوعها موقع الغاية والغاية هى الخبر والخبر مرفوع ، وكذلك قبلُ وبعدُ إذا وقعا غاية » .[2]

ويبدو أن هذا القياس قد أوفى بعض معاصري الصَّفَدي في خطإ لُغَويّ لاحظه هو فقال : « ولقد رأيت جماعة من الفضلاء يكتبون بخطِّهم « وقد نظم المملوكُ أبيات » فإذا أنكرنا ذلك عليهم يقولون قال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك - رحمه الله تعالى :

وَمَا بتَا وَآلِف قَدْ جُمِعَا　　يُكْسَرُ فى الجرّ وفى النَّصْب مَعَا

فأقولَ لهم الَشيخ قال ماجُمع بالألف والتاء وهذا ليس منه ؛ لأنها في المفرد أصل ، فيقولون وكذلك مسلمة التاء فيها أصلية فأقول التاء الأصلية فى مسلمة حُذفتْ فى الجمع ، وكان أصله مسلمتات ، فاستثقل الجمع بين علامتَيْ تأنيث فحذفت الأولى ، وعلى كل تقدير فلابد لهذا الجمع أن يكون جمع مؤنث سالماً ، «وأبيات» جمع مذكر مكَسَّر غير سالم

---

(١) حل المبهم والمعجم ص ٤/و ، ٥/ظ

(٢) الغيث السجم جـ ١ ص ٢٣١ (ط القاهرة) .

فلا يسمعون لما أقول » (١)

ونقل الصفدى عن « بَدْر الدّين بن مَالك » حديثه عن « لا النافية للجنس » . . « فـأعـملوها فى النكرات عـمل ليس تارة وعـمل إنّ أخرى» . (٢)

وقال أبو جمعة « واعلم أن المقتضى لإعراب المضارع هو شبهه بالاسم لفظاً ومعنىً واستعمالا » . (٣)

ولاشك أن فكرة القياس قديمة فى النحو . وقد توسع النحاة فيها بعد ذلك كثيراً ، فليس الشراح بدْعاً في حديثهم عن القياس .

وقد سمي الدكتور إبراهيم أنيس قياس النحو « (القياس المصنوع) » من مثل قولهم أُعْربَ المضارعُ قياساً على الاسمَ أو قولهم نَصَبَتْ « لا » النافية للجنس الاسم ورفعت الخبر قياساً علي « إنّ » لمشابهتها إياها فى التوكيد إلى غير ذلك من أمور ليست إلا صناعة نحوية ولا تمت للقياس بصلة ما ؛ لأنها من علل النحاة المخترعة التى ادَّعَوا ظلماً وتجنياً أن العرب راعوها فى التفرقة بين الأساليب » . (٤)

ويقول الدكتور تمام حسان « والأقرب الى الصواب أن قياس حكم على حكم للاشتراك فى العلّة هو أنسب باستخراج الأحكام الفقهية منه بمنهج دراسة اللغة ، فللأصوليين أن يتكلموا عن الأصل والفرع والعلَّة والحكم ؛ لأن نشاطهم كله يقوم على المضاهاة ، والأقيسة المنطقية أما اللغة - ومنشؤها العُرْف - فإنها تبعد عن القياس بُعْدَ العرف عنه ، والأوْلى أن تدرس كل حالة علي علاتها فى ضوء استقراء شامل ، وأن تستخرج

---

(١) الغيث المسجم جـ ٢ ص ٧٢ .

(١) الغيث المسجم جـ ١ ص ٩١ (ط . القاهرة) .

(٢) إيضاح المبهم ص ٢٧/ و .

(٤) من أسرار اللغة ص ١٤-١٥ . وانظر ما سبق فى الحديث عن القياس الصرفى .

قـاعـدتهـا من هـذا الاسـتـقـراء ولا يُحـمل حكم شئ منهـا على حكم شئ آخر». [١]

فهذه نظرة الوصفيّين للغة يضعونها فى مقابل تلك النظرة المعيارية المتوارثة . [٢]

(جـ) التَّعليـل[٣] :

« إنَّ تأثر النحو بالمنطق لم يكن مقصوراً على القياس بل تعدى ذلك إلى التعليل »[٤] وفى الشروح تعليلات نحوية كثيرة تناثرت في ثناياها فمن ذلك قول الطبري فى شرح البيت :

١٧- إنِّى أُريدُ طُرُوقَ الحَىّ منْ إضَمٍ . . . الخ

« إذا اتصل ياء المتكلم بإنّ وأَنّ (بكسر الهمزة وفتحها) يجوز أن يقال إنّي بلا نون العماد كما فى هذا البيت وأنّنى بإثباتها ، أما الأول فلكراهة اجتماع النونات ، وأما الثاني فللحفظ عن دخول الكسرة كالفعل لكونها مشابهة للفعل » . [٥]

أو قوله « فاعلم أن « لا » هذه - أى التى لنفى الجنس - تعمل عمل إنّ فى نصب الاسم ورفع الخبر ووجهه كون « لا » هذه للنفى « وإنّ » للاثبات ، فحمل « لا » على « إنّ » حمل النقيض على النقيض ، أو كون «لا» لتحقيق النفى وان لتحقيق الإثبات فحمل « لا » على إنَّ حمل النظير على النظير ؛ لأنهما نظيران من حيث التحقيق » . [٦]

---

(١) اللغة بين المعيارية والوصفية ص ٤٢ .

(٢) وانظر كذلك فصلا عن القياس النحوى فى كتاب « أصول النحو العربى » للدكتور محمد عيد ص ٧٥-٩١ ، ورأى ابن مضاء فى القياس ص ٩٥ -١٠٣ ثم حديثا عن القياس فى ضوء علم اللغة الحديث من ص ١٠٥ - ١٢٦ .

(٣) عرف الجرجانى التعليل بقوله « هو تقرير ثبوت المؤثر لإثبات الأثر » التعريفات ص ٣٩ .

(٤) اللغة بين المعيارية والوصفية ص ٤٤ .

(٥) حل المبهم والمعجم ص ٩/ ظ .

(٦) السابق ص ١٤/ و

وفي شرح الصَّفَدي تعليلات كثيرة تتناسب مع مبحث النحو فيه ، فمن ذلك قوله :

« . . وما اسم ناقص بمعنى الذى لا يتم إلاَّ بصلَة وعائد ، ولم يظهر الجرُّ فيه ؛ لأنه مبنى لشبهه بالحرف فى الافتقار . . » .(١)

وفى حديث الصفدى على البيت :

٨- أُريدُ بَسْطَةَ كَفٍّ أَسْتَعِينُ بِهَا . . . الخ

قال « . . أريد فعل مضارع مرفوع لخلوه من الناصب والجازم (فإنْ قلت هذه علة عدمية والعدم لايكون علة للوجود . .) ومال الصفدى إلى رأي الكوفيين ؛ لأنه - كما ذكر - أقوى حجة من رأى البصريين فإنهم قالوا : أعرب بالرفع لوقوعه موقع الاسم وهو باطل . . » .(٢)

وقال فى تعليل تحريك الساكن بالكسر « إذ القاعدة فى السَّاكن أنه إذا حُرِّك كُسرَ ؛ لأنهما أخوَان فى أنَّ كل واحد منهما مختص بنوعٍ من الكَلِم فالجر بالأسماء والجزم بالأفعال » .(٣)

وتحدث الصفدى عن العلل المانعة من صرف الاسم ثم قال :

« فإذا حصل فى الاسم علتان من هذه شابه الفعل فى الفرعية فأعطى ما أعطى ومنع ما منع ...(واستوفيت ذلك فى التعليقة على الحاجبية) .(٤)

وفى شرح البيت :

١٦- فَهَلْ تُعِينُ عَلَى غَيٍّ هَمَمْتُ به ؟

قال « . . وانما كان الاستفهام له صَدر الكلام ؛ لأنه طلب الفهم ،

(١) الغيث المسجم جـ ص ١٣٠ (ط القاهرة) .
(٢) الغيث المسجم جـ ١ ص ١٣١ (القاهرة) وانظر : « الإنصاف » للأنباري مسألة ٧٣ (القول فى علة إعراب الفعل المضارع ص ٥٤٩ وما بعدها) .
(٣) الغيث المسجم جـ ١ ص ٢٧ (القاهرة) . (٤) الغيث المسجم جـ ١ ص ١٨٧ (القاهرة) .

وقيل لأنه طريق إلى الفهم وقيل لأنه قسم من أقسام الكلام فوجب أن يتميز عن غيره من أول مرة ، وقيل لأن أداة الاستفهام تنقل معنى الجملة من الخبر إلى الاستخبار فأشبه النفى والتمنى وغيرهما » .[١]

وتحدث عن علَّة اختصاص الفاعل بالرفع فقال : « قلت إنَّما اختصَّ الفاعل بالفرع لأوليَته وقوته وقلّته ، واختص المفعول بالنصب لتأخُّره وضعفه »[٢]

وعن إعراب الجمع المذكَّر قال :

« وإنما كان إعراب الجمع المذكر بالحروف دون الحركات ؛ لأن الحركات أصل فى الإعراب والحروف فرع عليها ، والمفرد أصل والجمع فرع عليه ، فأعطى الأصلُ الأصلَ والفرعُ الفرعَ طلباً للمناسبة » .[٣]

وفي شرح البيت الأخير من اللّاميّة :

٥٩- قَدْ رشَّحُوك لأمْرٍ إنْ فَطِنْتَ لَهُ
فَارْبَأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرْعَى مَعَ الهَمَلِ

قال « فطنت فعلٌ ماض والتاء ضمير الفاعل وهو المخاطب فارق بين ضمير المتكلم والمخاطب إنَّمَا ضموا تاء المتكلم وفتحوا تاء المخاطَب ؛ لأنَّ الرفع هو العمدة فى الكلام وهو أول الحركات فأعطوا الأول للأولى ؛ لأن المتكلم أوْلى من المخاطَب كما أن المخاطَب أوْلى من الغائب .

وقال رسول الله ﷺ - « ابدأ بنفسك ثم بمن تعول ثم بالناس » وفتحوا تاء الخطاب ؛ لأنها استحقَّت ثاني الحركات وهى الفتحة لما أخذ الأولى الأول » .[٤]

---

(١) الغيث المسجم جـ١ ص ٢١٢ (القاهرة) . (٢) الغيث المسجم جـ ٢ ص ٧ .
(٣) الغيث المسجم جـ٢ص٥٧ ، وقد كرر نفس التعليل فى حديثه على الجمع المؤنث السالم جـ٢ ص٧١
(٤) الغيث المسجم جـ ٢ ص ٣٨٨

وأما « بَحْرَق » فلم يكن شرحه ليحتمل تعليلات النحو لقصَره . . مع ذلك فقد جاء فيه نزر يسير من تلك العلَل مثل قوله : «حَرَّى لَا ينصَرف لما فيه من الوصفية والتأنيث على أن تاء اَلتأنيث وحدها كافية لمنع الصرف ؛ لان لزوم التأنيث قائم مقام علة ثانية بخلاف التأنيث بالتاء » . (١)

وذكر جلال بن خَضر » بعض التعليلات كما في شرح البيت :

١٧- ... وَقَدْ حَمَاهُ رُمَاةٌ مِنْ بَنِي ثُعَلِ

قال : « ثُعَل . . . غير منصرف للعَلَميَّة والعدل التقديري ، أى معدول عن فاعل تقديراً ، وإنما صُرِفَ هنا للضَّرورة » . (٢)

وذكر « أبو جُمْعَة » علَلاً كثيرة منها تعليل عمل إنَّ عمل الفعل في قوله : « وإنما عملت هذا العَمل وان كان حرفا لكونها شبيهة بالفعل باتفاقهم إلاَّ أنهم اختلفوا . . » . (٣)

وعلَّل أبو جمعة تنوين أخيراً وأولاً فقال :

« وإنما نُوِّنَ لأنه لَمّا لَمْ يجرِ صفة على غيره ولا استعمل مُعدّىً بمعنى خفيَ فيه معنى الوصفية فصُرِفَ لعدم استقلال علية الوزن المنع » . (٤)

وتحدث عن عامل الجزم فى فعل الشرط وذكر آراء النحاة وتعليلهم ذلك فقال :

« وذهب « أبو العباس المُبَرِّد » وأتباعه إلى أن فعل الشرط مجزوم بأداته وهما جازمان لفعل الجواب؛ لأنهما صَارا كالشيء الواحد لضعف الحرف عن العمل فى فِعْلَيْه وهذا التعليل ضعيف » . (٥)

---

(١) نشر العلم ص ٣٠ .
(٢) نبذ العجم ص ٧٦/ ظ ، ٧٧/ . ، وفى الغيث المسجم « وإنما صُرِفَ هنا للضرورة على قول أو للتناسب على قول جـ١ ص ٢١٨ (القاهرة) .
(٣) إيضاح المبهم ص ٥٠/ ظ . (٤) إيضاح المبهم ص ١١/ و . (٥) إيضاح المبهم ص ٨٣/ و .

وهذه الأمثلة وغيرها مما تناثر فى الشروح تبين كيف كانت (علل النحو) [١] مما شغل الشراح تأكيداً على استمرار التفكير النحوى المتوارث ، وليس هذا حكماً علي ذلك التفكير بقدر ما هو رصد له ؛ لأن هذه العلل مما نجد عند ابن جنى ومما هو متصل فى كتاب « الانصاف فى مسائل الخلاف للانباري ، وغيرها من كتب النحو . هذا ما صنعته كتب النحو واتبعتها الشروح ، أما المحدثون فلم ترق لهم هذه العلل النحوية فدرسوها وفندوها .

يقول الدكتور تَمّام حَسّان « والعلّة الصورية معترف بها فى العلم ؛ لأنها تصف الوضع المعين ، وتصف كيَفية حدوثه ، أما العلة الغائية فغير معترف بها علمياً ؛ لأنها تتكلم - أكثر ما تتكلم - عن أمور غيبية لا سبيل إلى اختبار صدقها أو كذبها ، ومن قبيل العلل الغائية علل النحاة التى يوردونها لرفع الفاعل والمبتدأ والخبر ونائب الفاعل واسم كان وخبر إنَّ ، وفي نصب المنصوبات وفى منع بعض الأسماء من الصَّرف وفى بناء المبنيَّات وإعراب المعربات وهَلُمَّ جرّاً » . [٢]

وهكذا نجد « أن موقف التعليل من اللغة أحد أمرين ، إما أن يضعها أو يصف ذهن مبدعه من النحاة ، والأول لا يحدث فيه الخلاف ؛ لأن الوصف بطبيعته موضوعي ، أما الثانى فهو الذى يحدث فيه الخلاف والاضطراب وهذا ماحدث » . [٣]

وقد لا نغالى إذا قلنا إنّ هذه النظرة الوصفية للغة هي نفس نظرة ابن مضاء في كتابه « الرَّدّ على النُّحَاة » حيث يرفض علَل النحاة الغائية بقوله : « وكما أنّا لا نسأل عن عين عظِلم وجيم جَعْفَر وباَء بُرثُن [٤] لِمَ فُتِحَتْ هذه

---

(١) يُلاَحظ أن المنطق الصورى قد قسَّم العلل إلى أربعة هى (المادية والصورية ، والفاعلية والغائية)
انظر : التعريفات للجرجانى ص ٨٨ .

(٢) اللغة بين المعيارية والوصفية ص ٤ . (٣) أصول النحو العربى د . محمد عيد ص ١٧٧ .

(٤) عِظِلم نَبتٌ ، وبُرثُن : مخلَبُ السَبع والطائر الجارح .

وضُمَّتْ هذه وكُسرَتْ هذه ، وكذلك أيضا لا نسأل عن رفع « زيد » ، فان قيل زيد متغيِّرُ الآخر ، قيل كذلك عظلم يقال في تصغيره بالضم وفى جمعه على فَعالل بالفتح . فإن للاسم أحوالاً يُرفع فيها وأحوالاً يُنصَب فيها وأحوالاً يُخْفَض فيها ، قيل إذا كانت تلك الأحوال معلومة بالعلل الأولى ، الرفع بكونه فاعلاً أو مبتدأ أو خبراً أو مفعولا لم يُسَمَّ فاعله والنصب بكونه مفعولاً ، والخفض بكونه مضافاً إليه ، صار الآخرُ كالحرف الأول الذي يُضَمُّ فى حال ويفتح فى حال ويُكْسَرُ في حال يُكسَر فى حال الإفراد ، ويُفتح فى حال الجمع ويُضم فى حال التصغير » .[1]

ولكن رأى ابن مضاء لم يكتب له أن يأخذ مكانه بين آراء النحاة الا عندما أعاد الدكتور شوقى ضيف إحياء كتابه الصغير « الرَّدُّ على النُّحَاة» وهكذا تجدَّدَ الحديث حول قيمة التعليل فى خدمة اللغة ، ويهمنا أن نقرر هنا ما نعتقده من أن انسياق الشراح وراء النحاة لم يخدم اللغة في تلك العصور المتطاولة .

(د) إزدواجية الإعراب فى بعض الأبواب النَّحْوِيَّة :

« ترتب على اهتمام النحاة المتأخرين بالإعراب - على ظنهم أنه أكثر الوسائل وضوحاً فى الإبانة عن المعنى . ازدواجية الإعراب والبناء فى باب واحد ، مثل باب (لا النافية للجنس) و (المنادى المفرد والمعرفة)[2] ، وفى الشروح شيء من هذا الازدواج ، وأوضح مثال على هذه الازدواجية هو باب (لا النافية للجنس) يقول « الطَّبَرى » فى إعراب البيت :

٢٤٢- يَقْتُلْنَ أَنْضَاءَ حُبٌّ لاَ حَرَاكَ بِهَا وَيَنْحَرُونَ كِرَامَ الخَيْلِ والإِبِلِ

« . . اختلف النحاة فى الاسم الذى بعد « لا » هذه إذا كان مفرداً

---

١) الرد على النحاة ص ١٣٧ - ١٣٨ .

٢) د . محمد صلاح الدين بكر . نظرة في قرينة الإعراب ، الكويت ١٩٨٤ م . (ص٤٢-٤٣)

مثلما في البيت، فذهب أكثر البصريين إلي أنه مبنيٌ على الفتح، والكوفيون وبعض البصريين إلى أنه معرب والفتحة فيه إعراب ولكُلٍ حُجَج .. فقوله «لا حَراكَ» مبنىّ مع «لا» على الفتح على مذهب أكثر البصريين وهو الحق» .[١]

وأما الصفدى فقد نقل كلام ابن مالك فقال : «قال الشيخ «بدر الدين»[٢] وقد أخرجوا من هنا «لا» فاعملوها فى النكرات عمل «ليس» تارة وعمل «إنَّ» أخرى .. فإذا قُصد بالنكرة بعدها استغراق الجنس صح فيها أن تحمل على «إنَّ» فى العملَ؛ لأنها لتوكيد النفى وإنَّ لتوكيد الإيجاب ..» .[٣]

وعن اسمها نقل : «إمَّا أن يكون مضافاً أو شبيهاً بالمضاف أو مفرداً وهو ماعداها :

فإنْ كان مضافا نُصب نحو : لا صَاحبَ برٍّ ممقُوت .. وكذلك إنْ كان شبيهاً بالمضاف وهو ما بعده شئ هو من تمَام معناه نحو :

«لا قَبيحاً فُعْلُهُ مَحبُوب»

وأما المفرد فيبنى لتركبه مع «لا» تركيب خمسة عشر ولتضمنه معنى الجنسية بدليل ظهورها فى قول الشاعر :

فَقَامَ يَذُودُ النَّاسَ عَنْهَا بِسَيْفِهِ وَقَالَ أَلا لامِنْ سَبيلٍ إلى هِنْدِ

«فيلزم الفتح بلا تنوين - إن لم يكن مثنى أو جمع تصحيح ، وذلك نحو : لا بخيلَ محمود ، ولا حَوْلَ ولا قُوَةَ إلاَّ بالله) .[٤]

---

(١) حل المبهم والمعجم ص ١٤/و .

(٢) هو ابن الناظم .

(٣) الغيث المسجم جـ١ ص ٩١ (القاهرة) .

(٤) الغيث المسجم جـ١ ص ٩١ (القاهرة) .

وفى اعراب البيت :

٥- فَلا صَدِيقَ إليهِ مُشْتَكى حَزَنِي ولاأنيسَ إليهِ مُنْتَهَى جَذَلِي

قال « «لا » هي التى لنفى الجنس وصديق اسمها وهو مبني على الفتح معها والخبر محذوف تقديره فيها أي في بغداد أو تقديره لى ، وأناأختار أن يكون صديق هنا مبنياً على الفتح » .[1]

ويقول « ابن مبارك » فى إعراب البيت السابق ويجوز فتح صديقَ وأنيسَ علي إعمال « لا » التى لنفى الجنس ورفعهما منونين للمغايرة بينهما كما في « لا حولٌ ولا قوةٌ » .[2]

واتفق ابن خَضر على إعراب اسمها مبنياً على الفتح ، وذكر الوجه الآخر وهو الرفع والتنوين [3] ، وأعرب أبو جمعة البيت اعتماداً على الرواية فقال : « والذى رويناه عن شيخنا - أعزه الله - الفتح فيهما » .[4]

وهذا الخلاف كان مجرد سرد لأوجه الإعراب كما نقله الشراح عن النحاة ولا جديد فيه ولا خلاف حوله ، إلاّ أن الذى أنشأ الخلاف هو : هل هناك فرق فى المعنى بين إعراب اسم « لا » فى البيت السابق بالفتح على أنه مبنى ، وإعرابه بالضم والتنوين على إعمال « لا » عمل « ليس » والخبر محذوف ؟

قال الصفدى « ورأيت جماعةً من الفضلاء كتبوا القصيدة بخطهم ورفعوا صديقاً ونونوه على هذا تكون « لا » بمعنى « ليس » والفرق بين «لا» وبين « ليس » أنَّ « ليس » تنفى الواحد ولا تنفى الجنس ؛ لأنَّك إذا قلت : لا رجلَ فى الدار (بالفتح) معناه ليس فى هذه الدار هذا الجنس

---

(١) الغيث المسجم جـ١ ص ٩٢ (القاهرة) .
(٢) نشر العلم ص ٨ .
(٣) نبذ العجم ص ٢٣/ و .
(٤) ايضاح المبهم ص ٢٢/ و .

. . . وإذا قلت لا رجلٌ (بالضم والتنوين) كان معناه نفي الرجل الواحد . . . وينبغى أن يكون النفى عاماً ليُؤكِّد انفراده وغربته فلهذا كان النصبُ أوجبَ من الرفع ». [1]

وهذا الذى زعمه الصفدى هو رأى « الحريرى » - الذى نلاحظ إعجاب الصفدى بأسلوبه - يقول الحريرى : « لا يفرقون بين قولهم لا رجلَ في الدار ولا رجلٌ عندك والفرق بينهما انك اذا قلت لا رجلَ فى الدار (بالفتح) فقد عممت جنس الرجال بالنفى . . وإذا قلت لا رجلٌ فى الدار (بالرفع) فالمراد بالنفى الخصوص » . [2]

وقال ابن خضر « والفرق بين الوجهين أن « لا » على الأوَّل لنفى جنس الصديق فتنفى أفراده وأما على الثانى فالمنفى وجود صديق واحد» . [3] فهو يتفق مع الصفدى .

ويخالف ابن مبارك هذا الزعم فيقول : « ولا يلزم من إهمالها لتكرار أن تكون كليس لنفي الوحدة بل هى باقية على استغراقها خلافاً لما توهمه الشارح ، فقراءة الرفع فى « لا لَغْوٌ فيهَا ولا تأثيم ». [4] ونحوه كقراءة الفتح فى المعنى والخبر محذوف تقديرهَ فيها » . [5]

وقال أبو جمعة لا شك أن الرفع ليس بنص فى الاستغراق ، ولكن لم لا يجوز أن يحصل عليه لظهوره فيه ، ويتأيد ذلك بمعرفة المقام » . [6]

---

(١) الغيث المسجم جـ ١ ص ٩٢ (القاهرة)

(٢) دُرَّة الغَوَّاص فى أوهَام الخَوَاص : للحريرى ، نهضة مصر - القاهرة ١٩٧٥ ، ص ٢٦٤ .

(٣) نبذ العجم ص ٢٣/ ظ .

(٤) سورة الطور آية ٢٣ قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى برفع الواو والميم مع التنوين « لا لغوٌ فيها ولا تأثيمٌ » والباقون بفتح الواو والميم مع عدم التنوين (انظر الارشادات الجلية فى القراءات السبع : محمد سالم محيسن . مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ١٩٧١ م ، ص ٤٤٤

(٥) نشر العلم ص ٨ .

(٦) إيضاح المبهم ص ٢٢/ و .

وهكذا ظن النحاة - ومعهم بعض الشراح - أن الإعراب هو «الطريق السليمة للوصول إلى المعنى »[١] وإذا كان ابن مبارك وأبو جمعة قد رفضا أن يكون الارتباط بإعراب محدد للوصول إلى معنى محدد فالحق أن هذا ماتدعمه الدراسات اللغوية الحديثة ؛ لأنَّ هذا التحديد هو فرض للقانون على اللغة ، ولو أن المشكلة من أساسها هى فى تعدد الأوجه الإعرابية بلا دَاعٍ ولا فائدة .

(هـ) الإعرابُ المحلّى والإعرابُ التقديرى :[٢]

دأب الشراح على إعراب الجُمَل وأشباه الجمل ، فمن ذلك قول «العُكبَرِيّ » فى شرح البيت :

٣٥- إنَّ العُلَى حَدَّثَتْنِى - وَهْىَ صَادِقَةٌ -

فِيمَا تُحَدِّثُ أَنَّ العِزَّ فِى النُّقَلِ

«والجملة من قوله ، أن العز فى النقل «في محل نصب بقوله تحدث»[٣]

وقول « الطَّبَرى » فى شرح البيت :

٢٠- فالحِبُّ حَيْثُ العِدَى والأُسْدُ رَابِضَةٌ .... الخ

« وحيث مع مابعدها فى محل الرفع بكونها خبر المبتدأ الذى هو الحِب» .[٤]

وقال فى إعراب البيت :

٢٦- لَعَلَّ إِلْمَامَةً بالجِزْعِ ثَانِيَةً

يَدِب منهَا نَسيمُ البُرْءِ فِى عِلَلِى

---

(١) نظرة فى قرينة الإعراب ص ٤٥ - مرجع سابق .

(٢) يلاحظ أن التقدير داخل فى الإعراب باعتباره جزءاً أساسياً منه (يقول الجرجانى فى تعريف الإعراب : هو اختلاف آخر الكلمة باختلاف العوامل لفظاً او تقديراً) التعريفات ص ٢٤ .

(٣) شرح العكبري ص ١٠/ ظ .

(٤) حل المبهم والمعجم ص ١٢/ و .

« قوله يَدبُّ منها نسيمُ البُرْءِ جملة فعلية محلها النصب بأنه صفة لإلمامة أو حال عَنها » .[١]

وقال الصفدى فى إعراب البيت :

٨- أُرِيدُ بَسْطَةَ كَفٌ أستعِين بِهَا ... الخ

« موضع أستعين النصب على ثلاثة أوجه : إما على أنه مفعول لأجله ، أو على أنه حال ، أو على أنه صفة لبسطة » .[٢]

وفى شرح البيت :

٥٢- وَشَانَ صِدْقَكَ عِنْدَ النَّاسِ كِذْبُهُمُ ... الخ

« كذبهم . . الهاء والميم ضمير جمع عاقل يرجع إلى الناس وهو فى موضع جرٍّ بالإضافة » .[٣]

وفى شرح ابن مبارك البيت :

٣٥- إنَّ العُلى حَدَّثَتنِى ...   ... أنَّ العزَّ فِى النُّقَلِ

« وأما قوله أن العز فى النقل فبفتحها ؛ لأنَّها في محل المفعول الثانى يحدثتنى » .[٤]

وفى شرح ابن خَضر للبيت :

١٥- تَنَامُ عَنِّى وعَيْنُ النَّجْمِ سَاهِرَةٌ ... الخ

قال « عين النجم مبتدأ ، ساهرة خبره ، والجملة حال » .[٥]

وفى إعراب أبى جمعة للبيت :

---

(١) حل المبهم والمعجم ص ١٥/و .
(٢) الغيث المسجم جـ١ ص ١٣٢ . (القاهرة)
(٣) الغيث المسجم جـ٢ ص ٣١٤ .
(٤) نشر العلم ص ٤٤ .
(٥) نبذ العجم ص ٧٠/و .

٨- أريدُ بسطةَ كف أستعينُ بهَا ... الخ

قال : « وجملة أستعين من الفعل والفاعل المستتر فيه وجوبا لا محل لها مستأنفة في معنى التعليل للإرادة ، ويجوز أن تكون في محل نصب على أنها نعت بسطة كف . ولا يجوز أن تكون في محل الحال من فاعل أريد لعدم المقاربة اللهم إلا أنْ تجعلها مقدرة فيجوز ، والوجه الأول أوضح» .[١]

وفي شرح البيت :

١٢- ... واللَّيلُ أغْرَى سَوَامَ النَّوْمِ بالمُقَلِ

قال « أبو جمعة » : « وجملة أغرى سوام النوم في محل رفع على أنها خبر المبتدأ ، وجملة المبتدأ وخبره في محل نصب على أنها حال من فاعل طردت أو من مفعوله أو منهما » .[٢]

وفي إعراب البيت :

٣٩- أعَلِّلُ النَّفْسَ بالآمالِ أرقُبُهَا ... الخ

« وجملة أرقبها يحتمل أن تكون مستأنفة على أنها توكيد للجملة التي قبلها وهو أظهر ، ويحتمل أن تكون بدلاً منها على أنها بدل اشتمال كقوله :

أَقُولُ لَهُ ارْحَلْ لا تُقِيمنَّ عِنْدَنَا [٣]

ويرى اللغويون المحدثون أن الاعراب المحلى مغالاة من النحاة في تقدير أثر الإعراب فهم « يخالفون النحاة فيما قالوه عن الإعراب المحلى وأثره في بيان المعنى الوظيفى أو الدلالى . . وأنه لا اعتبار له من وجهة النظر الوصفيَّة» .[٤]

---

(١) إيضاح المبهم ص ٢٨/ و .
(٢) إيضاح المبهم ص ٣٧/ ظ .
(٣) إيضاح المبهم ص ٩٩/ و .
(٤) نظرة فى قرينة الإعراب ، ص ٤٢ .

وكـمـا صنع الشـراح فى الإعـراب المحلى صنعـوا فى الإعـراب التقديرى تبعاً للنحاة . ففى شرح العكبري للبيت :

٢- . . .   . . . والشَّمْسُ رَأْدَ الضُّحَى كَالشَّمْسِ فِى الطَّفَلِ

« والشمس مبتدأ ورَأْدَ الضُّحى ظرف زمان والعامل فيه مقدر أى شرف الشمس وكالشمس خبر عنها وتتعلق بمحذوف » .(١)

ويقول « الطَّبرى » في شرح البيت :

٤- نَاءٍ عَنِ الأَهْلِ ....   كَالسَّيْفِ عُرِّىَ مَتْنَاهُ عَنِ الخِلَلِ

« وقوله عرى متناه جملة فعلية وقعت حالاً عن السيف ، وقد مقدرة فيها » .(٢)

وفي شرح « ابن مبارك » للبيت :

١٣- والركبُ مِيل على الأكْوارِ مِنْ طَرِبٍ
صَــاحٍ وآخَــر مِنْ خَمْرِ الكَـرَى ثَمِـلِ

« ومن في قـوله « منْ طَرِب » بمعنى بين مـتعلقـة بمحـذوف تقـديره منقسمين بين طَربٍ وثَملٍ » .(٣)

وكـذلك فَعَلَ الصـفدى فى شرح البـيت السـابق قـال « وهذا الجـارُّ والمجرور فى مـوضـع الحـال وإذا كـان الجـار والمجـرور حـالاً فـلابد له من التعلق بمحذوف هو العامل فيه وتقديره هنا والركب مائلون منقسمين» .(٤)

---

(١) شرح العكبرى ص٢/و .
(٢) حل المبهم والمعجم ص ٥/و .
(٣) نشر العلم ص١٨ .
(٤) الغيث المسجم جـ١ ص ١٨٦ (القاهرة) .

واتفق أبو جمعة معه إذ يقول « منْ طَرِبٍ » متعلق بمحذوف على أنه حال من الضمير المستتر في ميلٍ » .[١]

ويقول « الصَّفَدى » والظرف ينتصب بالمعنى فالفاعل فيه معنى الاستقرار » .[٢]

ولا شك أن هذا الإعراب التقديرى من فعل النحاة وهو مرتبط بنظرية العامل ، والشراح يسيرون على درب النحاة .

أما « ابن مَضَاء » فقد اعترض على ذلك فقال « يزعم النحاة أن قولنا زيد فى الدار متعلق بمحذوف تقديره زيد مستقر في الدار . . . وهذا كله كلام تام لا يفتقر السامع له إلى زيادة كائن ولا مستقر »[٣] ورأى ابن مضاء يلتقى مع نظرة المحدثين الوصفية .[٤]

(و) معَانِى الحُروف :

ومن الموضوعات النحوية التى تعرض لها الشراح في شروحهم الحروف ومعانيها ، فمن ذلك قول « العُكْبَرِى » فى شرح البيت :

---

(١) إيضاح المبهم ص ٤١/ و جاءت من بمعنى بين كذا وكذا كثيرا في كلام العرب قال أبو زُبَيْد :

عَمًّا قَليل علَوْنَ جُثَّةُ   فَهُنَّ منْ وَالغ ومُنْتَهِس

أى بينَ وَالغ ومنتَهِس (طبقاتَ فحول الشعراء ص ٦١١)

وقال أبو العلاء :

والقَولُ كالخَلْق منْ سَيْءٍ ومنْ حَسَنٍ   والناس كَالدَّهْر منْ نُور وظَلْماء .

وتقول العرب جَاء القوم مَنْ فارسٍ وراجل أى بينَ فَارسٍ وراجل .

(انظر شرح المختار من لزوميات أبى العلاء ص ٥٠) .

(٢) الغيث المسجم جـ ١ ص ٧٨ .   (٣) الرد على النحاة ص ٨٧ .

(٤) انظر : نظرة فى قرينة الإعراب ٣٨ - ٤١ .

وقد حذف الدكتور شوقى ضيف الإعراب التقديرى فى مثل (الفتَى ، الهُدَى) وألغى تقدير متعلق الظرف ، والجار والمجرور فى كتابه (تجديد النحو ص ٢٣ - ٢٥) .

٢٢- .... مَا بِالكَرَائِمِ مِنْ جُبْنٍ وَمِنْ بَخَلِ .

« ومن للبيان »(١)

وقال « الطبري » في شرح البيت :

١٦- فَهَلْ تُعِينُ عَلَى غَيٍّ ... الخ

« والفاء في قوله فهل تعين للتعقيب » . (٢)

وفى شرح البيت :

١٧- إِنِّى أُرِيدُ طُرُوقَ الحَىِّ مِنْ إِضَمٍ وَقَدْ حَمَاهُ رُمَاةُ الحَىِّ مِنْ ثُعَلِ

« وِمنْ فى إضم للتبيين وكذا « مِنْ » في « مِنْ ثُعَلٍ » لصحة وضع «الذى » مكَانها في الموضعين » . (٣)

وفي شرح البيت :

٣١- فَإِنْ جَنَحْتَ إِلَيْهِ فَاتَّخِذْ نَفَقاً فِى الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِى الجَوِّ فَاعْتَزِلِ

قال « وأو فى قوله أو سلماً للتخيير والإباحة كما فى قولهم : (جَالِسِ الحَسَنَ أَوْ ابن سيرين) . »(٤)

أما « الصفدى » فحديثه عن الحروف ومعانيها حديث طويل فقد استقصى كل معانى الحرف الذى يتحدث عنه وضرب الأمثلة على هذا ، فمن ذلك كلامه عن الكاف فى شرح البيت :

٢- . . . . وَالشَّمسُ رَأْدَ الضُّحَى كَالشَّمسِ فِي الطَّفَلِ

---

(١) شرح العكبري ص ص ٧ / ظ

(٢) حل المبهم المعجم و ص ٩/ ظ .

(٣) حل المبهم والمعجم ص ١٠/ و ، ١٠/ ظ

(٤) حل المبهم والمعجم ص ١٧/ ظ .

«الكاف تجيء في الكلام لمعان منها : «أن تكون للتعليل كقوله تعالى ﴿ فَاذْكُرُوه كَمَا هَدَاكُم ﴾[١] وزائدة كقوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْء ﴾[٢].

ثم استطرد حول رأى النحاة في زيادتها . . وتخرج الكاف عَن الحرفية إلى الاسمية فتكون فاعلاً كقول الشاعر :

أَتَنْتَهُونَ ؟ وَلَنْ يَنْهَى ذَوِى شَطَطٍ
كَالطَّعْنِ يَذْهَبُ فِيهِ الزَّيْتُ والفُتُلُ[٣]

وتكون مجرورة كقوله :

وصاليات ككما يُؤَثْفَينَ »[٤]

وهكذا تحدث الصفدى حديثا طويلا عن كثير من الحروف وعن معانيها واستخدامها في القرآن والشعر فتحدث عن الباء[٥] وعن الفاء فقال :

« أصل وضع الفاء للترتيب المتصل و الترتيب على ضربين :

١ - ترتيب في المعنى .   ٢ - ترتيب في الذكر .. الخ »[٦].

وتحدث الصفدى عن « إلى » فقال : « إلى » تأتي في العربية لمعان . . تأتى لانتهاء الغاية لأنها تقبل « مِنْ » في الابتداء . . قال

---

(١) آية ١٩٨ سورة البقرة .   (٢) آية ١١ من سورة الشورى .

(٣) البيت للأعشى ، انظر (معاني الحروف للرماني) تحقيق الدكتور عبد الفتاح شلبى ، دار الشروق جدة ط ٢ ، ١٩٨١ م ، ص ٤٧ - ٥٠ .

(٤) الشعر للخطام المجاشعى وانظر معانى الحروف ص ٤٩ وهذا مما لجأ فيه الشاعر للضرورة ، قال القزاز القيروانى : ومما يجوز له إدخال الكاف على الكاف مثل قول الشاعر « وَصَاليات ككما يُؤَثْفَينَ »

قال المحققان : هو من شواهد « سيبويه » من قصيدة خَطَّام المُجَاشعى ، انظر ضرائر الشعر للقزاز القيروانى ، بتحقيق د. محمد زغلول سلام ، ود. محمد مصطفى هدارة ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٧٣ . الغيث المسجم جـ ١ ص ٧٨-٧٩ .

(٥) الغيث المسجم جـ ١ ص ٩٩ .

(٦) الغيث المسجم جـ ١ ص ١٩٦ (القاهرة) . وانظر حول الفاء (معانى الحروف ص ٤٣ - ٤٧)

تعالى ﴿انظُرُوا إلى ثَمَرِه إذَا أثْمَرَ﴾ [١] وتأتى بمعنى « مع » وهو قليل . .
وتأتي بمعنى « فى » كقولَ النابغة :

فَلاَ تَتْرُكَنِّى بالوَعيد كأنَّنى إلى النَّاسِ مَطْلِيٌّ به القَارُ أجْرَبُ » [٢]

وتحدث عن « ما » وذكر من معانيها عشرة معان . [٣]

وتحدث عن « أو » وذكر لها معانى سبعة . [٤]

وفي شرح « الصفدى » للبيت :

٥٤ - يَاوَارِداً سُؤرَ عَيْشٍ كُلُّهُ كَدَرٌ أنفَقْتَ صَفْوكَ فى أيَّامكَ الأُوَل

قال « وحروف النداء خمسة وهي الهمزة وأى ويا وأيا وهيا . . » . [٥]

وأما « ابن مبارك » فلم يتطرق فى حديثه للحروف ، وتحدث « ابن خَضِر » عن بعضها عَرَضاً مُبَيِّناً معناها فى البيت كقوله فى شرح البيت :

٥ - فَلا صَدِيقَ إليه . . . . الخ

« الفاء للتعقيب » [٦]

أو قوله فى شرح البيت :

١٤ - فقلتُ أدعوكَ . . . الخ

---

(١) آية ٩٩ سورة الأنعام .

(٢) الغيث المسجم جـ ١ ص ٢٢٥ (القاهرة)
وانظر معانى الحروف ص ١١٠ ، وقد جعل الرمانى من معان الى « عند » .

(٣) الغيث المسجم جـ ١ ص ٢٤٧ - ٢٤٨ (القاهرة) .
ومعانى الحروف ص ٨٦ - ٩١ . وقال : تكون اسما وحرفا فإذا كانت اسما كان لها خمسة مواضع ، وإذا كانت حرفا كان لها خمسة مواضع أيضا .

(٤) الغيث المسجم جـ ٢ ص ٥٠ والرماني ص ٧٧ - ٨٠ .

(٥) الغيث جـ ١ ص ٣٣٤ .

(٦) نبذ العجم ص ٠٣/و . وأما « الصفدى » فجعلها هنا للمصاحبة ، الغيث المسجم جـ ١ ص ٩٠ (القاهرة) .

« الفاء فصيحة »[١]

« ولأبى جمعة » بعض إشارات إلى معانى الحروف ، كقوله فى شرح البيت :

٣٨- لَعَلَّهُ .... نَامَ عَنهُم أَوْ تَنَبَّهَ لِى

« أو : يحتمل أن تكون بمعنى الواو كقوله :

« مَابَيْنَ مُلْجِمِ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعِ »

وهذا هو الأظهر ، ويحتمل أن تكون للتفصيل » .[٢]

وفي شرح البيت :

٥٢- .... وهَلْ يُطَابَقُ مُعْوَجٌّ بِمُعْتَدِلِ

قال : « هَلْ » في البيت بمعنى النفى كقوله تعالى ﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ﴾ .[٣]

(ز) مَسَائِلُ الخِلاَف :

وتعرض أصحاب الشروح المطولة للخلافات النحوية ، فقال «الطبري » متحدثاً عن « لا » النافية للجنس في شرح البيت :

٢٤- يَقْتُلْنَ أَنْضَاءَ حُبٍّ لاَ حَرَاكَ بِهَا .... الخ .

« اختلف النحاة فى الاسم الذى بعد « لا » هذه إذا كان مفرداً مثلما

---

(١) نبذ العجم ص ٦٥/ ظ . والصفدى أيضا يعدها فاءً فصيحة ، وقال سمَّاها أربابُ المعانى الفاء الفصيحة لكثرة ورودها فى القرآن فهى من جملة فصاحته ، الغيث جـ ١ ص ١٩٦ - ١٩٧ (القاهرة) .

(٢) إيضاح المبهم ص ٩٦/ ظ ، وقال فى (معاني الحروف) وأما أهل الكوفة فذهب قوم منهم إلى أن أو بمعنى الواو ، وكذلك قالوا فى قوله تعالى ﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ زعموا أن معناه لعله يتذكر ويخشى ص ٧١

(٣) آية ٦٠ سورة الرحمن . وإيضاح المبهم ص ١٢٩/ و .

في البيت فذهب أكثر البصريين إلى أنه مبني على الفتح والكوفيون وبعض البصريين إلى أنه معرب والفتحة فيه فتحة إعراب ولكلٍّ حُجَج [١]» .

ثم رَجَّح الطبري رأى البصريين فقال: «فقوله : حَرَاكَ مبنى مع «لا» على الفتح على مذهب أكثر البصريين وهو الحق [٢]» .

ويميل «الصفدى» أيضا لرأى البصريين ولكنه ربما اختار رأى الكوفيين مثلما نجد فى حديثه عن تعليل إعراب المضارع بالرفع ، فإنَّهُ اختار رأى الكوفيين ؛ لأنه كما قال :

«أقوى حجة من رأى البصريين فإنهم قالوا أُعربَ بالرفع لوقوعه موقع الاسم وهو باطل» [٣]

وفي شرح البيت :

٣٩- ...... مَا أَضْيَقَ الدَّهْرَ لوْلا فُسْحَةُ الأَمَلِ

قال : «واختُلف فى أفعل التعجب فقال قومٌ إنه فعل ؛ لأنه تدخله نون الوقاية ، تقول مَا أكرمنى وهى مما يدخل على الأفعال ، وهذا مذهب البصريين وقال الكوفيون إنه اسم ؛ لأنه يُصَغَّر وأنشدُوا على ذلك :

يَا أُمَيْلِحَ غِزْلاَنَاً شَدَنَّ لَنَا ... هؤ هَاؤلَيَّاء بَيْنَ الضَّالِ والسَّمُرِ

.. ومذهب البصريين أقوى لأدلة ذكرت في مواطنها» [٤] .

---

(١) حل المبهم والمعجم ص ١٤/و .

(٢) المصدر السابق ص ١٤/و ، وانظر الإنصاف فى مسائل الخلاف للأنبارى مسألة ٥٣ ، تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، ١٩٨٢ . ص ٣٦٦ - ٣٧٠

(٣) الغيث المسجم جـ ١ ص ١٣١ (القاهرة) .

(٤) الغيث المسجم جـ ١ ص ١٣٤ ، وانظر الانصاف ، مسألة ١٥ ، ص ١٢٦ ومابعدها ، والبيت ليدوى اسمه كاهل الثقفى كما نسبه محقق كتاب الإنصاف استناداً إلى دُمْيَة القصر .

وأما « ابن مبارك » وابن خضر » فلم يتعرضا لهذه الخلافات النحوية بينما شغل « أبو جمعة » صفحات كثيرة من شرحه بتلك الخلافات فهو أكثر الشراح اعتقاء بها ، وهو غالبا يرجح مذهب البصريين كما نلمس فى قوله :

« واعلم أن العامل فى المفعول به عند البصريين هو الفعل الذى يتطلبه فى المعنى وهو الحق » . (١)

وقد يرصد « أبو جمعة » آراء النحاة لمجرد الاستقصاء والتفصيل ونو يفعل ذلك كثيراً ، فمن ذلك حديثه عن « واو رُبَّ » فقد ذكر مذهب البصريين والكوفيين واختيار الزمخشرى ومذهب الزجاج . . الخ » . (٢)

وأخيراً تحدث أكثر الشراح فى مسألة وقوع الفعل الماضى حالاً . (٣)

فقال « الطَّبَرى » في شرح البيت :

٤ - .... كَالسَّيف عُرِّىَ مَتْناهُ عن الخِلَلِ

« وقوله عُرِّى متناه جملة فعلية وقعت حالا عن السيف وقد مقدرة فيها ؛ لأن الفعل الماضى المثبت إذا وقع حالاً لابد فيه من قد إما ظاهرة أو مقدرة لتقربه من الماضى إلى الحال لتناف بين الماضى والحال ، ولهذا سميت حرف التقريب » . (٤)

« والصَّفَدي » متفق على أن الماضى يقع حالاً ، ويجري على هذا الرأى دائماً ، ولكنه لَم يتحدث عن اشتراط « قَدْ » معه ، يقول في إعراب البيت :

---

(١) إيضاح المبهم ص ٣٠/ و ، وانظر الإنصاف مسألة ١١ ، ٧٨ ومابعدها .

(٢) إيضاح المبهم ص ٣٢/ و ، ٣٢/ ظ .

(٣) عالج الأنبارى هذه المسألة في الإنصاف برقم ٣٢ ، ص ٢٥٢ ومابعدها فقال : ذهب الكوفيون إلى أن الفعل الماضى يجوز أن يقع حالاً ، وإليه ذهب أبو الحسن الأخفش من البصريين وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز أن يقع حالا ، وأجمعوا على أنه إذا كانت معه قد أو كان وصفاً لمحذوف فإنه يجوز أن يقع حالاً .

(٤) حل المبهم والمعجم ص ٥/ و .

١٢- .... والَلّيْلُ أَغْرَى سَوَامَ النومِ بالمُقَلِ

« وقوله : « واللّيل أغرى سَوَامَ النَّوْم بالمُقَل » فى موضع النصب على الحال » .[١]

وأفاض « أبو جمعة » في حديثه على هذه المسألة تعليقاً على البيت السابق فقال :

« ومذهب البصريين أن الماضى المثبت لابد معه من « قد » ظاهرة أو مقدرة حالاً ، لما بين الماضى والحال من التنافي فى الظاهر لا فى الحقيقة . . . وأما ما ذهب إليه أكثر الكوفيين واختاره ابن مالك من أن الماضى الواقع حالاً لا حاجة به إلى تقدير قد إن لم توجد معه ، فضعيف لما مر وإنما يجوز ذلك عند ظهور الملابسة لا مطلقاً ، وإن كان منفياً جاز اقترانها بالواو وقد والضمير أو بأحدهما » .[٢]

وفي شرح البيت :

٤٠- .... فَكَيْفَ أَرْضَى وقَدْ ولَّتْ علي عَجَلِ

قال أبو جمعة : « وجملة وقد ولت من الفعل الماضى والفاعل المستتر فيه العائد إلى الأيام فى محل نصب على أنها حال من فاعل أرضى ، والرابط الواو ، ولكون فعلها ماضياً مع عدم اشتمالها على ضمير ذى الحال وجب اقترانها بالواو وقد كقوله :

فَجَالَدْتَهُم حتّى اتَّقَوْكَ بكَيْسِهِم
وقَدْ حَانَ مِنْ شَمْسِ النَّهارِ غُروبُ[٣]

---

(١) الغيث جـ ١ ص ١٦٥ (القاهرة) .

(٢) إيضاح المبهم ص ٣٩ /و ، ٣٩/ظ .

(٣) إيضاح المبهم ص ١٠٢ /ظ .

واتفق معه الصفدى في إعرابه فقال :

« والجملة من قوله : وقد إلى آخر البيت في موضع النصب على الحال تقديره : فكيف أرضى العيش والحالةَ هذه » . (١)

ويبدو أن مذهب البصريين في تقدير قد مع الماضى هو الذى اعتُمدَ من قبل النحاة والشراح ، فهذا « التبريزي » فى شرح القصائد العشر يَجري على مذهبهم فيقول :

« (قد) ههنا محذوفة فى قول الشاعر :

لَمَّا رَأَيْتُ القَوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهُم . . . .

وهذا مذهب البصريين الذين لا يجيزون جعل الجملة الفعلية التى فعلها ماض حالاً إلا إذا كان هذا الماضى مقروناً (بقَدْ) ، أما الكوفيون فلا يوجبون اقتّران الماضى الواقع حالاً (بقد) في كثيرَ من كلام العرب ، ومنه قول الشاعر :

وإنِّــي لَتَعْرُونِــي لِذِكْــرَاكِ ـــــزَةٌ
كَمَــا انْتَفَـضَ العُصْــفُورُ بَلَّلَــهُ القَطْــرُ (٢)

وقال « محى الدين عبد الحميد » ، مؤيداً رأى الكوفيين وابن مالك - «الإنصاف أن الاستدلال بنفس الكلام الوارد عن العرب ، وقد رأينا أن فصحاءهم يجيئون بالفعل الماضى حالاً غير مقرون (بقد) فأما التقدير فلا دليل عليه » . (٣)

ومما سبق يتبين لنا أن النحو البصرى كان غالبا على الشراح .

---

(١) الغيث المسجم جـ ٢ ص ١٥٥ .
(٢) النحو عند التبريزى في شرح القصائد العشر (مجلة المورد ص ١١٥-١١٦) (مرجع سابق) .
والشاهد من شعر أبى صخر الهذلى ، وانظر : (الإنصاف شاهد رقم ١٠٢ ، وشرح ابن عقيل رقم ٢٠٧).
(٣) الإنصاف هامش ص ٢٥٣ .

(ع) الشواهد النحوية :

استشهد الشراح في النحو بشواهد النحاة من القرآن والشعر القديم ، كما استشهد بعضهم بالحديث النبوي .

أما « العُكْبَري » فلم يعوِّل على الشواهد بحكم صغر شرحه ، وكذلك انصرف « الطَّبَرَى » عن الشواهد في شرحه . أما « الصَّفَدي » فقد اعتمد كل أنواع الشواهد من القرآن والشعر والحديث فنقل عن « ابن مالك» قوله : « يجب ذكر خبر « لا » إذا لم يُعْلَم كقول حاتم :

وَرَدَّ جَازِرُهُمْ حَرْفًا مُصَرَّفَةً ... ولا كَرِيمَ مِنَ الوِلْدَانِ مَصْبُوحُ [١]

وشواهد القرآن عند الصفدى كثيرة منها استشهاده على حذف الموصوف وإقامة الصفة مكانه بقوله تعالى (فإنْ لَمْ يُصبْهَا وَابِلٌ فَطَلّ)[٢] وتقديره «مَطَرٌ وابلٌ »[٣]

ونقل الصفدى استشهاد بدر الدين بن مالك بالحديث النبوى فى مواضع مختلفة من كتاب الغيث المسجم ومن ذلك حديثه عن جملتى الشرط والجزاء قال « إذا كان الشرط والجزاء فعلين جاز أن يكون فعلاهما مضارعين وهو الأصل وأن يكونا ماضيين لفظاً وأن يكون الشرط ماضيا والجواب مضارعا وبالعكس بدليل مارواه البخاري من قوله ص (من يَقُمْ ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه) ، وقول عائشة - رضى الله عنها - (إنَّ أبا بكر رجلٌ أسيف متى يَقُمْ مقامك رَقّ)» . [٤]

---

(١) الغيث المسجم جـ ١ ص ٢٠٠ (القاهرة) .

(٢) آية ٢٦٥ سورة البقرة .

(٣) الغيث المسجم جـ ١ ص ٢٢٢ (القاهرة) .

(٤) الغيث المسجم جـ ٢ ص ٤٨ ، وقد عد الدكتور شوقى ضيف جمال الدين بن مالك - والد بدر الدين - أول من استكثر من رواية الحديث فى النحو - المدارس النحوية ص ٣١٠ .

وفي شرح ابن خضر للبيت :

٢٩- ولا أُخِلُّ بِغِـزْلانٍ تُغَازِلُنِـي   وَلَوْ دَهَتْنِـي أُسُودُ الغِيْلِ بالغِيَلِ

استشهد بالآية الكريمة « (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إلاَّ اللّه لَفَسَدَتَا) [١] . .
فلو هنا تدل على لزوم الفساد لتعدد الآلِهَة . . » [٢]

وكذلك استشهد « بحرق » في شرح البيت المذكور بقول عمر - رضى الله عنه - : « نعْمَ العَبْدُ صُهَيْب لَوْ لَمْ يَخَفِ اللّهَ لَمْ يَعْصِهُ)[٣] وقوله تعالى ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِم خَيْراً ، لأَسْمَعَهُم وَلَوْ أَسْمَعَهُم لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُون ﴾» . [٤]

أما « أبو جمعة » فشواهده هى شواهد النحاة من القرآن والشعر واعتماده على شواهد «سِيبَوَيْه» من الشعر وكلام العرب كما فى شرح البيت :

٦- طَالَ اغترابى حتى حَنَّ رَاحِلَتِى .... الخ

قال : « حنَّ فعل ماض ، وإنَّما لم يؤنثه إما لأن مراده بالراحلة الجمل ، أو لاعتماده على ماحكاه « سِيبَوِيْه » من قولهم (قال فلانة) وان كان ضعيفاً لضيق النظم عليه » . [٥]

وفي شرح البيت :

٨- أُرِيدُ بَسْطَةَ كَفٍّ أَستعِينُ بِهَا .... الخ

---

(١) آية ٢٢ من سورة الأنبياء .   (٢) نبذ العجم ص ١٠٠/ و .

(٣) استشهد الصفدى بهذا الكلام وعده حديثاً ، وهو من الموضوعات . أنظر : (الأسرار المرفوعة فى الأحاديث الموضوعة رقم ١٧٢ ، ٣٧٣) وعده أبو جمعة خبراً (ص٧٧/ و من إيضاح المبهم) .

(٤) آية ٢٣ من سورة الأنفال ، ونشر العلم ص ٣٦ .   (٥) آيضاح المبهم ص ٢٣/ ظ .

قال « ولك أن تجعل أن المصدرية محذوفة قبل الفعل فارتفع بعد حذفها كقوله :

« ألاَ أيُّها الزَّاجِرِى أحْضرُ الوغَى » .[١]

واستشهد أيضا بالحديث النبوى فى نفس موضع استشهاد الصفدى السابق ، «وبرواية البخاري من يَقُمْ ليلة القدر غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه»[٢]

وأيضا في مواضع أخرى منها حديثه عن مسوغات الابتداء بالنكرة فقال « إذا حُذِفَ الموصوف بقيته صفته كقوله - عليه الصَّلاةُ والسَّلام - (سَوْدَاءُ وَلُودٌ خَيْـرٌ) أى امرأةٌ سَوْداءٌ ولود » .[٣]

والحق أنَّ الفضل يرجع للنحاة المجددين الذين اختاروا الاستشهاد بالحديث في النحو ويُحْمَد للشراح أتباعهم في هذا والعجيب أن المجمع اللغوى منع الاستشهاد بالأحاديث الموضوعة من مثل القول المأثور عن «عمر» في « صُهَيْب» ، بينما استخدمه هؤلاء الشراح سواء اعتبره بعضهم حديثاً أو قولاً مأثوراً « لعمر » ، ولا شك أن ما صنعوه هو أكثر توفيقاً وأحق بالاتباع من قرار المجمع اللغوى مع الاحترام الشديد لقراره » .[٤]

(ط) الاستدراك على الصفدى :

كان شرح الصَّفَدي موضوعاً للنقد والاستدراك مثلما كان موضوعاً لأعمال مختلفة منها التَلخيص والحواشى ، ومما وقع فى هذه الاستدراكات

---

(١) إيضاح المبهم ص ٢٨/ و . ،
ويروى هذا البيت بروايتين إحداهما رواية الكوفيين وهى النصب والأخرى رواية سيبويه والبصريين وهي الرفع والشاهد فيه عند سيبويه رفع أحضر بحذف الناصب وأتبعه الشارح هنا ولكن الشاهد لا يخلم في إعراب النص (البيت ٨) لأن فيه إبعاداً وتكلف (انظر ابن عقيل رقم ٣٣٨ جـ ٤ ص ٢٤ - ٢٥) .

(٢) إيضاح المبهم ص ٨١ / ظ . (٣) إيضاح المبهم ص ١١٥/ ظ .

(٤) رأى للمجمع الاحتجاج فى أحوال خاصة ببعض الأحاديث حصرها فى (الأحاديث المدونة فى الكتب الستة وما قبلها) انظر : مجموعة القرارات العلمية للمجمع ، مجلة المجمع ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٣ ، ٤

موخذات نحوية اخترت أن أعرض لبعضها هنا . وقد بدأ هذا الاستدراك «الدَّمَامينى » حين نقد كتاب الصفدى فوقع على سهو الصفدى فى أول شرحه فَيَ إعراب أول جملة فى اللامية :

١ - أَصَالةُ الرأى صَانَتْنِى عَنِ الخَطَلِ ... الخ

قال الصفدى : « صان فعل ماض والتاء ضمير يرجع إلى أصالة وهو فى موضع رفع ؛ لأنه فاعل صان»[١] . وبرغم أن اعتبار هذا الخطأ سهواً أمر مفروغ منه فإنَّ « الدمامينى » قد أفاض في الرد عليه فقال : « هذا الموضع مما يلهج الناس كثيراً بانتقاده عليه مع أن الذى ذكره قَوْلَةٌ لبعض النحاة مرغوب عنها حتى قال بعض الفضلاء إنَّ القول بذلك خَرْقٌ للإجماع والذى عليه الجماعة أن التاء الساكنة اللاحقة للفعل الماضى ليست ضميراً وإنَّما هي حرف يدل على تأنيث الفاعل ، وهو فى هذا البيت ضمير مستتر يعود إلى الأصالة ، وقد اهتدى المصنف إلى سلوك الجَادَّة في موضع آخر من هذا الكتاب ، وذلك أنه قال حيث تكلم على إعراب قول « الطغرائى » :

إنَّ العُلا حَدَّثَتْنِى وَهْىَ صَادِقَةٌ فِيمَا تُحَدِّثُ أَنَّ العِزَّ فِى النُّقَلِ

« حَدَّثَ فعل ماض والتاء علامة التأنيث وفاعله مستتر » .[٢]

والحق أن « الدمامينى » قد دافع عن الصفدى من حيث أراد أن ينتقص من عمله .

وأما « ابن مبارك » فقد عد هذا من السهو .[٣]

---

(١) الغيث المسجم جـ ١ ص ٥٩ ، وقد أشار ناشر الطبعة السكندرية ، فى الهامش إلى هذا السهو فقال (الصواب أن التاء علامة التأنيث) .
(٢) نزول الغيث ص ٥/و ، مخطوط دار الكتب .
(٣) نشر العلم ص ٥٣ .

ومن المواضع التى استدرك فيها على الصفدى في شرح البيت :

٦- طَالَ اغْتِرَابِي حتّى حَنَّ رَاحِلَتِي ... الخ

حيث قال الصفدى : « حذف تاء التأنيث ضرورة ، قال الشاعر :

فَــلاَ مُزْنَــةٌ وَدَقَتْ وَدْقَهَـــا   وَلاَ أَرْضَ أَبْقَــلَ إِبْقَالَهَـــا

كان ينبغى أن يقول أبقلت لأن الأرض مؤنثة ولكن اضطره الوزن إلى ذلك فعنى بالأرض المكان وهو مُذَكَّر ، وكذلك الطغرائى عنى بالراحلة الجمل وهو مذكر » .(١)

فقال ابن مبارك « الراحلة : فاعلة بمعنى مفعولة وتطلق على الذكر والأنثى ؛ ولهذا ذكرها أولاً بحذف تاء التأنيث من الفعل ثم أنثها بعود الضمير إليها مؤنثاً بحسب مؤاتاة النظم ، فقول الشارح أنه حذف تاء التأنيث للضرورة وَهْمٌ » .(٢)

وقال « الصَّفَدى » فى شرح البيت :

٢٠- فَالحِبُّ حَيْثُ العِدَى والأُسْدُ رَابِضَةٌ ... الخ

« وحيث في موضع نصب ؛ لأنه ظرف والعامل فيه مستقر ، وقد سَدَّ مَسَدَّ الخبر ، والعدى مبتدأ ولم يظهر فيه الرفع لأنه مقصور » .(٣)

وقال ابن مبارك « . . . فالعدَى مرفوع إما فاعلاً لاستقر المحذوف أو مبتدأ خبره المقدر المحذوف ، ولَا يحسن كونه مجروراً بإضافة حيث إليه كما أعربه الشارح » .(٤)

فلست أدرى هل تجنّى « ابن مبارك » على « الصفدى » أو أنه كان يطالع نسخة أخرى بها إعراب مخالف . وقال الصفدى :

---

(١) الغيث المسجم جـ ١ ص ٩٩ (القاهرة) .
(٢) نشر العلم ص ٩ .
(٣) الغيث المسجم جـ ١ ص ٢٣٢ (القاهرة) .
(٤) نشر العلم ص ٢٧ .

« العدَى مبتدأ ولم يظهر فيه الرفع لأنه مقصور والأسد معطوف عليه وهو عطفَ نسق ، رابضة خبر المبتدأ المعطوف وسد هذا الخبر عن الأول ؛ لأن العدى في الشدة والبأس كالأُسْد »[(١)] وقال أبو جمعة :

« وقد جعل الفاضل الصفدى رابضة خبر عن المبتدأين معا ، وذلك منه بناءَ علي أن المراد بالعدَى والأُسْد شئ واحد وذلك فاسد » .[(٢)]

وفى إعراب الصفدى للبيت :

١٥ - تَنَامُ عَنِّى وعَيْنُ النَّجْمِ سَاهِرةٌ   وتستحيلُ وصَبْغُ اللَّيْلِ لَمْ يَحُلِ

قال : « والأحسن أن تكون « ساهرةً » منصوباً على الحال ، والخبر محذوف كما قرئ ﴿ وَنَحْنُ عُصْبَةً ﴾[(٣)] بالنصب ، معناه ونحن نُرَى عُصْبَةً ، فكذا يقدر هنا ، وعين النجم تُرَى سَاهِرَةً إذ المعنى أتنام عنى وهذه عين النجم ترى ساهرة لأجلي وتستحيل عَلَيَّ وَهذا صبغ الليل يرى غير حائل ، وفي تقديره هكذا توبيخ » .[(٤)]

فقال « أبو جمعة » :

« وما ذكره الفاضل الصفدى - رحمه الله - من قراءة معنى التوبيخ علي تقدير جملة وعين النجم ساهرةً حالاً من فاعل تنام ، وكذا جَعْلُ جملة وصبغ الليل لم يحل حالاً من فاعل تستحيل ، فممنوعٌ ، إذ لا فرق بين كل منهما حالاً وكونها مستأنفة في إفادة ذلك ، ولو عكس لربما قيل إنه أقرب » .[(٥)]

والحق أن « ابن مبارك » ، «وأبا جمعة » قد استدركا على الصفدى قليلاً ، وانتصرا له كثيراً ، بل إنهما أكثر الناس اعترافاً له بالفضل من بين الشراح الذين قرأوا كتابه ومنهم من لم يذكره ألبتة .

---

(١) الغيث المسجم جـ ١ ص ٢٣٢ (القاهرة) .
(٢) إيضاح المبهم ص ٥٧/ ظ .
(٣) من الآية ١٤ من سورة يوسف .
(٤) الغيث المسجم جـ ١ ص ٢٠٧ (القاهرة)
(٥) إيضاح المبهم ص ٤٥/ ظ .

(٢)

موضوعات لغوية أخرى :

اعتمد الشراح في تفسير الألفاظ على معاجم اللغة المعروفة لديهم وكذلك بعض كتب اللغة المؤلفة على أسلوب مختلف عن المعاجم، أو حول تلك المعاجم . وقد كان « القاموس المحيط » « والصِّحَاح » هما أهم هذه المعاجم فيرد ذكرهما في جميع الشروح ، أما التلخيصات فهى تعتمد على ماذكره الأصل ، وخاصة الأعمال حول « الغيث المسجم » فلم تذكر فيها المراجع .

وترد الإشارات فى تلك الشروح المعاجم في بعض الأحيان عند نقل النصوص منها وأحياناً للرد على تفسير معين ، أو تأييد تفسير آخر أو نحو ذلك .

أما « العُكبَري » فلم يشر إلى مراجع اللغة . وقد يستخدم « الطبري» رأيا لغوياً في تفسَير مسألة وان لم يشر للمرجع كما نجد في تفسير البيت :

٤٣- .... حتى أرَى دَوْلَةَ الأوغادِ وَالسَّفَلِ

قال : « والدَّولة (بفتح الدال) في الحرب أن تُدلَّ احدى الفئتين على الأخرى وجمعها دول (بكسر الدال) وبالضم فى اَلمال لأنه يتداول . . . وقيل كلتاهما أى الدَّولة (بالفتح) والدُّولة (بالضم) يكون فى الحرب والمال سواء وقال يونس (أما أنا فوَ اللّه ما أدرى ما بينهما) . »[١]

ويُلاحَظ أن « الصفدى لم يستعمل « لسان العرب » في كتابه مع أن ابن منظور [٢] كان قد فرغ من تأليفه قبل تأليف الصفدى كتابه . [٣]

---

(١) حل المبهم والمعجم ص ٢٧/ و .

(٢) هو محمد بن مكرم جمال الدين بن منظور الأنصارى (٦٣٠-٧١١ هـ) صاحب لسان العرب

(٣) رجحت أن الصفدى كان قد ألف كتابه في العقد الرابع من القرن الثامن بينما توفى ابن منظور قبل ذلك .

أما « ابن خَضر » فهو غالباً لا يشير لمراجع اللغة ، وأشار « أبو جمعة» إلي « ابن سيدَة » ولَم يشر إلى « لسان العرب » أيضاً . فهل نفهم من هذا أن القاموس المَحيط والصِّحاح قد ظلاهما المعجمين المفضلين فى تلك القرون المتعاقبة ، وأن كتب « ابن سيدَة » [1] انحصرت في الأندلسيين والمغاربة ؟

الحق أن هذا الحكم لا يمكن تعميمه وخاصة أن الصفدى أشار إلى «ابن سيدَة » أيضا ، كما نقل ابن منظور عنه فى كتابه قبله ، ولكن المؤكد أن كتَاب ابن منظور لم يرد له ذكر فى أى من الشروح طويلها وقصيرها .

وقد تحدث الشراح في موضوعات لغوية متنوعة ، وبعض هذه الموضوعات مرتبطة باللامية والبعض الاخر متشعب عن الحديث حولها . ومن ذلك ما سنعرض له فيما يلى :

(ا) التَّرادُف وتَعَدُّد اللُّغَات :

عَرّف « الجُرْجَانى» الترادف بأنّه "عباره عن الاتحاد فى المفهوم ؛ وقيل هو توالى الالفاظ المفَردة الدالة على شىء واحد باعتبار واحد [2]» .

وقد اختلف القدماء فى وقوع الترادف بين منكرٍ له وقائلٍ به . [3]

أما المحدثون فقد اشتراطوا لوقوع الترادف شروطاً : أولاً : الاتفاق فى المعنى بين الكلمتين اتفاقاً تاماً ، ثانياً : الاتحاد فى البيئه اللغوية ، ثالثاً الاتحاد فى العصر ، رابعاً : ألا يكون أحد اللفظين نتيحة تطور صوتى للفظ

---

(١) هو بن سيدَه الضرير (ت ٤٤٨ هـ) لم يكن في زمانه أعلم منه بالنحو واللغة له معجم المحكم ومعجمَ المخصص مؤلف حسب المعانى .

(٢) التعريفات (ترادف) ص ٣٧ .

(٣) انظر : الترادف فى اللغة ، حاكم مالك الزيادى ، بغداد ، دار الحرية للطباعة ١٩٨٠ ، ص ٣٢ وما بعدها

آخر ؛ كما فى الجَثْل والجفل بمعنى النَّمْل حيث يمكن أن تعد إحدى الكلمتين أصلاً والأخرى تطوراً لها . فعدوا مثلها مترادفات وهمية . (١)

وقد ذكر بعض الشراح أمثلة للترادف على أنه « توالى الألفاظ المفردة الدالة على شئ واحد باعتبار واحد » فمن ذلك قول الصفدى : « من أسماء الشَّمس ذُكَاء والجَارِيَة والجَوْنة والغَزَالَة والإلهَةُ ، قال الشاعر :

وأعجَلَتِ الإلهةُ أنْ تَؤُوبَا .

والضُّحَى والضَّحُّ ويُوح وسَمَّاها اللّه فى القرآن سرَاجًا » . (٢)

واشتغل الشراح بما يسمى تعدد اللُّغات (٣) كما فى قول « الطبري » في تفسير البيت :

٣٧- ...... والحظُّ عنّىَ بالجُهَّالِ في شُغُلِ

والشُّغْل واحد وفيه أربع لغات ، ضم الأول والثانى (أى فاء الفعل وعين الفعل) وضم الأول وسكون الثانى » . (٤)

وفى الغيث المسجم وشُغُل فيه أربع لغات . . » . (٥)

وقال الصفدى أيضاً « لَعَلّ » كلمة تَرَجٍ وفيها لغات : « لَعَلّ » وعَلَّ

---

(١) المرجع السابق ص ٦٦ - ٧٧ . والذى يجري عليه « الثَّعَالبى » في فقه اللغة أن لكل لفظ معنى مختلف فهو يسجل الألفاظ التي تبدو مترادفة فيحدد الفرق الدقيق بينها وبهذا يخرجها من الترادف (فقه اللغة عدة فصول في أسماء الطين والغبار والتراب والطرق . . الخ ص ١٨٧ وما بعدها) ط دار مكتبة الحياة - بيروت .

(٢) الغيث المسجم جـ ٢ ص ٢١٨ ، والشعر في لسان العرب (مادة أله) منسوب لعدد من الشاعرات

(٣) انظر : المزهر في علوم اللغة وأنواعها : للسيوطى ، فصل بعنوان (معرفة مختلف اللغة ص ٢٢٥-٢٦١ ط) دار التراث - القاهرة ط ٣) .

(٤) كذا في الأصل من « حل المبهم والمعجم » ولم يذكر اللغتين الأخريين (ص ٢٠/ ظ) ، وفى اللسان (شغل) قال : الشُّغْل والشُّغُل والشَّغْل والشَّغَل كله واحد .

(٥) الغيث المسجم جـ ١ ص ١٠٦ (القاهرة) .

ولَعَنَّ وعَنَّ ولأنَّ وأنَّ ورَعَنَّ ورَغَنَّ (بالغين المعجمة) ولَغَنَّ (باللام والغين المعجمة والنون) ولَعَلَّتْ « بزيادة التاء فى آخر لَعَلَّ) » . [١]

وقال في موضع آخر :

وفى بغداد لغات : بَغْدَاذْ (بذال معجمة أخيرة) وبذالين معجمتين وبدالين مهملتين ، وبغدان (بنون بدل الدال الأخيرة) » [٢]

(ب) المعيارية والوصفية فى تحديد الدلالة :

ينظر المعاصرون للمعاجم على أنها « دراسة للغة لا معايير للاستخدام فهى من عمل الباحث وتتجه إلى وصف عمل المجتمع فإذا أريد بالمعاجم أن تتحكم هذا التحكم فى الاستعمال لم تصبح وصفاً للاستعمال الفعلى للغة وإنما أصبحت معايير تقاس بها خير استعمالات اللغة » . [٣]

وقد مَرَّتْ على اللغة العربية قرون عديدة قبل أن تظهر هذه الشروح وقرون أخرى ظهرت خلالها الشروح ومع ذلك بقيت هذه المعاجم هى الحكَم وهي المسيطر على اللغة فى هذه الشروح جميعاً ، وسوف نتناول بعض الأمثلة التى تدل على تحكم المعاجم فى دراسة اللغة عند هؤلاء الشراح نقلاً عن اللغويين السابقين .

ومن ذلك تفسير الشراح لكلمة « المجد » فى البيت :

٢ - مَجْدِى أخِيراً ومَجْدِى أولاً شَرَعٌ

والشَّمْسُ رَأْدَ الضُّحَى كَالشَّمْسِ فِى الطَّفَلِ

قال الصفدى : « المجد لغة الكرم والمجيد الكريم . . قال « ابن السكّيت » الشرف والمجد انما يكونان بالآباء ، يقال رجل شريف ماجد له

---

(١) الغيث المسجم جـ ٢ ص ١ .

(٢) الغيث المسجم جـ ١ ص ٩٦ .

(٣) اللغة بين المعيارية والوصفية ص ٢١ .

آباء متقدمون في الشرف » . (١)

وقال ابن خَضر « المجد الشرف والكرم قال ابن السكيت الشرف والمجد إنما يكونان بالآباء . . الخ » (٢) وقال أبو جمعة « المجد نيل الشرف والرفعة . . والمجيد الكريم الخصال المرضى الفعال وقد فرّق ابن السكيت في « إصلاح المنطق » بين الحسب والمجد بأن المجد للرجل انما هو بكرم آبائه والحسب له بماله وأن لم تكن له آباء كرام وما ذكره مُسَلَّمٌ في الحَسَب دون المجد » . (٣)

والحق مع « أبي جمعة » لأن مازعمه ابن السكيت وارتضاه الصفدى وابن خضر لم يكن له بدليل من اللغة وفي مادة (مجد) في لسان العرب لم يرد المجد مرتبطاً بالآباء إلا في كلام ابن السكّيت الذى نقله أيضاً « ابن مَنْظُور » .

ومن ذلك أيضاً ماذكره بعض الشراح في تفسير « الرَّكْب » في البيت :

٧ - .... ولَجَّ الرَّكْبُ فِى عَزَلِى

وبعضهم في تفسيرها في البيت :

١٣ - والرَّكْبُ مِيلٌ على الأكْوَارِ ..... الخ

فقد اعتمد الشراح ما قال صاحب « الصِّحَاح » فقال « الطَّبرى » والركب أصحاب الإبل في السفر دون الدَّوَابّ قاله صاحب الصِّحَاح » (٤)

وقال الصفدى « الرَّكْبُ أصحاب الإبل في السفر دون الدواب » . (٥)

وقال ابن مبارك « الركب أصحاب الإبل خاصة ومنه ﴿ والرَّكْبُ

---

(١) الغيث المسجم جـ ١ ص ٧٧ .
(٢) نبذ العجم ص ١٢ / ظ .
(٣) إيضاح للبهم ص ٨/ ظ .
(٤) حل المبهم والمعجم ص ٧/ و .
(٥) الغيث المسجم جـ ١ ص ١١٠ (القاهرة)

﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾[١] لعير أبى سُفْيَان »[٢] . وقال ابن خَضر : « والمراد من الركبَ هم رُكَّابُ الإبل فى السفر دون غيرها من الدوابَ وهم العشرة فما فوقها» .[٣]

وقال أبو جمعة « الركب . . وهم راكبو الابل دون من عداهم وهم العشرة فما فوقها »[٤]

ونقل « الشَّلْفُون » : « الركب أصحاب الإبل فى السفر دون الدواب وهى العشرة فما فوقها » .[٥]

كما نقل المِنْيَاوِى « الركب اسم جمع لِرُكَّاب الإبل خاصة واحده راكب[٦]» .

وهنا سؤال : هل ظلت دلالة هذا اللفظ « الرَّكْب » جامدة لم تتطور ؟ أم أن الأمر لم يكن أمر تطور استعمال هذه الكلمة من عدمه ، بل تَحكُّم أصحاب المعاجم ومن جاءوا بعدهم في هذه الدلالة ؟

الحق أنَّ الواقع اللغوى قد خالف هذا التفسير منذ القرن الأول الهجري وبقى تحكم المعاجم حتى بداية القرن العشرين برغم أنف « العُرْف اللُّغَوى » على مدى القرون ، والذى يلفت النظر أن « العكبري » قد تنبه إلى خطإ هذا التفسير - وهو أول الشراح - فقال :

« الرَّكْبُ أصحاب الإبل في السفر دون الدواب وفيه نظر ؛ لأن ظاهر الحديث بخلافه وهو قوله ﷺ « الواحد شَيْطَانٌ والاثنان شيطانان والثلاثةُ رَكْبٌ فقد جعل الركب أعم من ذلك » .[٧]

---

(١) آية ٤٢ من سورة الأنفال .
(٢) نشر العلم ص ١٠ .
(٣) نبذ العجم ص ٢٩/ ظ .
(٤) إيضاح المبهم ص ٢٤/ و .
(٥) شرح الشلفون ص ٥
(٦) تحفة الرائى ص ١٨ .
(٧) شرح العكبرى ص ٤/ ظ

ويبدو لى أن تأثير الصَّفَدي علي الشراح بعده هو الذى دفع إلى هذا الاطراد فى تفسير لفظ الركب على هذا النحو ، ولو أن فرض المعيار على الاستعمال هو السائد عند اللغويين والشراح جميعاً ، إلاَّ أن وقوع الصفدى أسيراً لطريقة « الحريرى » فى « دُرَّة الغَوَّاص » قد جعله من أكثر الناس حرصاً علي تحديد المعيار كأنه قيد على المتحدثين باللغة ، وفى كتاب الصفدى نفسه ماينقض ماذهب إليه -وتبعه فيه الشراح - حيث نقل . . «كان محمد بن عبد الله النُّمَيْرى قد شبب بزينب أخت الحَجَّاج . . . فتهدده الحجَّاج ثم أمَّنَهُ واستنشدهَ الأبيات التى شَبَّبَ فيها بأخته فأنشدها حتى بلغ قوله :

ولما رأَتْ رَكْبَ النُّمَيْرِي أَعْرَضَتْ وَكُنَّ منَ اللُّقْيَا لَهُ خَدِرَاتِ

فقال له وما كان ركبك ؟ قال : أربعةُ أَحْمِرَةَ لي كنت أجلب عليها القطِرَان وثلاثة أحمرة لصاحبى تحمل البَعْر ، فَضَحِك عند ذلك وخَلَّى سَبيله » (١)

ونقل أبو جمعة القصة السابقة فقال : « وقال النميرى يتشبب بزينب أخت الحجاج بن يوسف :

تَضَوَّعَ مِسكاً بَطْنُ نُعْمَانَ إذْ مَشَتْ بِه زَيْنَبٌ فِى نِسْوَةٍ خَفِرَاتِ (٢)

وذكر البيت المذكور عند الصفدى أيضاً (٣)

وكما ربطنا بين الشراح وبين الصفدى نعتقد أن ارتباط الصفدى بالحريرى وتكرار ذكر كتابه فى الغيث المسجم يجعلنا نحكم على عمل الحريرى بأنه قيد أراد أن يفرضه ، وقد كبل الصفدى نفسه بهذا القيد طواعية ، فمن أغرب ما فى كتاب « الحريرى » أنه يريد أن يحسب على الناس أنفاسهم وتأوهاتهم فلا يخرجونها الا كما كانت تخرجها العرب يقول :

---

(١) الغيث المسجم جـ ١ ص ٢٢٨ - ٢٢٩ (القاهرة) . (٢) إيضاح المبهم ص ٥٣ / ظ .
(٣) إيضاح المبهم ص ٥٤ / و .

« ويقولون عند الحُرْقَة ولَذْع الحرارة المُمضَّة أخْ (بالخاء المعجمة من فوق) والعرب تنطق بهذه اللفظة بالحاء المهملةَ وعليه فُسِّر قول عبد الشَّارق الجُهَنى :

فَبَاتُوا بالصَّعيد لَهُمْ أُحَاحٌ ... ولَوْ خَفَّتْ لَنَا الكَلْمَى سَرِينَا

أي بات الكلمَى يقولون أحْ لِمَا وجدوا من حرق الجراحَات وحَرِّ الكُلُوم »(١)

وفي مادة (ركب) في « لسان العرب » مايؤيد ماذهب إليه «العُكْبرى » وما نذهب إليه من أن الركب أوسع وأعم من ذلك الاستعمال ، ويكفى أن ننقل قوله « وقال الأخفش هو جمع وهم العشرة فما فوقهم وأرى أن الركب قد يكون للخيل والإبل قال السُّلَيْك بن السَّلَكَة وكان فَرَسُهُ قد عَطِبَ أو عُقِر :

ومَا يُدرِيكَ مَا فَقْرِى إلَيْه ... إذَا مَا الرَّكْبُ فِى نَهْب أغَارُوا

وفى التنزيل العزيز (والرَّكْبُ أسْفَلَ منْكُم) فقد يجوز أن يكونوا ركْبَ خيل وأن يكونوا ركْبَ إبل وقد يجوز أن يكون الجيش فيهما جميعاً وفى الحديث (بَشِّر رَكِيبَ السُّعَاة بقطَع منْ جَهَنَّمَ منْ قُور حسْمَى . .) أراد بركيب السُّعاة منَ يركب عُمَّال الزكاة بالرفعَ عليهمَ » .(٢) فهذا الاستخدام مجازي لا علاقة له بالإبل والخيل كما نرى .

وبرغم مايوجه « للسان العرب » من أنه معجم بَدَوِيّ (٣) فإننى أرى أن

---

(١) دُرَّة الغَوَّاص ص ٢٠٣ - ٢٠٤ . (٢) لسان العرب : مادة (ركب) وفيه مَزِيدُ بَيَان .

(٣) يقول الدكتور محمود فهمى حجازي (المعروف أن كل المادة التي في « لسان العرب » - المؤلف فى القرن السابع الهجرى . . قد أخذت من معاجم سبق تأليفها في مراحل سابقة وهذه المعاجم أخذت مادتها بدورها من الرسائل اللغوية التى أثمرت فيها حركة جمع اللغة فى البادية في أواخر القرن الأول وعلى امتداد القرن الثانى وأوائل القرن الثالث . . والاستثناء الوحيد هنا هو ما أخذه صاحب « لسان العرب » من معجم « تهذيب اللغة » للأزهري . . =

الشراح لو استخدموه لأفادهم لأن عمله يُعَدُّ وصفياً بمعيار زمانه ، إذ جمع فيه أمهات كتب اللغة ولم يتدخل هو فيها ، فلو استعمله الشراح وأضافوا إليه لوصل إلينا من اللغة المستخدمة فيما بعد القرن السابع الكثير ، ولكن يبدو أن المتأخرين كانوا أكثر احتراما لعلماء اللغة المتقدمين من احترامهم لمعاصريهم ، وكذا كان الشراح نقلة تابعين لهؤلاء اللغويين المقلَّدين

ومما يُعَدُّ من هذه المعيارِيَّة في تفسير اللغة ما زعمه « ابن مبارك» في تفسير لفظ الغنج في البيت :

٢١ - نَؤُمٌ نَاشِئَةٌ بِالجِزْعِ قَدْ سُقِيَتْ   نصَالُهَا بِمِيَاهِ الغُنْجِ والكَحَلِ

قال « الغُنْج (بضم المعجمة) النُكْسُ في القول والفعل ، وهو أيضاً الغنج (مُحَرَّكاً)[1] . وهذا تفسير أخلاقي لم أجد له نظيراً في الشروح الأخرى ولا سَنَداً في « لسان العرب » . ولا شك أنه إسقاط لأحكام الفقه على اللغة .

ومما يلفت النظر أيضا ورود بعض الأحكام اللغوية مثلما عند الصفدي حيث وصف بعض الصيغ اللغوية بأنها (لغة رديئة) كما في شرح البيت :

١٢ - طَردتُ سرحَ الكَرى عن ورْدِ مُقلته . . . . الخ

قال (طرد) يقال طردته فذهبَ ولَا يقَاَل منه انفعل ولا افتعل إلاَّ في

= فقد سجل الأزهري بنفسه مادة لغوية في البادية ، إن اللسان إذن مادة بدويَّة وجلها يرجع إلى القرن الثاني الهجري فماذا تفعل الحضارة العربية الإسلامية والعلوم الناشئة والمجتمع الحضري في العراق والشام ومصر والمغرب والأندلس بهذا المعجم البدوي الذي يعرف للجمل أكثر من مائة اسم وماذا يفعل المفكر الإسلامي بمائة اسم للأسد ؟ (اللغة العربية عبر القرون ص ١٠٤ ، دار الثقافة - القاهرة ١٩٧٨) .

(١) نشر العلم ص ٢٣ .

لغة رديئة » . (١) كذلك وصف أبو جمعة لفظاً بهذا الوصف فقال : «الشُّغْل وقد يقال أشْغَلَهُ وهى لغة رديئة ، قاله أبو بكر محمد بن القوطية» . (٢)

ويتضح من كلام الصفدى وأبى جمعة الذى اتبع ابن القوطية أن مفهوم اللغة الرديئة عندهم هى خلاف اللغة الفصيحة .

(جـ) الشواهد اللغوية :

استخدم الشراح شواهد من الشعر والقرآن والحديث لتفسير الألفاظ فى القصيدة ، ويلاحظ أن العكبرى لم يهتم كثيراً بالشواهد اللغوية ، وقد استخدم الحديث النبوى شاهداً لغوياً - كما سبق - على أن الركب أعم من ركاب الخيل والإبل وهو قوله - ص - « (الواحد شَيْطَان والاثْنَان شَيْطَانَان والثَّلاثةُ رَكْبٌ)(٣) » .

واستخدم الطبرى الشواهد الشعرية كما في شرح البيت :

٤ - نَاء عَن الأَهْلِ صِفْرُ الكَفِّ مُنْفَرِدٌ . . . الخ

قال : « والصِّفْرُ الشئ الخالى ، تقول منه صَفِرَ (بالكسر) قال الحَمَاسى :

أَقُولُ لِلحْيَانِ وقَدْ صَفِرَتْ لَهُمْ

وِطَابِى وَيَوْمِى ضَيِّقُ الحِجْرِ مُعْوِرُ »(٤)

---

(١) الغيث المسجم جـ ١ ص ١٧٦ (القاهرة) وقال أيضا : من شعر شرف الدين عيسى الناسخ :

شكوتُ إلى ذاك الجمال صَبابةً   تكلف جَفْنى أنهُ قَطُّ لا يَغْفُو

قلت لا أعرف يغفو إنما هو غفى يغفى وإنْ كان فهو لغة رديئة غَير فصيحة ؛ لأن غفا يغفو لم يرد في كلام فصيح والله أعلم » : الغيث جـ ١ ص ١٧٦ (القاهرة) .

(٢) إيضاح المبهم ص ٩٣ / ظ .   (٣) شرح العكبري ص ٤ / ظ .

(٤) حل المبهم والمعجم ص ٥/ و . وفى اللسان (وطب) أقول لحيان . . الخ .

وصفر وطابه أي مات ، وفي شرح ديوان الحماسة للمرزوقى ص ٧٧ ، لتأبط شرًا :

أَقُولُ لِلحْيَان وقَدْ صَفِرَتْ لَهُم   وِطَابِى ويَوْمِى ضَيِّقُ الحِجْرِ مُعْوِرُ

واستخدم الطبرى الحديث النبوي أيضاً فى شواهد اللغة كما في شرح البيت :

٧ - وهج من لغب نضوى وعج . . . . . . الخ

قال « . . وفى الحديث (أفضلُ الحَجَّ العَجُّ والثَّجّ) .[١]

واستخدم الصفدى شواهد الشعر كثيراً كما فى شرح البيت :

٤٧ - فَاصْبِرْ لهَا غَيْرَ مُحْتَالٍ وَلاَ ضَجِرٍ . . . الخ

قال : « ضَجِر » اسم فاعل من الضَّجَر وهو القلق من الغم ، وقوم مَضَاجِر ومَضَاجير قال أوس :

تَنَاهَقُونَ إذَا اخْضَرَّتْ نِصَالُكُمُ　　وَفِى الحَفِيظَةِ أَبْرَامٌ مَضَاجِيرُ[٢]

واستخدم الحديث النبوى أيضا كما فى قوله « الصِّفْرُ الخالى ، يقال بيت صفر من المتاع ورجل صفرُ اليدين ، وفي الحديث (إنَّ أصْفَرَ البيوت من الخيرَ البيت الصِّفْر من كتابَ الله عز وجل »[٣]

ويستخدم الصفدى أكثر من شاهد لغوى لإثبات الدلالات المختلفة لكلمة فى بيت من اللامية ، يقول « النَّفْسُ الروح ، يقال خرجت نفسه »

قال أو خراش :

نَجَا سَالمٌ والنَّفْسُ منهُ بِشِدْقِه　　ولَمْ يَنْجُ إلاَّ جَفْنَ سَيْفٍ ومِئْزَرَا

والنفس لغةً الدَّمّ ، يقال سَالَت نفسه وفى الحديث « مالاَ نَفْسَ له سائلة لا يُنجِس الماء إذا مات فيه » .[٤]

وأما أبو جمعة فيستخدم الشواهد القرآنية كثيراً والشواهد الشعرية قليلاً كما فى قوله : «الظَّنُّ الطرف الراجح من طرفى الاعتقاد الغير الجازم

---

(١) حل المبهم والمعجم ص ٦/و .　(٢) الغيث المسجم جـ ٢ ص ٢٥٩ .
(٣) الغيث جـ ١ ص ٧٧ (القاهرة) .　(٤) الغيث المسجم جـ ٢ ص ١٣٢ .

. . ويستعمل أيضا بمعنى العلم كقوله تعالى (وظَنُّوا أنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللّه) . [١]

وكقول دُرَيْد بن الصِّمَّة :

فَقُلْتُ لَهُم ظُنُّوا بِألْفَىْ مُدَجَّجِ

أى أيقنوا بوصولها إليكم » . [٢]

أما الشَّوَاهدُ القرآنية ففي جميع الشروح قدرٌ كبيرٌ منها ، فهى في كل موضع من الشرَوح .

وقد اقترب بعض الشراح على استحياء من شواهد المتأخرين اللغوية ، وخاصة للمتنبى .

قال الطبرى فى شرح البيت :

٢١ - نَوءُمٌ نَاشِئَةٌ بِالجِزْعِ قَدْ سُقِيَتْ نِصَالُهَا بِمِيَاهِ الغُنْجِ والكَحَلِ

« والكَحَل اسوداد العينين من غير الاكتحال قال المتنبى :

« لَيسَ التَّكَحُّلُ فِى العَيْنَيْنِ كَالكَحَلِ » [٣]

وكذلك فعل الصفدى في شرح البيت :

١٥ - تَنَامُ عَنّى وعَيْنُ النَّجْمِ سَاهرةٌ . . الخ

قال : « المُقْلَةُ شَحْمَةُ العين . والحَدَقَةُ السواد الأعظم والناظر هو السواد الأصغر ، والإنسان يكون فى الناظر ؛ لأنه كالمرآة إذا استقبلتها رأيت شخصك فيها قال أبو الطيب المتنبى :

جَارِيَةٌ لَمَّا خَلَوْتُ بِهَا تُبْصِرُ فِى نَاظِرِى مُحَيَّاهَا

---

(١) آية ١١٨ سورة التوبة . (٢) إيضاح المبهم ص ١٣٣ / و .

(٣) حل المبهم والمعجم ص ١٢/ و . والبيت في ديوان المتنبى جـ٣ ص ٢١١ (شرح البرقوقى) :

لأنَّ حِلْمَكَ حِلمٌ لا تكلفُهُ لَيْسَ التَكَحُلُ فى العَينين كَالكَحَلِ

يَصفُ شدَّةَ قُرْبِهَا منْهُ »(١)

(د) إشَارات لُغويَّة خاصة بشرح « الصَّفَدي » :

وانفرد الصفدى فى كتابه ببعض الإشارات اللغوية منها الحديث عن اللَّحْن كقوله : قول عنترة العبسى :

إنِّى امرُؤٌ منْ خَيْرِ عَبْسٍ مَنْصِباً   نِصْفى وَأحْمى سَائري بالمُنْصَلِ

وهذا البيتَ يؤيد من لَحَّنَ النّاسَ في إطلاقهم سائراً على معنَى الجميع وإنما هو بمعنى الباقى فمن قال قَدمَ سائر الحَاجّ ويريد جميعهم فقد لَحَن ، وأنشد « الحَريري » فى « دُرَّة الغَوَّاص »(٢) شاهداً على هذه الدعوى قول الشاعر :

تَرَى الثَّوْرَ فيهَا يُدْخلُ الظِّلَّ رَأسَهُ   وَسَائرُهُ بَاد إلي الشَّمْسِ أجْمَعْ

وغالب النَاس لا يكاد يسلم من هذا اللحن . . . علي أن صاحب الصِّحَاح قال (وسائرُ النَّاسِ جَمعُهُم)(٣)» .

وأشار إلى مخارج بعض الحروف بقوله : « والألف حرف هوائى أى مما لا يقبل الحركة »(٤)

وفي شرح الصفدى إشارات لغوية جيدة إلى استعمالات معاصريه منها إشارة إلى الاستخدام العُرْفىّ لكلمة « عَادَة » قال : « العادة معروفة والجمع عاد وعادات تقول منه عادَه وأعاده وتَعَوَّدَهُ أى صار له عادة والعادة اليوم في عرف الكُتّاب والناس إذا قالوا : ألف درهم عادة أو مائة فإنها

---

(١) الغيث المسجم جـ ١ ص ١٧٧ (القاهرة) والبيت في ديوان المتنبى (شرح البرقوقى جـ ٤ ص ٤٠٥)

شَامِيَّةٌ طَالَما خَلَوْتُ بِهَا   تُبْصِرُ فى نَاظِرى مُحَيَّاهَا

(٢) درة الغواص ص ٤ - ٧ .   (٣) الغيث المَسجَم جـ ١ ص ١٣٠ (القاهرة) .

(٤) الغيث المسجم جـ ١ ص ٧٨ وفي سر صناعة الإعراب لابن جني « واعلم أن مخارج هذه الحروف ستة عشر ثلاثة منها في الحلق فأولها من أسفله وأقصاه مخرج الهمزة والألف والهاء هكذا يقول سيبويه » جـ ١ ص ٥٢ .

تكون ناقصة عن التسمية كل مائة تنقص درهمين فالألفُ تنقص عشرين وتكون تسعمائة وثمانين » . [١]

وهكذا وجدنا فى هذه الشروح انعكاسا للتفكير النحوى واللغوى السائد على مدى سبعة قرون من تاريخ اللغة العربية ، ووجدنا كيف كان هذا التفكير تابعاً لما سبق أن توصلت إليه الدراسات اللغوية قبل ذلك مما يؤيد ماذهب إليه الدكتور تمام حسان في قوله :

« لم يُكتَب للدراسات اللغوية العربية أن تنمو فيها بعد القرن الخامس الهجرى فلقد كان كل جهد يُبْذَل بعد ذلك القرن إمَّا فى سبيل الشرح وإمَّا فى سبيل التعليق وإمَّا فى سبيل التحقيق والتصويب . وأما العمل المبتكر والذهن المبدع فقد قَضَى عليها ظهور العنصر التركى على مسرح السياسة واستبداده بأمر الخلافة وضيق أفقه فى الفكر وقلة حماسة للعلم وتلك ظاهرة ظلت تتضح في العالم العربى والإسلامى يوما بعد آخر وتستشرى باطِّراد حتى انتهت آخرَ الأمر بما سموه إقفال باب الاجتهاد » . [٢]

●●●

---

(١) الغيث المسجم جـ ٢ ص ١٩٥ .

(٢) د . تمام حسان : اللغة العربية ، مبناها ومعناها ، ص ١١ .

الفصل الرابع

الاتجاه البلاغي في الشروح

دَأبَ أكثر الشراح على إفراد البلاغة بقسم من شرح كل بيت على حدة وقد جعل بعضهم هذا الجزء تحت عنوان « البيان » . وأكثرهم لم يجعل له عنواناً خاصاً ، كما اختلف ترتيب الشراح لمكان البلاغة فى شروحهم ، فمنهم من جعلها في آخر شرح كل بيت ومنهم من جعلها بعد الحديث على اللغة وقبل الإعراب كما فعل أبو جمعة ، ومن الشراح من لم يفرد للبلاغة قسماً خاصاً من شرحه وهؤلاء أصحاب الشروح القصيرة وخاصة العكبريَ ويوسف الشَّلْفُون .

ولكى نرصد ما أدلى به الشراح من تطبيقات بلاغية في شروحهم لابد من تقسيم هذا الفصل إلى مباحث ، وقد اخترت أن أجعل هذا التقسيم بحسب فنون البلاغة (المعاني والبيان والبديع) .

(١)

مباحث علم المعانى :

وعلْمُ المعانى كما عرفه « الجُرْجَانى » هو « علمٌ يُعرفُ به إيرادُ المعنى لواحد بطُرق مختلفة في وضُوح الدّلالةَ عليه » .(١)

وقد تناول الشرَاح فى مبحث علم المعاني مسائل تطبيقية وبالطبع لم يجعلوها تحت عنوان علم المعاني ، وفى شرح العُكْبَري إشارات موجزة إلى بعض مايدخل تحت علم المعانى كما في شرح البيت :

---

(١) انظر لتعريفات للجرجانى ص ٨٩ . وكذلك كشاف اصطلاحات الفنون للتهاندي جـ ١ ص ٢٤ ط المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣ م ، وكذلك : زهر الربيع فى المعانى والبيان والبديع للشيخ أحمد الحلاوى ص ١٣ ، حيث عرف علم المعانى بأنه « أصول وقواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال » ط . البابى الحلبى ، القاهرة ١٩٧١ م ، ومفتاح العلوم للسكاكى ص ٨٦ ، الطبعة الأولي بالمطبعة الأدبية بمصر ١٣٦٧ هـ ، والإيضاح للقزوينى تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ط دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ط الرابعة - ١٩٧٥ م ، ص ٨٤ .

٢٩ - لَمْ أرْتضِ العيشَ والأيامُ مُقبلةٌ

فكيفَ أرضَى وقد ولَّتْ على عَجَلِ

قال « المعنى أنه أخرج هذا الكلام مخرج جواب سائل سأله » .[١]

وفى شرح البيت :

٥٥- فِيمَ اعتراضُكَ لُجَّ البَحرِ تَركَبُهُ

وأنتَ تَكفيكَ منهُ مَصَّةُ الوَشَلِ

قال « هو استفهام على سبيل الإنكار . »[٢]

أما الشراح الآخرون فكانوا أكثر تحديداً ودقة في بحث المسائل البلاغية

قال الخطيب التبريزى فى « الإيضاح » : « إن المقصود من علم المعانى منحصر في ثمانية أبواب ، أولها أصول الإسناد الخبرى وثانيها أحوال المسند إليه وثالثها أحوال المسند ورابعها أحوال متعلقات الفعل وخامسها القَصْر ، وسادسها الإنشاء ، وسابعها الفَصْل والوَصْل وثامنها الإيجاز والاطْنَاب والمُسَاواة » .[٣]

ومن هذه الأبواب ما وقع للشراح حديث فيه اقتضاه شرح القصيدة ، أو استطردوا إليه فى شروحهم كلٌ على حسب طريقته .

(أ) الإســـناد :

الإسناد هو « نسبة أحد الجزءَيْن إلى الآخر »[٤] وهو المقدم في مباحث علم المعانى « لأن علم المعانى إنما يبحث عن أحوال اللفظ الموصوف بكونه مسنداً إليه ومسندا » .[٥]

---

(١) شرح العكبرى ص ١٢/ و (٢) شرح العكبرى ص ١٧/ ظ .

(٣) الإيضاح للقزوينى ص ٨٥ ومابعدها . (٤) التعريفات ص ٢٠ .

(٥) المطول على التلخيص ، للتفتازانى ط تركية ، مطبعة أحمد كامل ، ١٣٣٠ هـ ، ص ٤٣ .

وقد أقام البلاغيون المتأخرون مباحث الخبر وأغراضه وأنواعه على الإسناد الخبرى .[(١)]

ولم يتحدث الشراح عن الإسناد مثل هذا الحديث النظرى ولكن « لأن الإسناد مطلقاً إنشائياً أو إخبارياً منه حقيقة عقلية ومنه مجاز عقلي »[(٢)] فقد بدأت بتمهيد للحديث عن الحقيقة والمجاز .

(ب) الحقيقة العقلية والمجاز العقلى :

وقد عَرَّف « السَّكَّاكى » الحقيقة بأنها « هى الكلمة المستعملة فيما هى موضوعة له من غير تأويلٍ فى الوضع كاستعمال الأسد فى الهيكل المخصوص » .[(٣)]

وأما المجاز فهو الكلمة المستعملة فى غير ماهى موضوعة له بالتحقيق استعمالاً في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناها فى ذلك النوع » .[(٤)]

« والمجاز العقلى - ويسمى مجازاً حُكْمياً ومجازاً فى الإثبات وإسناداً مَجَازياً - هو : « إسناد الفعل أو ما فى معناه إلى غير ما هو له لملابسة مع قرينة صارفة عن أن يكون الإسناد إلى ما هو له » .[(٥)]

---

(١) معجم المطلحات البلاغية وتطورها : د . أحمد مطلوب بغداد ، مطبعة المجمع العلمى العراقى ١٩٨٣ ، ص ٢٠٢ .

(٢) الإيضاح ص ٩٧ ، وزهر الربيع ص ١٧ .

(٣) مفتاح العلوم ص ١٩١ ، وفى التعريفات للجرجانى وهى : الكلمة المستعملة فيما وضعت له فى اصطلاح به التخاطب ، احترز به عن المجاز الذى استعمل فيما له فى اصطلاح آخر غير اصطلاح به التخاطب كالصلاة إذا استعملها المخاطب بعرف الشرع فى الدعاء فإنها تكون مجازاً لكون الدعاء غير ما وضعت هي له فى اصطلاح الشرع . . . . ومع أنها موضوعة للدعاء فى اصطلاح اللغة ص ٥٤ .

(٤) مفتاح العلوم ص ١٩٢ . وانظر التعريفات . حيث قال « المجاز اسم أريد به غير ما وضع له لمناسبة بينهما كتسمية الشجاع أسداً » ص ١١٣ . والإيضاح ص ٩٧ - ٩٨ .

(٥) زهر الربيع ص ١٧ .

وقد أشار بعض الشراح إلي المجاز العقلي وخاصة أبو جمعة ، ومحمد على المنياوى ، فقال أبو جمعة فى شرح البيت الأول : « وإسناد صانت وزانت إلى ضميرى أصالة الرأى وحلية الفضل مجاز عقلي وهو إسناد الفعل أو معناه إلى مُلابس له غير ما هو له بتأول ، أى بأن ينصب المتكلم قرينة تصرف الإسناد عما هو له إلى غيره ، ولا يخفى أن العقل يحيل صدور الحفظ عن أصالة الرأى والزين عن حلية الفضل بحسب الحقيقة وإنما يصدق بأن الحافظ والمزين هو الله ، لكنهما لما كانا سببين فى الفعلين أسندهما إليهما لنوع من المبالغة ونظيره قوله تعالى ﴿ وإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِم آيَاتُهُ زَادَتْهُم إِيمَاناً ﴾[1] . فإن الآيات لما كانت سبباً للزيادة أسند إليها على وجه البلاغة مجازاً ، وإلاَّ فالمفيد للإيمان هو الله ، هذا مذهب المحققين من علماء البيان ، وذهب أبو يعقوب يوسف السكَّاكى إلى انكاره قائلاً الذى عندى نظمه فى سلك الاستعارة بالكناية » .[2]

وقد ذكر بعض المؤلفين مبحث المجاز العقلى والحقيقة العقلية فى أحوال الإسناد فى علم المعانى ، وبعضهم ذكرهما فى فن « البيان » عند تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز . ولكل وجهة ، فمن نظر إلى أنهما تحصل بهما المطابقة لمقتضى الحال ذكرهماَ فى علم المعانى ، ومن نظر إلى أنهما من أنواع الدلالة ذكرهما فى علم البيان » .[3]

وقد لفت هذا الاختلاف نظر الدكتور تمام حَسَّان فقال « حين تكلم علماء المعانى فى مفهوم الإسناد لم يجدوا مفراً من تقسيمه إلى إسناد حقيقى وإسناد مجازى ، فكان من جراء ذلك أن تناولوا فى حدود علم المعانى فكرة تنتمى إلى البيان كما حدَّدُوهُ هم ، وتلك هى فكرة المجاز العقلي ، وإنما تعد هذه الفكرة من علم البيان ؛ لأنها كأنواع المجاز فى

---

(١) من الآية ٢ ، سورة الأنفال .
(٢) إيضاح المبهم ص ٥/ و ، ٥/ ظ .
(٣) زهر الربيع ص ٢٠ .

عمومها تفتقر إلى علاقة وقرينة صارفة عن إرادة المعنى الحقيقي (أو الإسناد الحقيقى) وكان الأجدر أن يَسكُت عنها علم المعانى وأن يكون المدخل إليها فى علم البيان من جهة تقسيم المجاز إلى إفرادى يسمى المجاز اللغوى وإسنادى يسمى المجاز العقلي » .(١)

وقد جرى هذا التقسيم فى البلاغة القديمة واتبعه البلاغيون المتأخرون(٢) والشراح كذلك كما نجد فى شرح أبى جمعة للبيت :

١٩ - . . . . فَنَفحةُ الطِّيب تَهدينَا إلى الحلَلِ

قال « وإسناد تهدينا إلي ضمير النفحة مجاز عقلى من إسناد الفعل إلى سببه أو استعارة بالكناية » .(٣)

وأيضا فى شرح البيت :

٤٠ - لَمْ أرتضِ العيشَ والأيامُ مُقبلةٌ

فكيفَ أرضَى وقدْ ولَّتْ على عَجَلِ .

فقال « وإسناد مقبلة وولت إلى ضمير الأيام مجاز عقلي » .(٤)

كما نجد تقسيم المجاز إلى مرسل وعقلى فى شرح المنياوى ، وإن لم يحدد لكل منهما مكاناً فى علوم البلاغة بحكم كون شرحه تطبيقاً بلاغياً يقول فى شرح البيت الأول :

« فى البيت مجاز عقلي فى إسناد صان الى أصالة الرأى وعلاقته السببية وكذا فى إسناد زان الي حلية الفضل ، ومجاز مرسل فى استعمال الرأى فى العقل ، وعلاقته السببية » .(٥)

---

(١) د . تمام حسان ، مقال فى مجلة « فصول » بعنوان : المصطلح البلاغى القديم في ضوء البلاغة الحديثة ، عدد ٣ ، ٤ المجلد السابع ، القاهرة ١٩٨٧ ، ص ٢٢ .

(٢) اتبعه الحملاوى فى زهر الربيع ص ٢٠ .

(٣) إيضاح المبهم : ص ٥٤/و .

(٤) المرجع السابق : ص ٧٠/و .

(٥) تحفة الرائى ص ١١ .

وعند المنيـــاوى نفس الازدواج فى الحكم على المجـــاز العـــقلى والاستعارة بالكناية كما سبق أن وجدناه عند أبى جمعة ، يقول فى شرح البيت :

٩ - والدَّهْرُ يَعكسِ آمالى ويُقتعُنى   منَ الغَنيمة بَعْدَ الكَدِّ بالقَفَلِ

« في البيت مجاز عقلي فى إسناد كل من يعكس ويقنع إلى الدهر أو استعارة كنائية حيث شبه الدهر بإنسان وحذف ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو يعكس . »[١]

وفى شرح الطبري للبيت :

٥١ - غَـاضَ الوفـاءُ وفـاضَ الغَـدْرُ . . . الخ

قال : « وهذا من باب الاستعارة بالكناية » .[٢]

(جـ) إيجاز الحَذْف ، وإيجاز القَصْر :

وإيجاز الحذف هو ما يكون بحذف كلمة أو جملة أو أكثر مع قرينة تعيّن المحذوف [٣] وهو حـذف جـزء الجـملة ، وحـذف الجـملة غـيـر المفيدة .[٤]

أما حـذف جـزء الجملة فـهـو حـذف المفـردات ، ويكون علي صـور مختلفة منها حذف المفعول به وقد أشار الشراح إلي شئ من ذلك كما نجد في شرح الطبرى للبيت :

٣٤- فَادْرَأْ بهَا فى نُحُور البيد جَافلَةً . . . الخ

قال « وقد حَذفَ الوزير مفعول الدَّرْء ههنا تقديره ادرأ فقرك وفاقتك

---

(١) تحفة الرائى ص ٢١ .   (٢) حل المبهم والمعجم ص ٣٠/ و .
(٣) معجم المصطلحات البلاغية جـ ١ ص ٣٤٩ ومابعدها .
(٤) المرجع السابق جـ ١ ص ٣٤٩ . وقال التهانوى : « اختلف في الحذف فالمشهور أنه من المجاز وأنكره البعض لأن المجاز استعمال اللفظ فى غير موضعه . والحذف ليس كذلك » . كشاف اصطلاحات الفنون جـ ٢ ص ٦٥ .

أو ماشاكلهما كما قد حذفه - ص - في قوله (اللَّهُمَّ إنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهم ونَدْرَءُ بِكَ فى نُحُورِهم » . [١]

وفى شرح الصفدى للبيت :

٤١ - غَالَى بِنَفْسِى عِرْفَانِى بقيمتهَا

فصُنْتُها عن رَخيص القَوْلِ مُبْتَذلِ

قال « ومفعول غالى أو فاعله الآخر محذوف وهو أبلغ من إثباته ؛ لأنه لو ذكره لوقف ذهن السامع عنده مع الغاية التى ذكرها فلما حذفه تلعبت به الظنون ورمت فى كل واد فتارة تقول : غالى الدهر وتارة تقول : الناس ، وتارة تقول المفاخر له وتارة تقول المجادل وغير ذلك . » [٢]

وفى شرح الصفدى للبيت :

١٦ - طَالَ اغْتِرَابِى حتّى حَنَّ رَاحِلَتِى

ورحْلُها وقَرَى العَسَّالَة الذُّبُلِ

قال « . . وإنما حذف هنا لنوع من البلاغة يعرفه أرباب المعانى ؛ لأنه لو قال حن راحلتى إلى إلفهَا وذكر المفعول وقفت نفس السامع عند الغاية المذكورة ، ولما حذف ذلكَ تشعبت الظنون وتفرقت فى كل وجهة وظن بكل ما يوجد الحنين إليه وهذا مما يعطف عليه القلوب ويزيد فى توجعها له . » [٣]

وقال جلال بن خضر فى شرح البيت السابق « وحذف مفعول حن . . ليذهب السامع فى ذلك كل مذهب » [٤]

---

(١) حل المبهم والمعجم ص ١٩ / ظ .
(٢) الغيث المسجم جـ ٢ ص ١٦١ .
(٣) الغيث المسجم جـ ١ ص ١٠٠ ط . (القاهرة) .
(٤) نبذ العجم ص ٢٧/ و .

ومن الإيجاز حذف الفاعل ، وقد أشار الصفدى إلى ذلك فى شرح البيت :

٤ - نَاءٍ عَنِ الأَهْلِ صِفْرُ الكفِّ منفردٌ
كالسَّيْفِ عُرِّىَ مَتْنَاهُ عَنِ الخِلَلِ

قال « فحذف الفاعل هنا يحتمل أن يكون للتفعيل ؛ لأنه لو ذكره لم يصح التفعيل في تقطيع البيت ، ويحتمل أن يكون طلباً للإبهام على السامع ويحتمل أن يكون للجهل به ؛ لأن الذى عَرَّى السَّيْفَ لا يُعْلَم ويحتمل غير ذلك » .[1]

وفي شرح أبى جمعة للبيت السابق أشار إلى إيجاز الحذف .[2]

ومنه حذف الموصوف ، وقد أشار الطبرى إلى ذلك فى شرح البيت :

٣٤ - فَادْرأْ بِهَا في نُحورِ البِيدِ جَافِلةً
مُعارِضاتٍ مَثَانِي اللُّجْمِ بالجُدُلِ

قال : « ذكر الصفة وهي مثانى ولم يذكر الموصوف أعنى الخيل اعتماداً علي الصفة الموضحة له » .[3]

وقد جعل أبو جمعة حذف الألف من « فيم » إيجازاً بالحذف[4] فى قول الشاعر :

٣ - فيمَ الإقامةُ بالزَّوْرَاءِ . . . الخ

وليس بصحيح ؛ لأنه هو نفسه قد ذكر بعدُ أنَّ هذا الحذف واجب ، وأن ذكره شاذٌ فقال « فيم ما الاستفهامية إذا جُرَّت وجب حذف ألفها فرقا بين استعمالها فى الاستفهام والخبرية » .[5]

---

(١) الغيث المسجم جـ١ ص ٨١ (القاهرة) .
(٢) إيضاح المبهم ص ١٧/ و .
(٣) حل المبهم ص ١٧/ و .
(٤) إضاح المبهم ص ١٤/ و .
(٥) المصدر السابق ص ١٤/ و .

وأشار الصفدى إلي الإيجاز في البيت :

١٠- وَذِى شَـطَاطٍ كَصَـدْرِ الرُّمْحِ مُعْتَقِـلٍ
بمثلِــهِ غَيْــرِ هَيَّــابٍ وَلا وَكَــلِ

فقال « قوله كصدر الرمح معتقل بمثله من الايجاز ، لانه استغنى بمثله عن أن يقول برمح طويل قويم معتدل » . (١)

وأما إيجاز القصر فهو « تقليل الألفاظ وتكثير المعانى » . (٢)

والقصر في الاصطلاح « تخصيص شئ بشئ وحصره فيه ويسمى الأمر الأول مقصوراً ، والثانى مقصوراً عليه . (٣)

وقد أشار إلى إيجاز القصر أبو جمعة فى شرح البيت :

٤٢ - .... وَلَيْسَ يَعْمَلُ إلاَّ فِى يَدَىْ بَطَلِ

فقـال : « والقصر فى قوله (وليس يعمل إلا في يدى بطل) قصر حقيقى على سبيل الادعاء والمبالغة حتى أنه لو فرض أنه يعمل فى يدى غيره فعمله ذلك غير مُعتدٍّ به ؛ لأنه كالعدم » . (٤)

وفي شرح البيت :

٤٩- فَإِنَّمَـا رَجُــلُ الدُّنْيَــا وَوَاحِدُهَــا
مَـنْ لا يُعـوِّلُ فى الدُّنْيَـا عـلى رَجُـلِ

قال « وقد بالغ - رحمه الله - فى قصر الإنصاف بالرجولية الكاملة وعدم النظير فى أمور الدنيا على من ذكره حيث أضافه أولاً إلى الدنيا

---

(١) الغيث المسجم جـ ١ ص ٥٨ (القاهرة) .

٢) معجم المصطلحات البلاغية جـ ١ ص ٣٦١ . (٣) التعريفات ص ٩٩ .

(٤) إيضاح المبهم ص ١٠٥ / ظ وفى التعريفات : « القصر الحقيقى تخصيص الشئ بالشئ بحسب الحقيقة وفي نفس الأمر لا يتجاوز إلى غيره أصلا » ص ٩٩ .

إيذانا بأنه هو المستحق أن يقال فيه ذلك وأتى بالمبتدأ والخبر معرفين ، وبإنما المفيد كل منهما للحصر عند البيانيين وأكثر أهل الأصول والنحو » . (١)

وقد نسبه الشارح إلى أكثر من نوع من أنواع القصر فقال :

« وهو قصر قلب ويجوز أن يكون قصر إفراد . . . ويجوز أن تجعله من باب قصر التعيين » . (٢)

(د) الالتفــــات :

«وهو العُدول عن الغيبة إلى الخطاب أو التكلم أو على العكس» . (٣)

وقد ظل مصطلح الالتفات يختلط بغيره من المصطلحات البلاغية « ثم بدأ يأخذ معنى دقيقاً بعد أن بدأت البلاغة تستقر وقد عرفه الرازى بقوله (إنه العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو العكس) وأدخله السكّاكي فى علم المعانى وقال (إنَّ هذا النوع أعنى نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة لا يختص المسند إليه ولا هذا القدر بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينتقل كل واحد منها إلى الآخر ويسمى هذا النقل التفاتاً عند علماء علم المعانى ، والعرب يستكثرون منه ويرون الكلامَ إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل القبول عند السامع وأحسن تَطْرِيَةً لنشاطه وأملأ باستدرار إصغائه ، وهذا ما ذكره « الزمخشرى » من قَبل وقال « السكّاكي » أنه قد ينتقل بالصيغة من الماضى إلى المضارع وذكر مرة ثالثة فى البديع وأحال إلى كلامه فى الموضعين السابقين وهذا يدل على أن الالتفات كان عنده من علم المعانى مرة ومن علم البديع تارة أخرى . . . والالتفات عن ابن الأثير من الصناعة المعنوية »(٤)

---

(١) إيضاح المبهم ص ١٢١/ ظ .

(٢) إيضاح المبهم ص ١٢٢/ و ، في معجم المصطلحات البلاغية « ويكون تقسيم القصر الإضافي بحسب حال للخاطب إلى قصر إفراد وقصر قلب وقصر تعيين » جـ ٢ ص ٤٥٠ .

(٣) التعريفات ص ٢٦ . (٤) معجم المصطلحات البلاغية جـ ١ ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .

وفي شرح الصفدى للبيت :

١٠- وذِي شَطَاطٍ كَصَـدْرِ الرُّمْحِ مُعْتَقِلٍ
بِمِثْلِـهِ غَيْـرُ هَيَّـابٍ وَلاَ وَكَـلِ

قال « . . . أخذ يصف صاحبه ويعدد ما هو عليه من كمال الخَلْق والخُلُق والصفات التى تطلب من رفاق السفر فى الليل من الشجاعة والإقدام وغير ذلك . . فقد التفت إلى هذا فاقتضب مما كان يشرحه ويوضحه من حاله ومقامه فى بغداد وغربته وفقره وعدم أصحابه . . والالتفات عادة البلغاء فيلتفتون من فن إلى فن ومن أسلوب إلى أسلوب على عادة العرب ، وأرباب البلاغة يسمون الالتفات بشجاعة العربية ، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام[1] :

الأول : الرجوع من الغيبة إلى الخطاب وبالعكس .

الثانى : الرجوع عن الفعل المستقبل إلى الأمر وعن الماضى إلى الأمر

الثالث : الإخبار عن الفعل الماضى بالمستقبل وبالعكس » .

ثم ذكر الصفدى رأى الزمخشري فقال « قال الزمخشرى والالتفات من أسلوب إلى أسلوب تَطْرِيةٌ لنشاط السامع وطلب الالتفات إليه ، قلت : ألا ترى أن الطغرائى لما أخَذ في وصف حاله وما هو فيه من النكد وضيق الحال كأنه أطال على المخاطب في ذلك وأحس منه بالملل فالتفت إلى وصف هذا الصاحب الذى رافقه فأنشأ للسامع معنى غير الأول بعث له نشاطاً جديداً واستأنف له إصغاءً آخر وجدد له تطلعاً يتشوف معه الى الوقوف على هذا الخبر الثانى وهذا غيرُ خاف » .[2]

---

(١) انظر معجم المصطلحات البلاغية جـ ١ ص ٢١٨ ومابعدها حيث نقل كلام ابن الأثير في المثل السائر وهو موافق لما ذكره الصفدى من تسمية الالتفات شجاعة العربية وتقسيمه إلى ثلاث أقسام وفي شرح عقود الجمان للسيوطى جعل الالتفات ستة أقسام ص ٢٨ .

(٢) الغيث المسجم جـ١ ص ١٥٧ (القاهرة) .

وجعل أبو جمعة ذلك البيت اقتضاباً فقال « وانتقاله من وصف أحوال صاحبه من غير رعاية مناسبة تجمعهما لفظاً ومعنىً اقتضاب » .[١]

ونقل الشلفون في شرحه نفس كلام الصفدى السابق بتصرف .[٢]

(هـ) الاعتـــراض :

والاعتراض هو : أن يأتى فى أثناء كلام أو بين كلامين متصلين معنى - بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب - لنكتة سوى رفع الإيهام ويسمى الحشو أيضاً .[٣]

وقد أشار إليه أبو جمعة في شرح البيت :

١٦- فَهَلْ تُعِينُ على غَيٍّ هَمَمْتُ بِهِ
وَالغَيُّ يَزْجُرُ أَحْيَانَاً عَنِ الفَشَلِ

قال « وقوله والغي يزجر أحياناً عن الفشل » اعتراض وفسروه بأنه الكلام الذى يتعلق به معنى مستأنف على طريقة الالتفات ، ومعناه أن يذكر المتكلم كلاماً فيتوهم أن السامع قد اختلج في قلبه شئ بسببه فيلتفت إليه ويزيله ثم يرجع إلى كلامه السابق ، وبيانه أن الطغرائى لما سمى هذا الأمر الذى حُمَّ به غياتوهم أن رفيقه لا يساعده في اتباعه بل ينكره عليه فالتفت إليه وبيّن له فائدة الغى بهذا الكلام » .[٤]

« وليس هذا هو الاعتراض الذى قال ابن المعتز عنه (ومن محاسن

---

(١) إيضاح المبهم ص ٣٢/و .

(٢) شرح الشلفون ص ٧ .

(٣) التعريفات للجرجانى ص ٢٤ ، وانظر شرح عقود الجمان للسيوطى ص ٧٥ ، وزهر الربيع ص ٩٨ ، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها جـ ١ ص ٢٤٣ ومابعدها .

(٤) إيضاح المبهم ص ٤٦/و ، ٤٦/ظ .

الكلام أيضاً ، والشعر اعتراض كلام فى كلام لم يتم معناه ثم يعود إليه فيتممه فى بيت واحد) كقول كُثَيِّر :

لَـوَ أنَّ البَاخِلِينَ - وأَنْتَ مِنهُـم - رَأَوْكَ تَعَلَّمُـوا مِنْـكَ المَطَالاَ [١]

أما البيت الذى يمكن اعتباره من الاعتراض فى اللامية فهو قول الطغرائى :

٣٥- إنَّ العُلى حَدَّثَتْنِى - وَهْىَ صَادِقَـةٌ -

فِيمَـا تُحَـدِّثُ أَنَّ العِـزَّ فِى النُّقَـلِ

فقد اعترض بجملة وهى صادقة ، وهو قد أشار إلى ذلك بقوله «أردفها بجملة الاعتراض تقوية له وتأكيدا »[٢] .

وهذا الخلط بين الاعتراض والالتفات والاقتضاب راجع إلى اختلاف المفاهيم عند البلاغيين والقدماء ، وقد وقع المتأخرون في أسرهم فإذا كان للقدماء عذرهم فما عذر المتأخرين وقد تجددت المفاهيم .[٣]

(و) التتميم :

« وهو أن يأتى فى كلام لايوهم خلاف المقصود بفضلة لنكتة بلاغية كالبالغة » .[٤] وقد ذكره من الشراح أبو جمعة فى شرح البيت :

٩ - .... من الغنيمةِ بَعْدَ الكَدِّ بالقَفَلِ

فقال وقوله بعد الكد تتميم ، وهو أن يؤتى فى كلام لايوهم خلاف

---

(١) معجم المصطلحات البلاغية جـ١ ص ٢٤٣ .

(٢) إيضاح المبهم ص ٨٩/و .

(٣) اتبع الشيخ أحمد الحملاوى صنيع السكاكى فى المفتاح فأورد الاعتراض مرة فى علم المعانى ومرة في البديع ، ص ٩٨ ، ٢٤٩ من زهر الربيع .

(٤) التعريفات ص ٣٤ ، وزهر الربيع ص ٢٩٩ وشرح عقود الجمان ص ٧٤

المقصود بفضله لنكتة وهى هنا المبالغة في وصف الدهر بسوء المعاملة .»[١]

ويلاحظ من العرض السابق للمسائل التى تعرض لها الشراح فى علم المعانى أن أبا جمعة كان أكثر الشراح اهتماما بهذا الجانب وهذا حق ، وسنلاحظ اهتماماً أكثر بالبديع عند غيره من الشراح وخاصة الصفدى . أما أبو جمعة فاهتمامه بالبلاغة يشمل كل فنونها ، ويبدو اهتمامه بالمعانى وقراءته للكشاف للزمخشرى خاصة - وهو من مراجعه - فى بعض مما لم نشر إليه فى العرض السابق ، مثل قوله في شرح البيت الأول من اللامية :

« الرأى معرف بلام العهد أو النائبة عن الضمير ، وهو مضاف إلى صفة ، والأصل الرأى الاصيل الذى يعدونه أو المعهود منى ، ولما كان المقام يقتضى تأكيد النسبة أتى بالمسند جملة فعلية ليقر الحكم ويؤكده بتكرار الإسناد مرة إلى الضمير وأخري إلى المظهر وأتى بمتعلقه اسم جنس معرفا باللام فى مجال الافتخار ، وعدى الفعل إليه بعن الموضوعة للمجاوزة ، فأفاد استغراق حفظ أصيل الرأي إياه من جميع ما يصدق عليه أنه خَطَل على وجه التأكيد وهو المطلوب » .[٢]

ونجد لأبى جمعة أيضا إشارات إلى معانى النحو ، وربما كانت من تأثير قراءة عبد القاهر والزمخشرى أيضا ، ومن ذلك شرحه للبيت :

٢٩ - ولا أُخِلُّ بِغِزْلَانٍ تُغَازِلُنِى .... الخ

قال « بغزلان مفعول به وعدى الفعل إياه بالباء ليفيد شدة تمسكه بوصلهن كقوله : سُودُ المَحَاجِرِ لا يَقْرَأْنَ بالسُّوَرِ »[٣]

●●●

(١) إيضاح المبهم ص ٣٠/و .

(٢) إيضاح المبهم ص ٤٠/ ظ .

(٣) إيضاح المبهم ص ٧٦/ ظ .

(٢)

مباحث علم البيان :

وقد عرف « القَزْويني » علم البيان بقوله : « هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه » .[١]

وتنحصر مباحث علم البيان في التشبيه والمجاز والكناية .[٢]

(أ) التشبيه :

قال السكاكي « الأصل الأول من علم البيان في الكلام في التشبيه ، ولا يخفى عليك أن التشبيه مستدع طرفين ، مشبهاً ، ومشبهاً به ، واشتراكاً بينهما من وجه وافتراقاً من آخر مثل أن يشتركا في الحقيقة ويختلفان في الصفة أو بالعكس » .[٣]

وقال الخطيب «التشبيه الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى» .[٤]

وقد أشار الشارح إلى التشبيهات التي وقعت في اللامية ، ومن ذلك قول الطبري في شرح البيت الثاني :

٢ - مَجـدِي أخِيـراً ومَجْـدِي أولاً شَـرَعٌ
والشَّمْسُ رَأْدَ الضُّحَى كَالشَّمْسِ فِي الطَّفَلِ

---

(١) الإيضاح للقزويني ص ٣٢٦ وانظر كذلك : مفتاح العلوم ص ٨٦ ، كشاف اصطلاحات الفنون جـ ١ ص ٢٦ ، المطول ص ٣٠٠ ، زهر الربيع ص ١٠١ .

(٢) الإيضاح ص ٣٢٧ ، والمطول ص ٢٠١ - ٣١٠ .

(٣) مفتاح العلوم ص ١٧٧ .

(٤) وانظر في التشبيه : الإيضاح ص ٣٢٨ ، والمطول ص ٣١٠ وماعدها ، وزهر الربيع ص ١٠٣ . وكذلك نقد الشعر لقدامة حيث قال « التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمهما ويوصفان بها وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما بصفتها ، نقد الشعر لقدامة بن جعفر تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي . الطبعة الأولى ١٩٨٠ ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ص ١٢٤

« شبه حاله عند الحكم والولاية بالشمس وقت العلو والانبساط على وجه الأرض وعند العزل بها أيضاً ولكن في وقت الغروب والاصفرار وهو تشبيه حسن » .[١]

وفي شرح البيت :

١٢- طَرَدَتْ سَرْحَ الكَرَى عَنْ وِرْدِ مُقْلَتِهِ

وَاللَّيْلُ أَغْرَى سَوَامَ النَّوْمِ بِالْمُقَلِ

جعله الطبرى تشبيهاً فقال « شبه النوم لكثرته وغلبته بالقطيعة السائمة المتوجهة نحو المورد ومنعه عنها بمنع تلك القطيعة عن ذلك المورد ، وطردها عنه ، أى منع غلبة النوم على عينيه وشدة تعطشهما واحتياجها إليه فإنى قد تجلدت ومنعته عنهما ورددته عن حواليهما ، وهذا من محاسن التشبيه » .[٢]

وواضح أن الطبرى لم يكن معنياً بدقة المصطلح البلاغى ، فلو أنه اعتبر هذه الصورة من التشبيه التمثيلى لربما كانت مقبولة ، أما الشراح الآخرون فقد اعتبروا هذا من الاستعارة وسيأتى .

وأما الصفدى فلم يكتف برصد التشبيهات الواردة في البيت الثانى والرابع وغيرهما من أبيات اللامية ، ولكنه تحدث كذلك حديثاً نظرياً عن التشبيه ، وذكر ألواناً منه ومَثَّلَ لها بأمثلة كثيرة ومن ذلك حديثه عن تشبيه المعقول بالمحسوس ، وقد ضرب له مثلاً قول أبى العلاء :

وَاذْكُرِى لِى فَضْلَ الشَّبَابِ وَمَا يَجْمَعُ مِنْ فَضْلٍ يَرُوقُ وَطِيبِ

غَدْرُهُ بِالْخَلِيلِ أَمْ حُبُّهُ لِلْغَىِّ أَمْ أَنَّهُ كَدَهْرِ الأَدِيبِ

---

(١) حل المبهم والمعجم ص ٤/و .

(٢) المصدر السابق ، ص ٨/و .

قال « وهذا تشبيه المعقول بالمحسوس وهو أعلى مراتب التشبيه طبقة ؛ لأنه ينشأ عن لطف ذوق وسلامة فطرة ، وصحة تخيل ، فهو صعب على رومه ومتقاعس على جذب زمامه ؛ لأن العلوم العقلية تستفاد من الحواس فى المقادير والألوان والطعوم والرائحة ، وطيب النغم ونعمومة الملمس وخشونته ؛ ولهذا قالوا : من فقد حاسة فقد علماً ، وإذا كان كذلك فالمحسوس أصل والمعقول فرع ، وتشبيه المعقول بالمحسوس من باب رد الفرع أصلاً والأصل فرعاً وأحسن ما جاء فيه قول القائل :

وكـأنَّ النُّجُـومَ بيْـنَ دُجَاهَـا ... سُـنَنٌ لاَحَ بيْنَهُـنَّ ابْتِـدَاعُ [1]

وذكر أبو جمعة التشبيه الوارد فى البيت :

٤ - نَاءٍ عَنِ الأهْلِ صِفْـرُ الكَـفِّ مُنْفَـرِدٌ
كَالسَّـيْفِ عُـرِّىَ مَتْنَـاهُ عَـنِ الخِـلَلِ

قال « وتشبيه نفسه بالسيف من تشبيه مقيد بمقيد إذ المشبه مقيد بكونه بعيداً عن أهله مساوياً من ماله والمشبه به مقيد بكونه مُعَرّىً من الأغشية والغرض من هذا التشبيه بيان حال المشبه ، أى صفته التى هو عليها وفيها إيماءٌ إلى أنه طيب الأخلاق كريم الأعراق فلا التلبس بالدنيا يزينه ولا التعرى عنها يشينه » . [2]

وفى شرح المنياوى للبيت :

٢٦- لَعَـلَّ إلمَامَـةً بِالجِـزْعِ ثَانِيَـةً
يَـدِبُّ مِنهـا نَسِـيمُ البُـرْءِ فِى عِلَلِى

---

(١) الغيث المسجم جـ ١ ص ٢١٠ (القاهرة) .

(٢) ايضاح المبهم ص ١٦/ ظ .

قال « وفى نسيم البرء تشبيه بليغ ؛ لأنه من إضافة المشبه به للمشبه أى البرء الشبيه بالنسيم فى لطف السير وتلطيف الأرواح » .[١]

وهو يتردد فى تحديد نوع الصورة التى يتناولها هل هي استعارة أم تشبيه ، ومن ذلك قوله في شرح البيت :

١٢- طَرَدَتْ سَرْحَ الكَرَى ... الخ

« فى الشطر الأول من البيت استعارة تصريحية أصلية أو كنائية كذلك ، أو تشبيه بليغ »[٢]

والحق أن مذاهب البلاغيين القدماء في تحديد التشبيه والاستعارة هو ما أوقع الشراح فى هذا التردد ، فلم يكن الشارح منهم مستقلا في تفكيره البلاغى ، كما كان الزمخشرى وعبد القاهر والسكاكى من السابقين ، ولهذا وقع فى الشروح هذا التردد - ولا أقول الخلاف - فى تحديد نوع الصورة المعروضة كما هو واضح فى كلام المناوى السابق .[٣]

(ب) الحقيقة والمجاز :

جرت العادة على بحث الحقيقة والمجاز متلازمين فى مباحث علم البيان، قال التفتازانى : « هذا بحث الحقيقة والمجاز ، وهو المقصد الثانى من مقاصد علم البيان والمقصد الأصلى إنَّما هو بحث المجاز ، لكن قد

---

(١) تحفة الرائى ص ٤٢ . (٢) تحفة الرائى ص ٢٥ .

(٣) قال التفتازانى « فدخل فى تعريف التشبيه الاصطلاحى مايسمى تشبيهاً بلا خلاف وهو ماذكر فيه أداة التشبيه نحو زيد كالأسد أو كالأسد بحذف زيد ؛ لقيام قرينة ومايسمى تشبيها على القول المختار وهو ماحذف فيه أداة التشبيه وجعل الشبه خبراً عن المشبه أوفى حكم الخبر سواء كان مع ذكر المشبه أو مع حذفه فالأول نحو قولنا زيد أسد ، والثانى نحو قوله تعالى (صُمٌ بُكْمٌ عُمْىٌ) ، بحذف المبتدأ أى هم صم بكم فإن المحققين على أنه يسمى تشبيهاً بليغاً لااستعارة ؛ لأن الاستعارة إنَّما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له بالكلية ، ويجعل الكلام خلوا عنه صالحاً لأن يراد به المنقول عنه والمنقول إليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام » .
(المطول على التلخيص ص ٣١١) .

جرت العادة بالبحث عن الحقيقة أيضا ، لما كان بينهما من شبه تقابل العدم والملكة حيث اشتمل الحقيقة على استعمال اللفظ فيما وضع له ، والمجاز على استعماله فى غير ماوضع له ؛ ولهذا قدم تعريف الحقيقة » .(١)

« والحقيقة ثلاثة أقسام هى : الشرعية والعرفية واللغوية ، والحقيقة الشرعية هى اللفظة التي يستفاد من جهة الشرع وضعها لمعنى غير ماكانت تدل عليه فى أصل وضعها اللغوى . . وأما الحقيقة العرفية فهى التى نقلت من مسماها اللغوى إلى غيره بعرف الاستعمال ، وذلك قد يكون عاماً وقد يكون خاصاً » .(٢)

ومن صور الحقيقة العرفية أن يشتهر استعمال المجاز فيصير كأنه حقيقة عرفية ، وقد أشار الصفدى وابن مبارك وابن خضر إلى الحقيقة العرفية ، فقال الصفدى : « واعلم أن للشعراء ألفاظاً صارت بينهم حقائق عرفية ، وإنْ كانت فى الأصل مجازاً ، لكثرة دورها في كلامهم وتعاطيهم استعمالها ؛ لأنهم ألفُوا ذلك من تداولها وتكرارها على مسامعهم من ذلك الغصن إذا أطلقوه فُهمَ منه القوام ، والكثيب إذا أطلقوه فُهمَ منه الردف ، والورد اذا أطلقوه فَهم منه الوجنة ، والأقاح إذا أطلقوه فَهم منه الثغر ، والراح إذا أطلقوه فهم منه الريق ، والنرجس اذا أطلقوه فهم منه العيون » .(٣)

وفى شرح البيت :

٢٨- وَلاَ أَهَابُ الصِّفَاحَ البِيضَ تُسْعِدُنِى

بِاللَّمْعِ مِنْ خَلَلِ الأَسْتَارِ والكِلَلِ

---

(١) المطول ص ٣٤٨ .   (٢) معجم المصطلحات البلاغية جـ ٢ ص ٤٥٥ .

(٣) الغيث المسجم جـ ١ ص ٢٦٩ - ٢٧٠ (القاهرة) .

قال « الصفدى » ذكر الصفاح وهي هنا مشتركة بين السيوف حقيقة وبين العيون مجازاً ، وقد غلب العرف عليها بين الشعراء فصارت حقيقة عرفية ، فأمكن اعتبار الاشتراك ، فقال ولا أهاب الصفاح البيض ، فهو إلى هنا في الحقيقة اللغوية ، والسامع يظنه في ذكرها ، ثم ترك المفهوم الأول وأخذ في المفهوم الآخر فقال تسعدني باللمح من خلل الأستار الكلل ، فاستعمل الصفاح في العيون وهي الحقيقة العرفية » .[١]

وقال ابن مبارك « فظاهر أن الصفاح هي المسعدة له باللمح ومراده العيون المشبهة بها ، ولفظ الصفاح وإن لم يكن مشتركا بين السيوف والعيون فقد صارت الصفاح إذا ذكرت في معرض الغزل عند الشعراء حقيقة في العيون لا مجازاً »[٢] وهو تلخيص مضطرب لكلام الصفدى السابق .

وقال « ابن خضر » الصفاح البيض جمع صفيحة وهي السيف العريض حقيقة لغوية ، وشاع استعماله في العيون مجازاً حتى صار كالحقيقة العرفية »[٣] .

وفي حديث الشراح عن المجاز بعض الاضطراب الموروث عن البلاغيين السابقين « فقد اختلطت مباحث المتكلمين الأصوليين والنحويين مع مباحث البلاغيين - وكثير منهم واحد ممن سبق - وراح كل يرفع مصطلح (المجاز) ليؤول الأشياء لتتسق مع منحاه المذهبي ، وليناقح تحت عَلَمِ المجاز ضد أعدائه » .[٤]

والشراح يفهمون المجاز فهما خاصا مختلطا بالعقيدة ، يقول « ابن

---

(١) الغيث المسجم جـ٢ ص ٢٤ .
(٢) نشر العلم ص ٣٥ ، ٣٦ .
(٣) نبذ العجم ص ٩٧ / ظ .
(٤) د . رجاء عيد : فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ، منشأة المعارف الاسكندرية -١٩٧٩م ، ص ٧٣

مبارك » فى شرح البيت :

٩ - وَالدَّهْرُ يَعْكِسُ آمَالِي وَيُقْنِعُنِي ... الخ

« ولا يخفى أن إسناد هذه الأفعال إلى الدهر مجاز من باب إسناد الشيء إلى ظرفه والفاعل الحقيقى هو الله تعالى » .(١)

وفى شرح البيتين :

٣٧- أَهَبْتُ بِالحَظِّ لَوْ نَادَيْتُ مُسْتَمِعاً ... الخ

٣٨- لَعَلَّهُ إِنْ بَدَا فَضْلِي وَنَقْصُهُمُ ... الخ

قال « ولا يخفى مافى البيتين من شكوى تحامل الزمان على أهل الفضل وسبق أنَّ إسناد الأفعال إلى الدهر من المُوَحِّد إسناد مجازي ، وأن الفاعل الحقيقى هو الله تعالى ﴿ولله مُلْكُ السَّمَوات والأرْض. الخ ﴾ »(٢)

وقال « ابنُ خَضر » في شرح البيت الأول : « وفي بيت « الطغرائى » من المجاز إسناد صيانته وحمايته لرأيه وعقله ، والذى يصون ويحفظ هو الله سبحانه وتعالى » .(٣)

وفي شرح « أبى جمعة » للبيت :

١٩- .... فَنَفْحَةُ الطِّيبِ تَهْدِينَا إِلى الحِلَلِ

قال « وإسناد تهدينا إلى ضمير النفحة مجاز عقلي من إسناد الفعل إلى سببه ، أو استعارة بالكناية » .(٤)

وفى شرحه للبيت :

٢٤- يَقْتُلْنَ أَنْضَاءَ حُبٍّ ... الخ

---

(١) نشر العلم ص ١٢ .

(٢) نشر العلم ص ٤٦ ، وليس هذا عند الصفدى فى شرح البيتين السابقين .

(٣) نبذ العجم ص ١٠/ظ (٤) إيضاح المبهم ص ٥٤/و .

قال « يقتلن استعارة تبعية أو مجاز مرسل » .[١]

ولم يكن لهؤلاء الشراح أعداء عقديين ، كما كان للسابقين من البلاغيين ، ولكنهم اتبعوا منهج القدماء فى تقسيم المجاز : إلى مجاز عقلي ومجاز لغوي كما أشرنا من قبل ، واتبعوهم كذلك في ربط الإسناد في المجاز العقلي بالعقيدة ، وهذا الربط بين المجاز والحقيقة والمذهب الاعتقادى للبلاغى نجده عند عبد القاهر والزمخشري وغيرهما وكما يقول الدكتور « رجاء عيد» «إنَّ عبد القاهر يدفعه إلى مصطلحه (المجاز العقلي) تحرُّجه الدّينى الذى اصطنعه ، فيخلط الحس الدينى (أهل السنة والاشاعرة فهو واحد منهم) حين يدعى أن مثل « خط أحسن بما وشاه الربيع ، حيث أسند الوشى الي الربيع ، فيبحث عن مخرج - دينى لابلاغى - ولايكون ذلك للمخرج الا القول بأن ذلك مجرد ادّعاد ، وأننا لا نتصور أن نجعل (للربيع فعلا أو وصفا وأنه مشارك الحى القادر في صحة الفعل منه) ويكون للمجاز العقلى هو المنجاة . . أن حرص عبد القاهر على الفريضة الواهمة ، خوفه أن يصبح للمجاز في إسناد الوشى للربيع حقيقة ، فنكفر بالله ، وذلك خلط لا سبيل لنا إلى إصلاحه إلا أن نتفهم أننا نبحث فى اللغة الفنية وهي فى واد والمسائل الدينية فى واد آخر »[٢] .

(جـ) الاستعارة :

والاستعارة مبحث طويل من مباحث علم البيان يشكل أساس الحديث فى المجاز .[٣] والاستعارة « هي ادعاء معنى الحقيقة فى الشئ للمبالغة فى التشبيه مع طرح ذكر المشبه به » .[٤]

---

(١) إيضاح المبهم ص ٦٦/و .

(٢) فلسفة البلاغة ص ٧٦ .

(٣) انظر : معجم المصطلحات البلاغية جـ١ ص ١٣٦ - ١٧٤ ، مفتاح العلوم ص ١٩٦ - ٢٠٨ الايضاح ص ٤٠٧ - ٤٥٤ ، والمطول ص ٣٥٧ ومابعدها ، وزهر الربيع ص ١٢٦ - ١٥٠ .

(٤) التعريفات ص ١٩ .

وأركان الاستعارة ثلاثة مستعار وهو اللفظ ، ومستعار منه وهو المشبه به ، ومستعار له وهو المشبه ، ولابد فيها من تناسى التشبيه وادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ، ولابد أيضاً أن لايذكر وجه الشبيه ولا أداة التشبه لا لفظاً ولا تقديراً ، والا كان تشبيهاً لا استعارة » .(١)

وقد تعرض لها الشراح كثيراً ، قال العكبرى فى شرح البيت :

١١- حُلْوُ الفُكَاهَةِ مُرُّ الجِدِّ .... الخ

« استعار له الحلاوة وأضافها إلى الفكاهة لطيب أخلاقه مع أصحابه ومسالمته لهم ، واستعار له المرارة وأضافها إلى الجد لقوته وبسالته فى الحروب » .(٢)

ولم يكن العكبرى معنياً بضبط مفهومه للمصطلحات البلاغية وهذا واضح من تعليقه على البيت :

١٢- طَرَدْتُ سَرْحَ الكَرَى ... الخ

فإنه قال « ولما ذكر طرد الذى حقيقته في الحيوان استعار له السرح . . وكنَّى عن نزول النوم فى العين بالورْد وأضافه الى المقلة ، ثم رشح الاستعارة التى هى السرح بذكر السوَام . . وهذا من أحسن البلاغة »(٣)

وذكر الطبرى نوعا من الاستعارة فى شرح البيت :

٢٦- لَعَلَّ إلمَامَةً .... يَدِبُّ مِنهَا نَسِيمُ البُرْءِ فِي عِلَلِي

قال « واستعار للبرء النسيم ، لأن البرء انما يقبل ويحصل متدرجا من هبوب النسيم وهو أول الريح إذا أقبل وهبَّ برفق ولين ، وهذا من باب

---

(١) زهر الربيع ص ١٢٦ .
(٢) شرح العكبرى ص ٤/و .
(٣) شرح العكبرى ص ٤/ظ .

استعارة المحسوس للمعقول ، فإنه لما شارك الاجتماع بالمحبوب والتلذذ بقربه النسيم في الالتذاذ استعار له اسمه ، ولما كان حصول الالتذاذ على الاستدراج أتم وأقر بالتجربة أهدأ وأرفق وألطف فلا جرم استعمل ههنا لفظ يدب وهو أن يمشى على الرفق واللين ، واسندهما إلى النسيم ثم أضاف النسيم الي البرء فاعرفه فان هذه استعارات حسنة وتشبيهات » .[(١)]

ونقل « الصفدى » فى تعريف الاستعارة « والاستعارة عند أرباب البيان هى ادعاء معنى الحقيقة فى الشئ للمبالغة فى التشبيه مع طرح ذكر المشبه به من البيت لفظا أو تقديرا ولا شك أن الاستعارة أبلغ من التشبيه وأوقع فى لنفس » .[(٢)]

وهذا الربط بين التشبيه والاستعارة مطرد فى الشروح ، قال « أبو جمعة » فى شرح البيت :

٢٦- لَعَلَّ إلمامَةً ... الخ

« ونسيم البرء من التشبيه المؤكد كلجين الماء ولايمكن حمله على الاستعارة بالكناية ؛ لأن ذلك يؤدى إلى أن يكون مستهجنا كقوله (لاتسقنى ماء الملام) » .[(٣)]

وفى شرح « أبى جمعة » للبيت :

٢٧- يُشْفَى لَدِيغُ الْعَوَالِي فِى بُيُوتِهِمُ ... بِرَشْفَةٍ مِنْ نِبَالِ الأَعْيُنِ النُّجُلِ

قال « وقوله نبال الأعين النجل من الاستعارة بالكناية ، لأنه شبه الأعين بالقسىّ ، وأضمرها فى نفسه وأثبت لها النبال التى من لوازمها تخييلا لينتقلَ منها إلى المشبهِ به كما هو شأن الكناية » .[(٤)]

---

(١) حل المبهم والمعجم ص ١٥/ و ، ١٥/ ظ . (٢) الغيث المسجم جـ١ ص ١٧٩ (القاهرة) .
(٣) إيضاح المبهم ص ٧٠/ ظ . (٤) إيضاح المبهم ص ٧٢/ و .

وفى شرح المنياوي للبيت :

١٢ - طَردتُ سَرْحَ الكَرَى .. الخ

قال « فى الشطر الأول من البيت استعارة تصريحية أصلية أو كنائية كذلك أو تشبيه بليغ ، ففى الأولى يقال شبهت وثبات النوم بالسرح بجامع تغيير الهيئة واستعير السرح للوثبات المذكورة وفى الثانية يقال شبه الكرى براعٍ بجامع أن كلا سبب ، ثم استعير الراعي للكرى ، وحذف وأشير إليه بشئٍ من لوازمه وهو سرح ، وإثباته للكرى استعارة تخييلية ، وفى الثالث يقال إنَّ إضافة سرح للكرى من إضافة المشبه به للمشبه » .(١)

وهذا الاضطراب فى الحكم على الصورة الفنية راجع إلي ذلك الربط بين التشبيه والاستعارة ، وكما يقول الدكتور رجاء عيد « الحرص على الأصل التشبيهى بل وعلى تقدير أداة التشبيه فى التشبيه كان المنعطف الخطر الذى تردى فيه البلاغيون يقودهم رائد لايرود أهله : المنطق . . . والعقلانية والخوف - كما يقول « ابن الأثير » من استحالة المعنى أن يجعل مانعرفه باسم التشبيه البليغ كغيره ، وأن ظهور الأداة لايقدح فى بلاغته وإنما يجب تقدير الأداة حتى لايستحيل المعنى . . وفى الاستعارة يجب تقدير الأداة أيضاً خوفاً من استحالة المعنى »(٢)

وإذا كان « أبو جمعة ش قد حاول أن يجعل لنفسه مخرجاً ويحدد الصورة الفنية على حسب مفهومه ويدافع عن ذلك المفهوم فان « محمد على المنياوي » قد وقع في المحظور وجعل للصورة ثلاث مسميات ، كأنها تماماً (تعدد الأوجه الإعرابية فى الجملة الواحدة) .

وأما موقف « الصَّفَديّ » من الاستعارة فهو موقف قد حكمه ذوق

---

(١) تحفة الرائى ص ٢٥ .

(٢) فلسفة البلاغة ص ١١٣ .

العصر ، فبالرغم مما نجد له من مؤلفات بلاغية [١] إلاّ أنه قد خضع لذوق عصره فعُنِيَ بالبديع عناية شديدة ، ولم يكن غريباً أن يرفض الاستعارة الشهيرة فيَ بيت أبي تمام :

لاَ تَسْــقِنِي مَـاءَ المَـلاَمِ فإنَّنِي　　صَبٌّ قَد استَعْذَبْتُ مَاءَ بُكَائِي

قال « وقيل أن بعضهم لما سمع قول أبي تمام جهز له قَدَحاً وقال له ابعَثْ لي في هذا قليلاً من ماء الملام فقال أبو تمام حتى تبعث لي ريشة من جناح الذل ، وماظلم من جهز له القدح فإنه استعار قبيحاً ، وليست استعارته كاستعارة جناح الذل في الآية بل الاستعارة في الآية غاية في الحسن »[٢]

وهذا « أبو جمعة » - برغم اتصاله بكتاب « الزمخشري » - الكشاف - ونقله منه ، فهو يرفض أيضاً الاستعارة السابقة ، فقد جعلها مستهجنة كما سبق .[٣]

ولاشك أن الشراح جميعا ، كانوا أقل حظاً من النظر الفني الصحيح الذي نجده عند الزمخشري » ولعل الزمخشري - وهذا مايلفت النظر - كان لامساً الطريق السوي حين رأى في مفهومه للاستعارة ، أنها تكون في بنائها اللغوي صالحة للمنقول عنه أو المنقول إليه ، أي أنه لايبحث عن أصل تشبيهي بقدر اعتماد الدلالة التي تبيّن طريق « فحوى الكلام » كما عبر » .[٤]

---

(١) من مؤلفاته البلاغية ١- نصرة الثائر علي المثل السائر : في النقد والبلاغة .
٢- القول المعجب في القول بالموجب .
٣- فض الختام عن التورية والاستخدام (انظر : فض الختام بتحقيق د . المحمدي عبد العزيز الحناوي ص ١٧-٢١) ط الدار المحمدية - القاهرة ، ١٩٧٩ م .

(٢) الغيث المسجم جـ١ ص ١٧٩ ، والإشارة إلى الآية ٢٤ من سورة الإسراء (اخفض لهما جناح الذل من الرحمة) .

(٣) إيضاح المبهم ص ٧٠/ ظ .

(٤) فلسفة البلاغة ص ١٣٦ - ١٣٧ .

وتنقسم الاستعارة إلى ثلاثة أقسام : تصريحية وتسمى مصرحة ، ومكنية وتسمى استعارة بالكناية وتخييلية ، وذلك أنه إذا كان المحذوف من الطرفين هو المشبه والمذكور هو المشبه به فالأولى ، وإن كان المحذوف هو المشبه به والمذكور هو المشبه وقد أشير فى الكلام إلى المشبه به المحذوف بذكر شئ من لوازمه فالثانية ، وإن كان المستعار غير محقق لاحساً ولاعقلاً فالثالثة[١]

وقد أشار أكثر الشراح إلى نوع أو أكثر من الاستعارة كما نجد فى قول أبى جمعة فى شرح البيت :

٣٥- إِنَّ الْعُلَى حَدَّثَتْنِى - وَهْىَ صَادِقَةٌ

فِيماَ تُحَـدِّثُ أَنَّ الْعِـزَّ فِى النُّقَـلِ

« وحدثتنى استعارة تبعية ، لأنه استعار لفظ الحديث لدلالة حال العلى على العز لاقترانها به وتشبيه العلى فى نفسه بالمحدث استعارة تخييلية ، وذكر الصدق إيهام وقد مر أن الاستعارة التحقيقية قد تكون قرينة المكنية ، ويجوز أن تجعل البيت كله استعارة تمثيلية فكأنه شبه وجود العلى والعز مقرونين بالنقل غالبا على سبيل التجريد بمحدث يحدثه بذلك صادق غير متهم ومثله قوله :

قَالَ لَهَا رِيحُ الصَّبَا قَرْقَارُ

وقوله : إِذَا قَالَتِ الأَنْسَاعُ لِلْبَطْنِ الْحَقِ . »[٢]

وفى شرحه للبيت :

٥١- غَاضَ الْوَفَاءُ وَفَاضَ الْغَدْرُ ... الخ

---

(١) زهرة الربيع ص ١٢٩ .

(٢) ايضاح المبهم ص ٨٩/ و ، ٨٩/ ظ .

قال أبو جمعة أيضاً « وقوله غاض الوفاء وفاض الغدر استعارة تبعية فى الجمهور . . ويجوز أن تجعله من المجاز المرسل . . ومذهب السكاكى أن الوفاء والغدر استعارتان بالكناية »[١]

وفى شرح « المنياوى » للبيت :

١٢- طَرَدْتُ سَرْحَ الكَرَى عَنْ وِرْدِ مُقْلَتِه
وَاللَّيلُ أَغْرَى سَوَامَ النَّوْمِ بِالْمُقَلِ

قال « فى الشطر الاول من البيت استعارة تصريحية أصلية أو كنائية كذلك أو تشبيه بليغ . . . وفى الشطر الثانى منه استعارة كنائية أو تصريحية تبعية » .[٢]

وهذا الاضطراب فى الحكم مما ورثه الشراح عن البلاغيين ، فوقعوا فى أسره « ونحن نلحظ أن كل هذه التقسيمات تمثل مجرد احصاء لايتصل بفنية الأداء اللغوي ، ويتضح الافتعال فى تلك الأقسام فى تلجلج البلاغيين أمام أنماط لغوية تدخل فى أكثر من قسم محدد تضمه » .[٣]

(د) الكناية :

والكناية هى « لفظ أطلق وأريد منه لازم معناه ، مع قرينة لاتمنع من إرادة المعنى الأصلى نحو زيد طويل النجاد ، أى علاقة السيف وليس مراداً بل المراد طول قامته وان لم يكن له نجاد ، ومع ذلك يصح أن يراد المعنى الحقيقى » .[٤]

وقد تحدث الصفدى عن الكناية فى شرح البيت :

٢١- نَوْمُ نَاشِئَةٌ بِالجِزْعِ ثَانِيَةٌ   يَدِبُّ مِنْهَا نَسِيمُ البُرْءِ فِى عِلَلِى

---

(١) إيضاح المبهم ص ١٢٧ / ظ .
(٢) تحفة الرائى ص ٢٥ .
(٣) فلسفة البلاغة ص ١٣٩ .
(٤) زهر الربيع ص ١٥٢ .

فقال : « وفى بيت الطغرائى الكناية وهى أبلغ من التصريح ، وأوقع فى النفوس ، ألا ترى أن قولك بعيدة مهوى القُرْط أبلغ من قولك طويلة العنق ، وقول امرئ القيس :

وَيُضْحِي فَتِيتُ المِسْكِ مِنْ فَوقِ فَرْشِهَا
نَؤُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ

أبلغ من قوله : منعمة ذات خدام وجوار يخدمونها فهى تنام الضحى ولم تشد وسطها بنطاق الخدمة ، وامرؤ القيس أبدع الناس فى الكناية لأن الناس كانوا يقولون أسيلة الخد حتى جاء فقال أسيلة مجرى الدمع وكانوا يقولون طويلة القامة وتامة العنق حتى قال بعيدة مَهْوَى القُرْط » .(١)

وفي شرح البيت :

٨- أريدُ بسطَةَ كَفٍّ .. الخ

قال أبوجمعة : « وبسطة كف كناية عن الغنى ، عدل إليها لكونها أبلغ من حيث أنها كدعوى الشئ ببيّنة » .(٢)

وفى شرح المناوي للبيت الثالث (فيمَ الإقامةُ بالزَّوْرَاء . . إلخ)

قال « فى البيت . . الكناية عن خلوه من بواعث الإقامة ببغداد » .(٣)

ومهما يكن حكم القدماء على الكناية فإن ما فعله الشراح كان فى اطار وضعية الكناية فى النظام البلاغى المتكامل وهو الذى جعل أبو جمعة ينظر لها فى البيت (٨) على أنها كدعوى الشئ ببينة ، وجعل المناوي يبحث عنها فى مكان لاوجود لها فيه (البيت الثالث) ولهذا كان الدكتور رجاء عيد معه بعض الحق حين قال «مهما تكن وضعية الكناية فإنها تظل خاضعة للأداء جميعه ، بل وتكاد تشحب قيمتها أمام التركيب اللغوى بوجه عام»(٤) فما أبعد صنيع هؤلاء الشراح عن تلك النظرة للأداء اللغوى

---

(١) الغيث المسجم جـ ١ ص ٢٤٥ (القاهرة) .
(٢) ايضاح المبهم ص ٢٧ / و .
(٣) تحفة الرائى ص ٢٣ .
(٤) فلسفة البلاغة ص ١٨١ .

(٢)

مباحث علم البديع :

والبديع هو « علم يعرف به وجوه تحسين الكلام ، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة » .[١]

وهذه الوجوه ضربان ، ضرب يرجع إلى المعنى ، وضرب يرجع إلى اللفظ و وكان « بدر الدين ابن مالك » أول من أطلق مصطلح البديع على هذه الوجوه والمحسنات . . وفصل القزويني البديع فصلاً تاماً عن البلاغة التي جعلها محصورة في المعاني والبيان . . ولم يخرج شراح التلخيص عما رسمه القزويني وإن أضاف بعضهم كالسُّبكي فنوناً أخرى » .[٢]

وفي شروح اللامية يحتل البديع موقعاً مهما عند أكثر الشراح [٣] ، وخاصة الصفدي وأبو جمعة والمنياوي ، وقد أطلق الصفدي على البلاغة في شرحه اسم البديع ، ولم يكن هذا إلا تمشياً مع ماهو سائد في الدراسات البلاغية في البيئة المصرية على عهد الصفدي ، فقد سبقته دراسات بلاغية كثيرة ارتكزت على البديع منذ القرن السابع خاصة ، وكما يقول الدكتور مصطفى الصاوي الجويني « فإن المدرسة المصرية أطلقت لفظة بديع لتشمل جميع علوم البلاغة بوضعها الاخير كما أصله السكاكي - من معان وبيان وبديع - لكنها غلّبت أوجه البديع حتى لتصبح أبواب المعاني والبيان عندها دون العشرة أبواب ، من نيف ومائة باب بديعي ،

---

(١) الايضاح ص ٤٧٧ ، وانظر : كشاف اصطلاحات الفنون جـ١ ص ٢٨ . وزهر الربيع ص ١٠٧ ، ومعجم المصطلحات البلاغية جـ١ ص ٢٨٢ وما بعدها .

(٢) معجم المصطلحات البلاغية جـ١ ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

(٣) لم يرد في شرح الطبري (حل المبهم والمعجم) أية إشارة للبديع ، ووقعت إشارة واحدة أو إشارتان في شرح العكبري .

كما نرى فى بديع القرآن لابن أبى الأصْبَعْ ». [١]

وكما هو متنظر ، تعمد الشراح أن يرصدوا كل لون بديعي وقع في القصيدة ، وأهم هذه الألوان البديعية مانعرض له فيما يلى :

(أ) الجنـــاس :

والجناس أو التجنيس ثانى فن من بديع ابن المعتز وهو « أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعراً وكلام ومجانستها لها أن تشبهها فى تأليف حروفها » . [٢]

ومنه أنواع كثيرة ، ذكر الصفدى منها جناس التحريف ، فى استطراده فقال :

« قلت الجناس وان كان من أنواع البديع لكن بعض صوره مستثقل ، كقول ابن الفارض من قصيدة :

أمَا لَكَ عَنْ صَدٌّ أمَالَكَ عَنْ صَدٍ　　لظَلْمِكَ ظُلْماً مِنْكَ مَيْلٌ لعَطْفه

فانظر إلى استثقال البيت . . لما فيه من جناس التحريف فى صَدٌّ صَد الأول من الصدود والثانى صَد أى عطشان وفى ظَلْم وظُلْم الأول الظَّلْمَ (بالفتح) وهو الريق والثانى (بالضم) وهو الجور ، ومع التقديم والتأخير الذى يحتاج الى اقليدس حتى يستخرج ترتيبه على خط مستقيم ، والتقدير فيه : أمَالَكَ مَيْلٌ لعَطْفه عَنْ صَدٌّ أمَالَكَ ظُلْماً عَنْ صَد لظَلْمك ، فأمالك الأولى مركبةَ من همزة الاستفهام ، وماَ النافية ولام الجر وكاف الخطاب . . ». [٣]

---

(١) الشخصية المصرية فى الدراسات البيانية فى القرن السابع الهجري ، د . مصطفى الصاوى الجوينى ، الهيئة المصرية العامة التأليف والنشر ، القاهرة - ١٩٧٠ م ، ص ٦١٢ .

(٢) انظر معجم المصطلحات البلاغية (التجنيس) جـ ٢ ص ٥١ ومابعدها ، (الجناس) جـ٢ ص ٤١٤ ومابعدها .

(٣) الغيث المسجم جـ ٢ ص ٥٥ (القاهرة) .

وللصفدى أحكام حول الجناس كقوله « والجناس إذا كثر في الكلام مُلَّ اللهم إلا أن يكون سهل التركيب لبس على المتكلم فيه كَلَفَة كما حكى عن بعض جوارى المعتمد به عباد ، أنها قالت له وهما فى سجن أغمات : يامو لاى لقد هنّا هُنا ، فقال المعتمد :

قَالَتْ لَقَدْ هُنَّا هُنَا ... مَوْلاَىَ أَيْنَ جَاهُنَا

قُلْتُ لَهَا إِلَهُنَا ... صَيَّرَنَا إِلَى هُنَا[١]

ولايخدعنا قول الصفدى أن الجناس إذا كثر فى الكلام مل ، فهو من أنصار ذلك الجناس واستطراده إليه دليل ذلك الإعجاب ، فهو ذوق عصره ودأب معاصريه في نثرهم وشعرهم .

وفى شرح أبى جمعة للبيت :

٤٧- فَاصْبِرْ لَهَا غَيْرَ مُحْتَالٍ وَلاَ ضَجِرٍ

فِي حَادِثِ الدَّهْرِ مَايُغْنِى عَنِ الحِيَلِ

قال « فى البيت الجناس الملحق بين محتال وحيل » .[٢]

وفي شرح البيت (السابع) ذكر المنياوى الجناس اللاحق بين (ضج .. وعج) .[٣]

وفي شرحه للبيت :

٥١- وحُسْنُ ظَنِّكَ .... فظُنَّ شراً ..... الخ

عد الشارح ظن وظن من جناس الاشتقاق[٤] وهو أن يجمع بين

---

(١) الغيث المسجم جـ٢ ص ٥٦ (القاهرة) .

(٢) إيضاح المبهم ص ١١٧/ ظ ، والملحق هو اللاحق وهو من تجنيس التصريف وهو التخالف بحرف ومنه قوله تعالى (ويل لكل همزة لمزة) .
انظر : الإيضاح ص ٥٤٠ ، وشرح عقود الجمان للسيوطي ص ١٤٦ .

(٣) تحفة الراثى ص ١٩ .

(٤) تحفة الراثى ص ٧٠ .

اللفظين الاشتقاق [١] كما جعل ما بين الركب والركاب من جناس الاشتقاق كذلك [٢]

(ب) المطابقة والمقابلة والتدبيج :

المطابقة – وتسمى الطباق والتضاد أيضاً، وهى « الجمع بين المتضادين أى معنيين متقابلين فى الجملة » . [٣]

وفي شرح أبى جمعة للبيت الأول قال « فيه المطابقة ، وتسمى الطباق ، وهى الجمع بين معنيين متضادين أو متقابلين بوجه ما وقد جمع بين الحلية والعطل » . [٤]

وفى شرح المنياوى للبيت الأول أيضا زعم أنه طابق بين الناقة والجمل [٥] وهو لعمرى وهم كبير .

وفى شرحه للبيت :

٢٦– ... يَدِبُّ مِنْهَا نَسِيمُ الْبُرْءِ فِى عِلَلِى

ذكر الطباق بين البرء والعلل . [٦]

أما المقابلة فهى ، أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب والمراد بالتوافق خلال التقابلّ » . [٧]

ومثل لها العكبرى فى شرح البيت :

٤٠– غَالَى بِنَفْسِىَ عِرْفَانِى بِقِيمَتِهَا

فَصُنْتُهَا عَنْ رَخِيصِ الْقَوْلِ مُبْتَذَلِ

---

(١) الإيضاح ص ٤٢

(٢) تحفة الرائى ص ١٩ .

(٣) الإيضاح ص ٤٧٧ .

(٤) إيضاح المبهم ص ٦/و .

(٥) تحفة الرائى ص ١٣ .

(٦) تحفة الرائى ص ٤٢ .

(٧) الإيضاح ص ٤٨٥

فقال « وقعت المقابلة بين الغلاء والرخص والصون والابتذال »[١]

في شرح الصفدى للبيت :

١١- حُلْـوُ الفُكَاهَـةِ مُـرُّ الجِدُّ قَـدْ مُزِجَـتْ

بِشِـدَّةِ البـأسِ مِنْـهُ رِقَّـةُ الغَـزَلِ

قال : « جمع فيه بين ثمانية أشياء الحلاوة والمرارة والفكاهة والمزح والقسوة والرقة واليأس والغزل وهى ثمانية لم تجتمع لغيره بهذا الانسجام والعذوبة ، وأرباب البديع يسمون هذا النوع (المقابلة) . . واستشهدوا عليه بقوله تعالى (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى) الآيتين ففى كل آية مايقابل الاخرى ، هكذا قرره الجميع . . ثم اعترض الصفدى على هذا التمثيل واستشهد بقول المتنبى :

أَزُورهـم وسَـوَادُ اللَّيلِ يَشْـفعُ لِي وأنثني وبَيَاضُ الصُّبحِ يُغْرِي بِي

قابل خمسة بخمسة » .[٢]

وفي شرح أبى جمعة للبيت (١١) السابق قال :

« وفى البيت من المحسنات المعنوية المقابلة وهي فى التحقيق داخلة فى المطابقة . . . . وقد أتى بمعنين متوافقين أعنى حلو الفكاهة ثم قابلها بمر الجد وأتى بشدة البأس ثم قابلها برقة الغزل ، فإن قيل نقيض الجد إنما هو الهزل لا الفكاهة قلنا الفكاهة متعلقة بالهزل من حيث كونها مسببة عنه . وكذا الشدة والرقة ، وأما مقابلة البأس بالغزل فلا يخلو من تعسف ، ولايخفى أن هذا من مقابلة اثنين باثنين » .[٣]

---

(١) شرح العكبرى ص ١٢/ و .

(٢) الغيث المسجم جـ ١ ص ١٧٢ (القاهرة) وفى الإيضاح علق على بيت المتنبى (وفيه نظر لأنَّ اللام والباء فيهما صلتا الفعلين فهما من تمامهما) ص ٤٨٧ .

(٣) ايضاح المبهم ص ٣٥/ و .

وذكر ابن خضر المقابلة فى البيت السابق أيضاً : .(١)

ومن الطباق أيضاً التدبيج « وهو أن يؤتى فى المدح أو غيره بألوان بقصد الكناية أو التورية لما بين اللونين من التقابل »(٢)

وذكره من الشراح الصفدى فى شرح البيت :

١٨- يَحْمُونَ بِالبِيضِ وَالسُّمْرِ اللَّذَانِ بِهِ

سُودُ الغَدَائِرِ حُمْرُ الحَلْيِ وَالحُلَلِ

قال « وفى بيت الطغرائى من البديع التدبيج وهو تفعيل من الدبج وهو النقش والتزيين وأصل الديباج فارسى معرب ، فالتدبيج فى البديع أن يذكر الشاعر فى مدح أو ذم أو وصف ألفاظاً تدل على ألوان مختلفة . . والطغرائى ذكر فى بيته البيض والسمر والسود والحمر » .(٣)

وعلق أبو جمعة فى شرحه على كلام الصفدى السابق فقال « وما ذكره الفاضل الصفدى من أن فى البيت تدبيجاً سهو ظاهر ، لأن من قال بأنه نوع مستقل خارج عن الطباق فسره بأن يذكر المتكلم لونين أو ألواناً ، ويريد بأحدهما كناية عن شئ أو تورية عنه كما يشهد به آخر كلامه حيث قال والعلم المشهور فيه قول الحريرى (فهذا أغير العيش الأخضر ، وأزور المحبوب الأصفر) فان المحبوب الاصفر له معنيان قريب وهو إنسان ذو صفرة بعيد وهو الذهب وهو المراد ونحن نقطع بأن الطغرائى لم يجعل أحد الألوان الواقعة فى كلامه تورية ولا كناية عن شئ آخر » .(٤)

واتبع ابن مبارك ماذهب إليه الصفدى فجعله تدبيجاً » .(٥)

---

(١) نبذ العجم ص ٤٧ / ظ .
(٢) شرح عقود الجمان ص ١٠٧ ، والايضاح ص ٤٨٢ وكشاف اصطلاحات الفنون جـ٢ ص ٢٤٨ .
(٣) الغيث المسجم جـ١ ص ٢٢٥ (القاهرة) .
(٤) ايضاح المبهم ص ٥٠/و ، ٥٠/ظ .
(٥) نشر العلم ص ٢٤ .

(جـ) إرسال المثل :

« وهو أن يأتي المتكلم في بعض كلامه بما يجرى مجرى المثل السائر من حكمة أو نحوها مما يحسن التمثيل به ويكون بعض بيت » .[١]

وذكره الصفدي في شرح البيت الثالث :

٣ - .... بِهَا وَلاَ نَاقَتِي فِيهَا وَلاَ جَمَلِي

قال « وما أعرف أحداً ضمن هذا المثل أعني (لا ناقة لي في هذا ولا جمل)[٢] أمكن ولا أحسن من قول الشهاب محمود :

لَوْ مُثِّلَ الجُودُ سَرْحاً قَالَ حَاتِمُهُمْ ... لاَ نَاقَةٌ لِي فِي هَذَا وَلاَ جَمَلُ

انظر إلى قلقه في بيت الطغرائي ؛ لأنه عطف الناقة والجمل على السكن ولو عطف ما يناسب ذلك من أهل وولد لكان أحسن وأوقع في النفس . . . . . وهو في شعر الشهاب أمكن وأحسن »[٣]

ولا شك أن ميل الصفدي لجانب أستاذه جعله يتجنى على الطغرائي ، فكيف يعطف الناقة والجمل على الأهل والولد والسياق يأبى ذلك .

وفي شرح ابن مبارك للبيت :

٣٥- لَوْ أَنَّ فِي شَرَفِ المَأْوَى بُلُوغَ مُنَى

لَمْ تَبْرَحِ الشَّمْسُ يَوْماً دَارَةَ الحَمَلِ

قال « وهو مثال في غاية الحسن ويسميه البديعيون بإرسال المثل » لأن البيت صار مثلاً سائرا وكذا يسميه البديعيون الايضاح ، لأنه أزال اللبس

---

(١) زهر الربيع ص ١٧٨ .

(٢) هذا مثل يضرب عند التبرى من الظلم والإساءة قال الراعي :

وما هجرتك حتى قلت معلنة ... لا ناقة لي في هذا ولا جمل

(مجمع الأمثال للميداني) تحقيق محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية القاهرة ، ١٩٥٥ ، جـ ٢ ص ٢٠٠ .

(٣) الغيث المسجم جـ ١ ص ١٧١ (القاهرة) .

من خفاء الحكم الذى أدعاه لأن قوله (ان العز النقل)[١] خاف فبرهن عليه بقوله : لو أن فى شرف المأوى بلوغ منى . . البيت » .[٢]

وأشار المناوى فى شرح البيت الثالث إلى إرسال المثل وسماه « العقد لأنه عقد المثل المشهور في الضرب للتبرؤ من الأمر وهو (لا ناقة لى في هذا ولا جمل) .[٣]

(د) التورية والاستخدام :

أما التورية ، وتسمى الابهام أيضا « وهي أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد به البعيد منهما ، وهى ضربان مجردة ومرشحة » .[٤]

ولم يرد لها أمثلة فى اللامية :

والاستخدام قريب منها ، ولهذا ذكرتها ، يقول الصفدى « وربما التبست التورية بالاستخدام على من لا تمكن له فى هذه الصناعة والفرق بينهما يظهر من رسميهما ، وذلك أن الاستخدام عبارة عن (الاتيان بكلمة لها معنيان قد اكتنفتها كلمتان أو تقدمتاها أو تأخرتا عنها واستخدم كل واحد منهما في أحد ذينك المعنيين) وأن التورية في رسمها تخالف هذه الذات » .[٥]

وفي شرح الصفدى للبيت :

٢٨- وَلاَ أَهَابُ الصِّفَاحَ البِيضَ تُسْعِدُنِى

بِاللَّمْحِ مِنْ خَلَلِ الأَسْتَارِ والكِلَلِ

---

(١) البيت ٣٥ من اللامية . (٢) نشر العلم ص ٤٤ .

(٣) تحفة الراتى ص ١٣ . (٤) الايضاح ص ٤٩٩

(٥) فض الختام عن التورية والاستخدام ، تأليف صلاح الدين الصفدى ، تحقيق د . المحمدى عبد العزيز الحناوى ، الدار المحمدية للطباعة القاهرة ١٩٧٨ ، ص ١٧٩ .
وانظر التعريفات ص ٢٠ ، ٢١ .

نقل كلام بدر الدين النحوى (ابن مالك) في « إسْفار الصَّباح » حيث مثل بقول البحترى :

فَسَقَى الغَضَا والسَّاكنيه وإنْ هُمُو شَبُّوهُ بَيْنَ جَوَانِحِي وَضُلُوعِي

فاستخدم فى قوله والساكنيه أحد مفهوميه وفى قوله شبوه مفهومه الآخر ؛ لأن الأول أراد به المكان والآخر أراد به الحَطَب . . . ومن هذا قول الطغرائى ، لأن ذكر الصفاح وهي هنا مشتركة بين السيوف حقيقة وبين العيون مجازاً « وقد غلب العرف عليها بين الشعراء فصارت حقيقة عرفيه ، فأمكن اعتبار الاشتراك فقال (ولا أهاب الصفاح البيض) فهو إلى هنا فى الحقيقة اللغوية ، والسامع يظنه في ذكرها ، ثم ترك المفهوم الأول وأخذ فى المفهوم الآخر ، فقال تسعدني باللمح من خلل الأستار والكلل » .[1]

واتفق معه ابن خضر وذكر الأمثلة المنقولة في الغيث من « إسفار الصباح » .[2]

وفى شرح أبى جمعة للبيت السابق (٢٨) دافع عن رأي الصفدى فى وجه اعتراض الدمامينى عليه فقال « فى البيت استخدام . . . وما ذكره البدر محمد بن أبى بكر الدمامينى – رحمه الله – من قوله (والحق أنه أراد بالصفاح معناها المجازى وهو العيون والضمير عائد إليها بهذا المعنى ولا يضر عدم اشتمال البيت على الاستخدام إذ في ارتكابه فساد المعنى) فالظاهر أن هذا الكلام جرى منه مجرى المشاحة للصفدى على دأبه معه فى بعض الأماكن والا فحمل الصفاح على العيون من أول مرة مما لا يخفى

---

(١) الغيث المسجم جـ٢ ص ٢٤ .

(٢) نبذ العجم ص ٩٨/و .

على مثله أنه يلحق البيت بالبيوت ويجعله معمولا عن معنى البلاغة .[١]

وتردد أبو جمعة أمام البيت :

٣٢- ودَعْ غِمارَ العُلى للمُقْدمِينَ علـى

رُكُوبهَـــا واقْتَنِـــعْ مِنهُـــنَّ بالبَــــلَلِ

قال « وفي البيت من المعنوية الاستخدام ؛ لأنه أراد بالغمار الرتب التي توجب لأربابها الانغماس فى النعمة وبضميرها العائد إليها من ركوبها الشدائد . . ويجوز أن قوله غمار العلى أن يجعل من باب الاستعارة بالكناية فكأنه شبه العلى ببحر وأضمره فى نفسه وأثبت له لازمة أعنى الغمار ، وعلى هذا فلا استخدام ؛ لأنَّ الضمير ورجعه متحدان » .[٢]

وكما رأينا فإن ماذكره الشراح عن الاستخدام إنْ هو إلاّ ترديد لكلام «ابن مالك » في « إسفار الصباح » اعتمده الصفدى في الغيث المسجم وفى كتابه « فَضُّ الخَتَامِ عن التَّورِيَةِ والاسْتخْدَام ثم ردده من جاءوا بعده .

(هـ) الجمعُ مع التقسِيم :

قال الصفدى في شرح البيت :

١٣- والرَّكْبُ مِيلٌ على الأكْوَارِ مِنْ طَرَبٍ

صَـــاحٍ وآخَـــرَ مِـنْ خَمْـــرِ الكَـــرَى ثَمِـلِ

« في بيت الطغرائى من البديع ، الجمع مع التقسيم ؛ لأنه جمعهم فى ميل على الأكور ، ثم قسّمهم فقال : منهم من مال من التعب ومنهم من مال من النعاس . . ومن أمثلة هذ النوع قول « أبى الطيب » :

---

(١) إيضاح المبهم ص ٧٤/ ظ ، ٧٥/ و .

(٢) إيضاح المبهم ص ٨٥/ و .

حـتّى أقـــامَ عـلى أربــاضِ خَرْشَـــنَةَ
تَشْـقَى بِـهِ الـرُّومُ والصُّـلْبَانُ والبِيَـعُ
لِلسَّـبْي ما نَكَحُـوا والقَتْـلِ ماوَلَـدُوا
والنَّهْـبِ ماجَمَعُـوا والنَّـارِ مَا زَرَعُـوا

وأحـسن من هذا قـوله - ص - (لَيْسَ لَكَ مِنْ مَالِكَ إلاَّ مـا أكلْتَ فأفنيْت ، أو لبستَ فأبلَيْت أو تصدّقتَ فأمضيتْ ، وَقيل فأبْقَيْت)[1] .

واتفق ابن خضر فى الحكم على هذا البيت مع الصفدى ، وذكر شعر المتنبى كذلك » .[2]

ووأضح من اتفـاق ابن خـضـر مع الصـفـدى فى الحـديث على الاستخدام والجمع مع التقسيم وغيرها من أبواب البديع أنهما قد استعانا " بإسفـار الصّبـاح " لابن مـالك . وقـد أشـار إليـه الصـفـدى فى بعض المواضع ولم يشر إليه ابن خضر . ولا نستطيع أن نقطع باعتماد ابن خضر على الصفدى اعتماداً مباشراً لما بين الأمثلة من اختلاف فى بعض الأبيات من شعر المتنبى أو البحترى .

(و) المذهـب الكلامـى :

تحدث عنه أبو جمعة فى شرح البيت :

٣٦-لَـوْ أنّ فى شَـرَفِ المأوى بُلُـوغَ مُنَىً
لَـمْ تَبْـرَحِ الشَّمـسُ يومـاً دَارَةَ الحَمَـلِ

---

(١) الغيـث المسـجم جـ١ ص ١٨٩ (القاهرة) والبيتـان فى ديوان المتنبيّ بشرح البرقوقى جـ٢ ص ٣٣٤ .

(٢) نبذ العجم ص ٦١/ ظ .

قال :

" وهذا من المحسنات المعنوية ويسمى عندهم " بالمذهب الكلامى "
وهو إيراد الحجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام ، وبيانه أن تقول لو كان المقام بمنزلة الشرف يبلغ الإنسان إلى مايتمناه ماتعدت الشمس بروج الحمل . واللازم باطل . ، أعنى كونها مقيمة به بالمشاهدة ، فالملزوم مثله . . وهذا المعنى كثير فى كلامهم ، ومنه قول بعضهم :

قَالُوا نَرَاكَ كَثِيرَ السَّيْرِ مُجْتَهِداً
فِى الأرضِ تَنْزِلُهَا طَوْراً وتَرْتَحِلُ
فقلتُ لَوْ لَمْ يكن فى السَّيْرِ فائدةٌ
ماكانتِ الشَّمْسُ فى الأبْرَاجِ تَنْتَقِلُ[1]

(ز) التجْريد :

وهو " أن ينتزع من أمر ذى صفة أمرًا آخر مثله فى تلك الصفة مبالغة فى كمالها فيها . .

وهو أقسام منها مخاطبة الإنسان نفسه " .[2]

وتحدث عنه من الشراح الصفدى فى شرح البيت :

٣٠ - حُبُّ السَّلامة يَثْنِى عزمَ صَاحِبِه
عَنِ المَعَالِى ويُغْرِى المَرْءَ بِالكَسَلِ

قال : . . قطع الكلام عنه وأخذ يخاطب نفسه ، فهذا الذى يسميه أرباب البلاغة التجريد ، وهو أن يخاطب المتكلم غيره وهو يريد نفسه ، كأن الإنسان يجرد من نفسه مخاطباً إقامة للمواجهة بالقول وأحسن ماجاء

---

(١) إيضاح المبهم ص ٩١/ ظ ، ٩٢/و .   (٢) الإيضاح ص ٥١٢ .

فيه قول " الصِّمَّة بن عبد الله القُشَيْري " فى الحماسة :

حَنَنْــتَ إلى ريّــا ونَفْسُــكَ بَاعَــدَتْ

مَــزَارَكَ مِـنْ ريّا وسُــقْيَاكُمَا مَعَــا[١]

ووافقه في الحكم على البيت (٣٠) أنه تجريد كل من " ابن خَضر "[٢] والشَّلْفُون "[٣] وعد " أبو جمعة " البيت :

٤٧ - فَاصبر لَهَا . . . . الخ

من التجريد قال " وهكذا جميع مايشبهه من الأبيات التى بعده " .[٤]

(ح) لزوم مالايلزم :

وهو : " أن يجئ قبل حرف وما فى معناه من الفاصل ماليس بلازم فى مذهب السجع كقوله (فَأما اليَتيمَ فَلا تَقْهَرْ ، وأما السَّائلَ فَلاَ تَنْهَرْ) "[٥]

وذكره أكثر الشراح فى شرح البيت الأول من اللامية ، قال الصفدى " إنه التزم الطاء فى الخَطَل والعَطَل " .[٦]

وقال أبو جمعة " وفي القصيدة لزوم مالا يلزم . وقد التزم الفتحة فيما قبل الروي أعني اللام ، ولم ينخرم عليه ذلك إلاّ فى قليل من أبياتها " .[٧]

• • •

---

(١) الغيث المسجم جـ ١ ص ١٨٩ (القاهرة) (٢) نبذ العجم ص ٦١/ ظ .

(٣) شرح الشلفون ص ١٧ . (٤) إيضاح المبهم ص ١١٧ / ظ .

(٥) الإيضاح ص ٥١٢ . والآيتان المذكورتان رقم ٩ ، ١٠ من سورة الضحى ، وانظر كذلك شرح عقود الجمان للسيوطى ص ١٥٤ ، وفى المطول لزوم مالا يلزم ، ويقال له الالتزام ، والتضمين والتشديد والاعنات أيضا ص ٤٥٨ ، وفي زهر الربيع : ومن التزام الحركة والحرف معاً قول الطغرائي :

أصالةُ الرأى صانتنى عن الخطل . . . . لَدَى العَطَل . ص ٢٥٦ .

(٦) الغيث المسجم جـ ١ ص ٧٧ ، ونشر العلم ص ٤ ، ونبذ العجم ص ١٠/ ظ .

(٧) إيضاح المبهم ص ٦/ و ، ٦/ ظ .

(٤)

وبعد . . فما الذى ورثه الشراح من البلاغة ؟ وما مكانة ما خلفوه من تطبيقات فى الشروح ؟

يقول الدكتور شوقى ضيف " إنَّ العصور المتأخرة منذ عصر « الفخر الرازى » « والسكَّاكى » لم تستطع أن تضيف إلى مباحث البلاغة مباحث جديدة من شأنها أن تبقي لها على ازدهارها الذى رأيناه عند عبد القاهر والزمخشرى لسبب طبيعى هو ماساد فى هذه العصور من الجمود ، لافى البلاغة فحسب بل أيضا فى الشعر والنثر ، وحقا صاغ السكاكى قواعد الزمخشرى وعبد القاهر صياغة علمية ، ولكن هذه الصياغة نفسها كانت من أهم الأسباب التى أشاعت الجمود بل العقم فى البلاغة ، إذا تحولت إلى قواعد متحجرة ، وأصبح على البلغاء بعد ذلك شرحها أو تلخيصها ثم شرح التلخيص مع العودة أحياناً إلى عبد القاهر والزمخشرى لتـ... بعض المسائل ومع التغلغل فى مباحث فلسفية وكلامية وأصولية وهي مباحث ظلت تتسلق على شجرة البلاغة حتى خنقتها خنقاً ، وحتى أصبحنا لا نجد إلاّ كلاماً معاداً مكرراً لا ينمّى ذوقاً ولا يربّى مَلَكَة » . (١)

وكما أن هذا الحكم يصدق على المؤلفات البلاغية المتأخرة ، فهو صادق أيضا إذا انصرف إلى عمل الشراح ، وإنَّ أخطر ما ورثه الشراح من هذه البلاغة تلك المعيارية التي حصرتهم فى البحث فى الجملة ، « كأنها وصايا لإجادة التعبير الأدبى كما سماها بعض الباحثين المعاصرين » (٢) .

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ : د. شوقى ضيف ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف ١٩٨١ القاهرة ، ص ٣٥٨

(٢) البلاغة العربية فى أساس نشأتها : د. عبد الحميد زراقط ، ويقول الباحث (إن البلاغة العربية وفق ما صارت إليه فى مراحلها المتأخرة عبارة عن قواعد وأصول ومعايير تستخدم بمثابة وصايا لإجادة التعبير الأدبى ، وهذه القواعد والأصول هي فى الحقيقة خصائص لغة فنية عائدة لمرحلة تاريخية معينة لم تتح شروطها للأدباء أن يجددوا إلاّ في ميدان العبارة الأدبية ومن هـ حصر البلاغة العربية اهتمامها بالجملة فحسب) مقال فى مجلة الفكر العربى عدد ٤٦ ١٩٨٦ ، ص٢٢٢

وكما يقول الدكتور « تَمَّام حَسَّان » :

« توارث الناس بلاغة السكاكى عبر القرون يتلقاها خلف عن سلف دون أن يصل من خلالها إلى نقد يتعدى لغة النص ، ولما كانت هذه البلاغة ذات كقواعد النحو ، لما كانت البلاغة كذلك ، أصبحت منهجا تعليمياً معيارياً لا علمياً وصفيا » .(١)

ومن شاء أن يتأكد من صدق هذه الأحكام على البلاغة المتأخرة وعلي الشروح خاصة ، فعليه بشرح « محمد على المنياوى » المسمى « تحفة الرائى » ، فإنه التزم فى شرح كل بيت من اللامية تحديد كل لون بيانى أو بديعى من المحتمل أن يكون موجوداً فى الجملة تلو الجملة ، وأنه يصنع في البلاغة ما صنعه في النحو من تتبع الجمل في الإعراب .

ولقد يكون البحث في « البديع » خاصة هو الذى دفع إلى هذه المعيارية التى أوصلت البلاغة الى ما وصلت اليه « فلقد تجمعت تقلبات العصور السياسية والاجتماعية ، واندفاع النقاد - أيضا - إلى ذلك السَّرَف في تلمس أنواع وأشتات تسمى بديعاً ، وكلها ملاحظات جزئية هشّة لا تتعدى اللفظة والجملة وضاع صوت الجُرجَانِى - كما ضاع صوت « ابن رشيق » .(٢)

وقد انصرفت عناية هذا الفصل من البحث الى مافي الشروح من تطبيقات بلاغية ، واتضح أن مابها من تعريفات ونحوها من المسائل النظرية أن هو إلاّ نقول من الكتب لا اجتهاد فيها ، وبيّنٌ أن هذه النقول أيضا قد خضعت خضوعاً تاماً لما استقر في الذوق العام للعصور المتأخرة من إعجاب بالبديع ، والذى جعل ذلك الذوق مدفوعاً نحو زاوية جعلت

---

(١) د . تمام حسان ، مجلة فصول ، مرجع سابق ، ص ٢٢ .

(٢) فلسفة البلاغة ، د . رجاء عيد ص ٢١٦ .

أغلب المعاصرين تحكم عليه بالغثاثة كما نجد في قول الزيات :

« وفى العرب كان مذهب المعنويين ومذهب اللفظيين ، أو مذهب أهل العراق ، ومذهب أهل الشام وكان المذهبان أول الأمر يتماسان من شدة القرب ، كما تراهما بين أسلوب « الجاحظ » وأسلوب « ابن العميد » فلما فسدت الطباع وأمحلت القرائح صار بينهما من البعد ما بين براعة «ابن خَلدُون » وغثاثة « القاضى الفاضل » . [1]

أما التطبيق البلاغى في الشروح ، فقد استبان أنه لم يضف شيئاً إلى مباحث المتأخرين ، بل إن أصحاب هذه الشروح قد وقعوا في أسر أخطر ما فى مؤلفات المتأخرين من معيارية ، وفي أسر « البديعيات » سجنوا أنفسهم اختياراً لا اضطراراً ، وقد لا نغلو إذا قلنا أن وجود هذا العدد الكبير من شروح قصيدة الطغرائى لم يكن صدفة أو مجرد حظ مؤات ، فلا شك أن أسلوب الشاعر نفسه وعنايته بالصناعة اللفظية كان له اعتبّار فى وجود عددٍ من هذه الشروح على الأقل .

• • •

---

(١) دفاع عن البلاغة : أحمد حسن الزيات ط ٢ ، عالم الكتب . القاهرة ١٩٦٧ . ص ٣٢

الفصل الخامس

الاتجاه النقدي التقليدي

الفصل الخامس

الاتجاه النقدي التقليدي في الشروح

(١)

« يقوم جوهر النقد الأدبى أولاً على الكشف عن جوانب النضج الفنى فى النتاج الأدبى وتمييزها مما سواها عن طريق الشرح والتعليل ثم يأتى بعد ذلك الحكم العام عليها »(١)

وإذا كان الشعر العربى بعد القرن الرابع قد وقع أسير الأساليب القديمة فإن النقد هو الآخر قد انشغل بالإطار القديم وتقيد به ، « والواقع أن الموضوعات التى شغلت عناية النقاد لا تزال إلي اليوم موضوع بحث الأدباء والنقاد في عالمنا الحاضر فى كافة البلاد ، وإنْ يكن هناك تغيير فهو فى المناهج لا الأهداف » (٢) .

ولم يعد جديداً أن نقرأ أحكاماً مثل حكم الدكتور « شوقى ضيف » في قوله :

« منذ القرن الرابع لا نجد نقداً له قيمة بسبب بسيط ، وهو أنه لا تظهر فى الشعر أساليب وأنماط جديدة تجعل النقاد يلاحظون أو يدرسون وسرعان ما يصيب النقد هذا الجمود الذى أصاب الشعر ، وكما كان الشعراء فكذلك النقاد يبدون ويعيدون فى ملاحظات النقد الماضية ، وقلما أضافوا إليها جديداً » (٣) .

---

(١) النقد الأدبى الحديث : د. محمد غنيمى هلال ، دار نهضة مصر القاهرة ١٩٧٩ ، ص ٩ .

(٢) النقد المنهجى عند العرب : د . محمد مندور ، ط دار نهضة مصر - القاهرة ، د . ت ، ص ٣٤٠

(٣) النقد : د . شوقى ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٧ م ، ص ٩٨ .

ولا شك أننا لا نأخذ هذا الحكم على علاتة ، ونحن ندرس أعمالاً تتعلق بقصيدة كان لها من الذيوع ما لقصيدة الطغرائى ، وحتى لو كان هذا الحكم صحيحاً ، فإن قراءة هذه الأعمال وتحليلها للوصول إلي هذا الحكم في النهاية أمر واجب الوقوع في هذا البحث ، ولهذا فسوف نتتبع فى هذا الفصل تلك القضايا النقدية التى أثارها شراح اللامية ، معتمدين على النصوص الأصلية فى تلك الشروح ، وسنلاحظ غياب بعض الشروح تماماً من هذا الفصل ، وخاصة شرح العكبرى وتلخيص إبراهيم سند لشرح ابن مبارك لخلو هذين الشرحين تماماً من أى نقد أدبى .

*****

(٢)

مشكلة السرقات :

« إذا كانت فكرة السرقات الأدبية متصلة بتاريخ الفكر الإنسانى منذ عهد بعيد فإنها قديمة في أدبنا العربى معروفة لدى نقاده وشعرائه الأقدمين »[١]

وفى شرح لامية العجم الكثير من غبار معارك السرقات الشعرية ، وإن كان بعض الشراح لم يتعرض لمبحث السرقات ، فهذا « علي بن قاسم الطبرى» صاحب شرح « حل المبهم والمعجم » لم يتهم الشاعر بالسرقة قط بل كان يعلق بقوله : «وقريب مما نحن بصدده قول فلان ، ففى شرحه للبيت :

٣٧ - أَهَبْتُ بالحَظِّ لَوْ نَادَيْتُ مُسْتَمِعا

والحَظُّ عَنِّيَ بالجُهَّالِ فِي شُغُلِ

---

(١) الأبعاد النظرية لقضية السرقات وتطبيقاتها في النقد العربى القديم : د . محمد مصطفى هدارة

قال : ومعني البيت ظاهر ، وهو كقول الآخر :

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا　　وَلَكِنْ لاَ حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِى [١]

أما الصفدى فقد عول على مبحث السرقات كثيراً ، وربما لم يترك بيتاً من أبيات الطغرائى إلا جعله مسروقاً ، وقد عبر عن اتهامه بالسرقة مرة وبالأخذ مرة وبالاختلاس وغير ذلك .

قال الصفدى فى شرح البيت الثانى :

مَجْدِى أَخِيراً وَمَجْدِى أَولاً شَرَعٌ

وَالشَّمْسُ رَأْدَ الضُّحَى كَالشَّمْسِ فِى الطَّفَلِ

«وقد أخذ الطغرائى هذا المعنى من قول أبى العلاء المعرى حيث قال :

وَافَقْتُهُم فِي اخْتِلاَفٍ مِنْ زَمانِكُمُ

وَالبَدْرُ فِى الوَهْنِ مِثْلُ البَدْرِ فِي السَّحَرِ

فهذا هذا خلا أن ذلك في الشمس وهذا في القمر » [٢] وواضح أنه نظر إلي المثل المضروب الذى يصح أن يستعمله كل شاعر دون أن يتكلف في ذلك عناءً .

وقول الطغرائى :

٤ - نَاءٍ عَنِ الأَهْلِ صِفْرُ الكَفِّ مُنْفَرِدٌ

كَالسَّيْفِ عُرِّىَ مَتْنَاهُ عَنِ الخِلَلِ

مأخوذ من قول « مسلم بن الوليد » :

---

(١) حل المبهم والمعجم ص ٢١/ ظ .

(٢) الغيث المسجم جـ ١ ص ٧٩ - ٨٠ .

وَبَايَنْتُ حَتَّى صِرْتُ لِلبِيدِ رَاكِباً
قَرَى العَزْمِ ، فَرْداً مِثْلَما انْفَرَدَ النَّصْلُ (١)

يقصد أنه سرق منه معنى انفراد السيف .

وفى شرح الصفدى للبيت :

٧ - وضَجَّ من لَغَبٍ نِضْوِى وعجَّ لِمَا
أَلْقَى رِكَابِى ولَجَّ الرَّكْبُ فِى عَذَلِى

قال : أقول قد أخذ بيت «الشّريف الرَّضى» برمته من قوله :

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلى مَنَازِلِهِم | وديَارُهُم بَعْدَ البِلَى نَهْبُ
وَوَقَفْتُ حتى ضَجَّ مِنْ لَغَبٍ | نِضْوِى ولَجَّ بِعَذْلِىَ الرَّكْبُ
وتَلَفَّتَتْ عَيْنِى فَمُذْ خَفِيَتْ | عَنِّى الطُّلُولُ تَلَفَّتَ القَلْبُ (٢)

وقول الطغرائى :

١٨ - يَحمُونَ بالبِيضِ والسُّمْرِ اللِّدَانِ بِهِ
مَا بالكَرَائِمِ مِنْ جُبْنٍ وَ مِنْ بَخَلِ

من قول أبى الطيب :

دِيَارُ اللَّوَاتِى دَارُهُنَّ عَزِيزَةٌ | بِسُمْرِ القَنَا يُحْمَيْنَ لاَ بالتَّمَائِمِ (٣)

يقصد بأن يتهمه بسرقة لفظ سمر القنا في قوله السمر اللدان ، وليس هذا مما انفرد به المتنبى أو غيره ، وفى شرح البيت :

(١) الغيث المسجم ، جـ١ ، ص ٨٩ (القاهرة) . وديوان صريع الغوانى ، دار المعارف ، ص ٩٢
(٢) الغيث المسجم ، جـ١ ص ١٦ (القاهرة) .
(٣) الغيث المسجم ، جـ١ ص ٢٢٣ (القاهرة) . وهو فى ديوان المتنبى جـ٤ ص ٢٣٧ .

١٠- وذِى شَطَاطٍ كَصَدْرِ الرُّمْحِ ...... الخ

قال ، وصدر بيت الطغرائى هو بعينه صدر بيت الحريرى فى مقامته الرابعة والأربعين من قصيدته البائية ، لأنه قال :

وذِى شَطاطٍ كصَدْرِ الرُّمْحِ قامَتُـهُ صَـادَفْتُهُ بِمِنَىً يَشْكُو مِنَ الحَدَبِ

ثم قال : « ومثل هذا لا يعد سرقة ؛ لأن المعنى ليس ببديع ولا لفظه بفظيع ، ولا الطغرائى بعاجز عن الإتيان بمثله ، بل جرى على لسانه ، ونسى أن هذا لغيره ، لعدم الاحتفال بأمره ، إذ ليس بأمر كبير ، وهذا كثير الوقوع للناس لا يكاد يسلم الفحول منه »[١] .

وفى شرح البيت :

٢٦ - لعَـلَّ إلمَامَـةً بالجِـزْعِ ثانيـةً

يَـدِبُّ منَهـا نسـيم البُـرْءِ فـى عِـلَلِى

قال الصفدى : وقول الطغرائى فى غاية الحسن والرقة وهو مأخوذ من قول « أبى نواس » :

فَتَمشَّـتْ فـى مَفَاصِـلِهِم كَتَمَشِّـى البُـرْءِ فـى السَّـقَمِ[٢]

وفى شرح البيت :

٣٤ - فَادْرَأْ بَهـا فى نُحـورِ البِيـدِ جَافِلَـةً

مُعَارِضَـاتٍ مَثَـانِى اللُّجْـمِ بالجُـدُلِ

قال الصفدى : مأخوذ من قول « أبى الطيب » :

---

(١) الغيث المسجم ، جـ١ ص١٥٨ (القاهرة) . والبيت المذكور فى مقامات الحريرى ، والرواية هناك وذا شطاط ، ط . دار الفكر ، ص ٥٠٢ .

(٢) الغيث المسجم ، جـ٢ ص٨ .

لاَ أَبْغَضُ العِيسَ لكِنِّي وَقَيْتُ بهَا
قَلبِي مِنَ الحُزْنِ أَوْ جِسْمِي مِنَ السَّقَمِ
طَرَدْتُ مِنْ مِصْرَ أَيْدِيهَا بِأَرْجُلِهَا
حتَّى مرَقْنَ بهَا مِنْ جَوشَ والعَلَمِ
تَبْرِي بِهَا نَعَامُ الدَّوِّ مُعْرَجَةً
تُعَارِضُ الجُدُلَ المُرْخَاةَ باللُّجُمِ(١)

وواضح أن معارضة اللجم بالجدل ، أو الجمع بين الخيل والابل فى السفر ليس مما ينفرد به شاعر .

وفي شرح البيت :

٣٧- أَهَبْتُ بالحَظِّ ... الخ

قال الصفدى ، وهذا ينظر إلي قول « عبد الرّحمن بن الحكَم » :

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حيًّا ولكِنْ لاَ حيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي(٢)

وبيت الطغرائى :

٤٠- لَمْ أَرْتَضِ العَيْشَ والأيامُ مُقْبِلَةٌ
فكَيْفَ أَرضَى وقَدْ ولَّتْ على عَجَلِ

مأخوذ من قول « المعرى » :

ومَا ازْدَهَيْتُ وأثْوابُ الصِّبَا جُدُدٌ
فكيفَ أُزْهَى بِثَوْبٍ مِنْ ضَنًى خَلَقِ

ومن قوله أيضا من رسالة له يخاطب الدنيا :

---

(١) الغيث المسجم ، جـ٢ ص ٧٣ ، وهو فى ديوان المتنبى جـ٤ ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ . وبه اختلاف فى رواية بعض الألفاظ .

(٢) الغيث المسجم ، جـ٢ ص ١٠٧ .

« أسَاتني غَانيَة ، فكيف بِكِ عَجُوزاً فانيَة » [١]

وهنا اتهام بسرقة المعنى والنقد الحديث يرفض أن يكون المعنى مجالا للسرقة ، فضلا عما قرره الجاحظ وقدامة وغيرهما من أن المعانى متروكة فى الطريق .

وفى شرح البيت :

٤٦- وإنْ عَلانِي مَنْ دُونِي فَلاَ عَجَبٌ
لِي أُسْوَةٌ بانحِطَاطِ الشَّمْسِ عَنْ زُحَلِ

قال الصفدى : الطغرائى اختلس معنى بيته من قول « أبى الطيّب » :

وَلَوْ لَمْ يَعْلُ إلاَّ ذُو مَحَلٍّ تَعَالَى الجَيْشُ وانْحَطَّ القَتَامُ

لا بل أخذه صريحاً من « أبى الفَتْح البُسْتى » حيث قال :

لاَ تَعْجَبَنَّ لدَهْرٍ ظَلَّ فِي صَبَبٍ أَشْرَافُهُ ، وعَلاَ فِى أَوْجِه السَّفَلُ
وَانْقَدْ لأَحْكَامِهِ أنَّى تُقَادُ بِهِ فَالمُشْتَرى السَّعْدُ يَعْلُو فَوْقَهُ زُحَلُ [٢]

وأظن أن هذا يكاد يجري مجرى المثل فى الشعر خاصة ، فلا سرقة فيه

واتبع « ابن مبارك الحضرمي » فى شرحه (نَشْرُ العَلَم) نفس أحكام الصفدى على شعر الطغرائى ، فمثلا في شرحه للبيت :

١٠- وذِى شَطَاطٍ كَصَدْرِ الرُّمْحِ ..... الخ

قال : « ولا يخفى أن صدر هذا البيت ، صدر بيت للحريرى فى المقامة الرابعة والأربعين ، إلاَّ أن علماء الشعر لا يعدون مثل هذا سرقة لكونه معنى مطروقاً غير مخترع ولا عارَ على الشاعر فيه » [٣]

---

(١) الغيث المسجم ، جـ ٢ ص ١٥٥ .
(٢) الغيث المسجم ، جـ ٢ ص ٢٥٢ ، وهو فى ديوان المتنبيّ جـ ٤ ص ١٩٣ ، والقتام : الغبار .
(٣) نشر العلم ، ص ١٥ .

وكذلك جعل البيت (٤٠) مأخوذاً من بيت أبي العلاء [١] كما فعل الصفدى فيما ذكرنا . وجعل ابن مبارك البيت :

٤١ - وعَادَةُ السَّيْفِ أَنْ يُزْهَى بجَوْهَرِه

وليس يَعْمَلُ إلاَّ فِى يَدَىْ بَطَلِ

مأخوذاً من قول « المتنبى » :

فتىً يملأ الأفعَالَ رأياً وحِكْمَةً ... وبادرةً أحيانَ يَرْضَى ويَغْضَبُ

إذَا ضَرَبَتْ فى الحَرْبِ بالسَّيْفِ كَفُّهُ

تَبَيَّنْتَ أنَّ السَّيْفَ بالكفِّ تَضْرِبُ [٢]

وكذلك اتبع « ابن خضر » في شرحه أحكام « الصَّفَدى » على السرقة ومن ذلك حديثه على البيت :

١٧ - يَحْمُونَ بالبِيضِ والسُّمْرِ اللَّدَانِ به

سُودَ الغَدَائِرِ حُمْرَ الحَلْىِ والحُلَلِ

قال فى نبذ العجم :

« وقد أخذ « ابن السَّاعَاتى » هذا المعنى فقال من جملة أبيات له :

مِنَ الظِّبَاءِ اللَّواتِى لاذِمَامَ لهَا

مِنْ أيْنَ يعرِفْنَ رِعْىَ العَهْدِ والذِّمَمِ

بِيضُ التَّرَائِبِ سُمْرُ الخَطِّ يَحْجُبُهَا

سُودُ الذَّوَائِبِ حُمْرُ الحَلْى والنِّعَمِ [٣]

---

(١) نشر العلم ، ص ٥٠ .

(٢) نشر العلم ، ص ٥١ ، والبيتان فى ديوان المتنبى جـ ١ ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

(٣) نبذ العجم ، ص ٧١/ ظ .

ونفس هذا الحكم موجود فى كتاب الصفدى بنصه [١]

أما « سَعيد الصِّنْهَاجى » (أبو جمعة) فقد خالف الشراح الآخرين في الحكم على السرقة ، فَنراه في شرح البيت الثانى ، يدفع عن الشاعر تهمة السرقة فيقول :

« وما ذكره الفاضل الصفدى من أن الطغرائى أخذ معنى مصراعه من مصراع « أبي العلاء » فلا يخفى على من به أدنى مسكة بعد تسليم حفظه البيت واستحضاره حالة النظم ، أن مثل هذا المعنى لا يدعى فيه الأخذ والإلمام؛ لأنه من المعانى المفردة سائر الأذهان ، ولوضوحه جعل كل منهما سنداً لمُدَّعَاه على وجه التمثيل »[٢]

ولم يصرح « أبو جمعة » بلفظ السرقة وما يدل عليه قط ، ويبدو أن هذا رأيه فى السرقات التى ادعاها الصفدى والشراح الآخرون ، سواء ما سرقه الطغرائى من غيره أو ما سرقه غيره منه أو غير ذلك ، وهو ربما أشار إلى تشابه المعنى أو الألفاظ بقوله :

« هذا يشبه قول فلان أو هو نظير قول فلان أو نحو ذلك ، من مثل ما نجد في شرح البيت :

٣٤- فَادرأ بهَا فى نُحورِ البيدِ جَافلَةً
مُعَارضَاتٍ مَثَانى اللُّجْمِ بالجُدلِ

حيث قال ، وهذا نظير قول «أبى الطَيِّب المُتَنبِّى» ، يصف مسيره من مصر :

تُبْرِي لَهُنَّ نَعَامُ الدَّوِّ مُسْرَجَةً
تُعَارِضُ الجُدُلَ المُرْخَاةَ باللُّجُمِ

---

(١) الغيث المسجم ، جـ١ ص ٢٢٢ (القاهرة) . (٢) إيضاح المبهم ، ص ٧/ و .

فى فِتيةٍ أَخْطَـرُوا أَرْوَاحَهُــم ورَضُـــوا
بَمــا لَقِيــنَ رِضَــا الأَيْســـارِ بالزَّلَــمِ[(١)]

وفى شرح للبيت :

٥١- غَاضَ الوَفاءُ وفَاضَ الغَدْرُ ... الخ

قال . ومثل هذا البيت في قول « أبى الطيب المتنبى » :

غَاضَ الوفاءُ فما تَلْقَاهُ فى عِدَةٍ وَأَعْوَزَ الصِّدْقُ في الإخْبَارِ والقَسَمِ [(٢)]

وإذا كان النقاد القدماء قد قالوا فى السرقات كل ما يمكن أن يقال بالحق وبالباطل فإنَّ الذى لا شك فيه أن الشعر العربى كان قد وقع أسير التقليد والتلفيق كما يقول الدكتور « شوقى ضيف » :

« ومهما يكن فقد أصبح مثل الشاعر العربى بعد القرن الثالث غالباً مثل المصور «الفوتوغرافى» إذ لم يعد رساماً يحور فى الخواطر تحويراً يظهر شخصيته وأسلوبه وما يستخدمه من ألوان وأصباغ بل أخذ يلفق أفكاره وألفاظه ، وأصبح هذا التلفيق أكثر مابيده من صناعة ودخله من طرق كثيرة وكلما سلك طريقاً أمعن فيه »[(٣)]

ولقد حاول النقاد تفسير ظاهرة ارتباط الشاعر بتراث الشعر السابق عليه ، هذا الارتباط المقيد الذى أوصله إلى هذه النتيجة ، فقال الدكتور «محمد مصطفى هدّارة » :

---

(١) إيضاح المبهم ، ص ٨٧/ ظ ، وديوان المتنبى جـ ٤ ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ .
(٢) ايضاح المبهم ، ص ١٢٧ / و . وديوان المتنبى جـ ٤ ص ٢٩٥ .
(٣) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى : د . شوقى ضيف . دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٣٠٠ .

« وليس من شك في أن عناية عمود الشعر [١] بالجزئيات دون أن يرسم معالم شاملة لأسرار الجمال الفني ضيّقَ أمام الشاعر العربى فرصة التجديد والابتكار فى غير جزئيات التعبير ، وجعلته محصوراً في دائرة المعانى الجزئية وحدود الصنعة اللفظية » [٢]

كما اشترك نهج القصيدة مع عمود الشعر فى تحديد وتضييق المجال أمام الشاعر العربى ، ونهج القصيدة « هو عبارة عن الموضوعات التى كان يخوض فيها الشاعر القديم في كل قصيدة يكتب فيها أيا كان موضوعها »[٣]

واذا كان بحث النقاد القدماء في السرقات قد اتسم بالإنصاف عند بعضهم كالقاضي الجرجاني وابن رشيق فانه قد اتسم بالتحيز الشديد عند ابن وكيع والعميدى وغيرهما [٤] ، وكان للخصومات الأدبية أثر في موقف هؤلاء المتحيزين ، كما يقول الدكتور محمد مندور :

« ولقد كان لنشأة تلك الدراسات وسط الخصومات أثر سيء في توجيهها ، فرأيناها تسعى قبل كل شيء إلى تجريح الشعراء ، ولهذا لم تستقم المبادئ التي اتخذت فيصلا فيها ، كما أنهم لم يفرقوا بين السرقة وغيرها »[٥]

---

(١) كان العرب يعنون بعمود الشعر ، القواعد الفنية الصحيحة لقول الشعر بحسب مايرونه من أسرار الجمال الفني فى الأدب وهذه القواعد شاملة للمعنى واللفظ والصور الفنية وأسلوب الشعر تحدد أولئك تحديداً منطقياً دقيقاً لا ينبغي للشاعر أن يخل بشيء منه وإلا أعتبر خارجاً عن عمود الشعر العربى ، أو بمعنى آخر أنه خرج على قواعد الشعر العربى وفنيته وطبيعته وحينئذ يكون بعيدا عن الذوق العربى واستحسان الناس له » (مشكلة السرقات ص ٢١٣-٢١٤) .

(٢) مشكلة السرقات في النقد العربى ، د . هدّارة ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨١ م ، ص ٢١٥ .

(٣) مشكلة السرقات في النقد العربى : ص ٢١٦ .

(٤) انظر : العمدة لابن رشيق : جـ ٢ ، ص ٢٨٠ ، والنقد المنهجى عند العرب ص ٩٠ وكذلك ، عصر الدول والامارات (مصر والشام) ص ١٢٤ .

(٥) النقد المنهجى عند العرب ، ص ٣٥٩ .

ثم تحولت مشكلة السرقات في كتب المتأخرين إلى صورة من الجمود البلاغى « وكل هذه الكتب البلاغية المتأخرة إنما تعد السرقات جزءاً من علم البديع ، وتجعل أنواعها أبواباً فيه ، وقد بدأ هذا الاتجاه بصورة خاصة عند ابن وكيع وأبى هلال ، أى منذ القرن الرابع الهجري ، ولكنه بدأ يجمد بعدهما بالتدريج جموداً بلاغياً يكاد يكون ثابت الصورة عند جميع المؤلفين المتأخرين »[١]

ويوضح الدكتور « محمد مندور » ما صارت إليه حال دراسة السرقات في القرن السابع ممثلة في دراسات « ابن الأثير » فى « المثل السائر » بقوله « وإذن فصاحبُ المثل السائر يريد أن يُعلِّم الشعراء السرقة وطرق إخفائها ، وذلك لأننا قد صرنا في القرن السابع إلى حالة لم يعد العلم يقصد فيها لذاته بل لفائدته وكل دراسة لابد لها من فائدة ، ولو كانت تلك الفائدة تعلم السرقة ، وأما النظرة العلمية النقدية التي تدرس ما قاله الشعراء والكتاب لا لغاية غير الفهم والكشفِ عن الأسرار فتلك روح كانت قد ماتت »[٢]

وعلى الجملة فإنه « يمكننا أن نقول مطمئنين إنَّ النقاد العرب قد عقّدُوا مشكلة السرقات لعدم فهمهم طبيعة الإلهَام وعملية الإبداع الفنى »[٣] .

وان مافعله الصفدى خاصة من بين الشراح الذين عرضنا لأقوالهم في شروح اللامية يوضح الصورة العامة لنظرة النقاد العرب ، ولقد توصلت الدراسات الأدبية الحديثة الي رأى مخالف لهذا الذى حكم به النقاد العرب ، « إن غاية ما توصل إليه النقاد الأوروبيون في موضوع السرقات أنهم ميزوا بين الأنواع التالية :

---

(١) مشكلة السرقات : ص ١٣٨ .

(٢) النقد المنهجي عند العرب : ص ٣٧٣ .

(٣) مشكلة السرقات : ص ٢٨٠ .

١ - **الاستيحــاء :** وهو أن يولد الشاعر معنى جديداً من آخر قديم .

٢ - **التأثـــــر :** وهو أن يأخذ الشاعر بمذهب غيره في أسلوبه وفنه .

٣ - **استعارة الهياكل :** وهو أن يأخذ الشاعر موضوع قصيدته من أسطورة شعبية مثلاً .

٤ - **السرقـة المحضة :** وهي أخذ جُمَل أو أفكار أصلية وانتحالها بنصها دون الإشارة إلى مآخذها ، والأنواع الثلاثة الأولى يضمها لفظ المحاكاة وتبقى بعد ذلك السرقات بنصها »[1]

وقدتعرض الدكتور عبده عبد العزيز قلقيلة لرأى الصفدى فى السرقات فعلق على رأيه فى البيت :

١٠- وذى شَطَاط كَصَدرِ الرمحِ .....ألخ

فقال " وأنا أرفض رأى الصفدى ، وكان يمكن أن أقبله لو أنه علله بالتضمين أو الإقتباس أو توارد الخواطر "[2] وهذا كلام بعيد عن الدقة ، لأنه لو علله هذا التعليل المفترض لاعترف بالسرقة على المقياس المعمول به ، ومن الحق أن الصفدى أبعد مايكون عن الوصول إلى علة التشابه فى أبيات الطغرائى مع غيره وخاصة المتنبى ، فهو يرى أنها إما سرقة ، أو شئ سهل يحكم للطغرائى بأنه لايعجز عن الإتيان بمثله ، ورغم ذلك فإن الصفدى هو أعرف الشراح بكتب النقد والأدب ولذلك تورط فى أحكامه التى حكم بها اعتماداً على معارفه ، فهذا ميراث النقد العربى فى قضية السرقات ، وأما غيره من الشراح فإما اتبعوه وإما ابتعدوا عن الحكم لأنهم من الفقهاء والنحاة وغير ذلك ، **إلا أننا نرى أن رأى « أبى جمعة » يعد تفنيداً لرأى الصفدى ونحن نحمد له ابتعاده عن اتهام الشاعر بالسرقة** ، ولا

---

(١) مشكلة السرقات ، ص ٢٦٥ - ٢٦٦ ، وانظر : النقد المنهجى عند العرب ، ص ٣٤١ .

(٢) النقد الأدبي في العصر المملوكى ، ص ٣٨١ .

ننتظر منه أن يسبق عصره ، أو يخرج على مألوف .

(٣)

اللفظ والمعنى :

قال ابن رشيق : " اللفظ جسم وروحه المعنى ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ، ويقوى بقوته ، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر وهجنة عليه ، وكذلك إنْ ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ ، كالذى يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح . . فان اختل المعنى كله وفسد ، بقى اللفظ مواتاً لافائدة فيه وإنْ كان حسن الطلاوة فى السمع "(١) .

ونحن نذكر تقسيم "ابن قتيبة" للشعر فى كتابه (الشعر والشعراء) حيث قال : " تدبرت الشعر فوجدته أربعة أضرب " :

ضرب منه حسن لفظه وجاء معناه .. وضرب منه حسن لفظه وحلا ،فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائده فى المعنى ، كقول القائل :

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنًى كُلَّ حَاجَةٍ ... وَمَسَّحَ بالأركانِ مَنْ هو مَاسِحُ
وشُدَّتْ على حُدْبِ المَهَارِي رِحَالُنَا ... ولا يَنْظُرُ الغَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحُ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الأَحَادِيثِ بَيْنَنَا ... وسَالَتْ بأَطْرَافِ المَطِيِّ الأَبَاطِحُ

قال : وضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه ، . . . وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظهُ(٢)

وقد فسر « ابن قتيبة » الأبيات الثلاثة السابقة بما يلى :

« ولما قطعنا أيام منى واستلمنا الأركان ، وعالينا إبلنا الأنضاء ،

---

(١) العمدة لابن رشيق ، جـ١ ، ص ١٢٤ .

(٢) الشعر والشعراء ، تحقيق أحمد شاكر ، دار المعارف ١٩٨٢ م ، جـ١ ، ص ٦٤ - ٦٩ .

ومضى الناس لا ينظر الغادى الرائح ، ابتدأنا فى الحديث وسارت المطى فى الأبطح »[١] .

ولقد ظلت قضية اللفظ والمعنى تشكل محوراً من محاور النقد العربى مع اختلاف فى التناول ، إلا أن شراح اللامية لم يتعرضوا لها فى مبحث نظرى ، ولكنى وجدت أن أتناولها فى فصل الاتجاه النقدي باعتبار أن كل شرح كان يبحث عن (المعنى) فى تفسيره للشعر ، وهذا المعنى هو ما نتعرض له هنا فى عرض موجز يوضح نظرة الشراح فى تفسير الشعر بحثا عن المعنى .

فى شرح الطبرى للبيت :

٢٥- يُشْفَى لَدِيغُ العَوَالى فى بيُوتهمُ
بِنَهْلَةٍ مِنْ غَدِيرِ الخَمْرِ والعَسَلِ

قال : إنَّ شفاء من قد لدغته عوالى رماح قدودهم في بيوتهم إنما هو فى شربة من شراب خمر ريقهم في قطرة من زلال عسل رضا بهم »[٢]

وفى شرح البيت :

٢٨- ولا أهَابُ الصِّفَاحَ البيضَ تُسْعِدُني
باللَّمْحِ مِنْ خَلَلِ الأَسْتَارِ والكِلَلِ

قال (المعنى) : أنه لو وضع السيف على قفاه ، وهو ينظر المعشوق وملاحظته ، فإنه لا يلتفت إليه ولا يكترث به »[٣] .

ثم ننتقل إلى نظرة الصفدى (للمعنى) .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٦٥ .
(٢) حل السهم والمعجم ، ص ١٤/ ظ .
(٣) حل السهم والمعجم ، ص ١٦/ ظ .

في شرح البيت الأول يقول :

« رأيي الأصيل يصونني عن الاضطراب فى القول والعمل ، وحلية علمي تزينني عند العطل أى التعرى عن أعراض الدنيا وزخرفها ، ولعمرى إنّ الإنسان شئ وراء الزينة واللبس والشكل والرؤاء وقد قال (صَلّى اللّه عليه وسَلّم) « المرء بأصغريه ، قلبه ولسانه » وقال عليه السلام « المرء مخبوء تحت لسانه » . وقال علي بن أبى طالب - كرم الله وجهه - قيمة كل امرئ ما يحسنه » (١) .

وفي شرح البيت الرابع :

٤ - نـاءٍ عن الأهْلِ صِفْرُ الكفِّ منفردٌ
كالسَّيْفِ عُرِّيَ متناهُ عن الخِللِ

قال الصفدى : المعنى ، لأى شئ أقيم فى بغداد، وأنا لا سكن لي بها ، ولا ناقة لي فيها ، ولا جمل ، وأنا ناء عن الأهل فقير لا أملك شيئا من المال فى كفى منفرد عن الناس كالسيفّ الذى جرد من حليته ، فما تنظره العيون وهو المطلوب في نفسه عند الحاجة لا الأجفان ولا الحمائل ولا الحلية ، والسيف عند الشجاع غير مراد منه هذه الأشياء وإنما المراد مضاؤه وفريه ونفوذه فى الضرب ، إذ الغاية المطلوبة منه هى هذه ، وأما الجفن والحلية والحمائل فلا اعتبار بوجودها ولا عدمها » (٢) .

وفى شرح البيت :

٢٩- ولا أُخِلُّ بغِزْلانٍ أُغَازِلُهَا
ولو دَهَتْنِى أُسودُ الغِيل بالغِيَلِ

قال الصفدى (المعنى) : الكلام فى هذا البيت كالكلام فى قوله ﷺ

---

(١) الغيث المسجم ، جـ١ ص٦٣-٦٤ .
(٢) الغيث المسجم ، جـ١ ص ٨١ (القاهرة) .

« نعم العبدُ صُهيْب لو لـم يخف اللّهَ لَمْ يَعْصه » ومعناه لو دهتنى أسود الغيل بالغيل ما أخللت النزلان أغَازلها فكيف وما دهتني ، فعدم إخلالى بالطريق الأولى فالإخلال مرتبط بدهاء الأسود له »[1] .

وفى شرح البيت :

٣٥- إن العُلَى حَدَّثَتنِى - وهْىَ صَادقَةٌ -

فِيمَـا تفحَـدَّثُ أَنَّ العِـزَّ فـيِ النُّقَـلِ

قال الصفدى : المعنى : إنَّ العلى حدثتني وهى صادقة فيما تحدث من الأخبار أن العز موجود فى النقل من مكان إلي مكان ، والاغتراب من مكان نبا بساكنه إلى مكان يلائمه ويوافقه ، وينال فيه المعالى »[2] .

وفي شرح الصفدى للبيت :

٥٨- ويا خبيراً علـي الأسْـرارِ مُطَّلعَـاً

اصْمُـتْ ففـي الصَّمْتِ مَنْجَـاةٌ مِـنَ الزَّلَـلِ

قال : (المعنى) : ويا من خبر الأمور ، واطّلع علي الأسرار ، اصمت ولا تُبد شيئاً مما خبرته ، واطلعت عليه ، فإن صمتك منجاة لك من الزلل ، وهذا أمر يجب اتباعه على كل من طلب السلامة فقد يترتب على إفشاء السر مفاسد كثيرة »[3]

أما « ابن مبارك الحَضْرَمى » (بحرق) فقد ظهر تركيزه على (المعنى) أكثر مما فعل الشراح الآخرونَ ، إذ عمد إلى إثبات رأي الفقه (يجوز أو لا يجوز) من أول شرحه إلى آخره ، فقال فى شرح البيت الثانى :

٢ - مَجدى أخيراً ومجدى أولاً شَرَعٌ ... الخ

---

(١) الغيث المسجم ، جـ ٢ ص ٧٥ .
(٢) الغيث المسجم ، جـ ٢ ، ص٧٥ .
(٣) الغيث المسجم ، جـ ٣ ، ص ٣٧٧ .

قال : وقد سمع - ﷺ -قول « حَسَّان » (رضى الله عنه)حيث قال :

لَنَا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلمَعْنَ فى الدُّجَى

وأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدةٍ دَمَا(١)

وقال « الجَعْدى » :

بَلَغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وجُدُودُنَا وإنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلكَ مَظْهَرَا

ولم ينكره فدل على الجواز ، لكن لا يخفى مافى ذلك من تزكية للنفس الذى لايليق مثله بأهل التقوى ، وقد قال الله تعالى ﴿ لا تُزَكُّوا أَنفُسَكُم هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾

ثم ذكر كلاما « لمحيى الدّين النووى » يفهم منه كراهة أن يثنى الإنسان على نفسه » .(٢)

وجلال ابن خضر فقيه كالشيخ بحرق ، إلا أن فقهه يظهر فى استطراداته ، أما صياغته (للمعنى) فلا تخرج عما ألفنا من نثر الشراح للمعانى فى سطر أو سطرين ، وهذا مثال منه :

فى شرحه للبيت :

٧ - وضَجَّ مِنْ لَغَبٍ نِضْوِى وعَجَّ لِمَا .... الخ

قال : (المعنى : وضج بالصياح نضوى الذى أركبه من اللغب الذى حل به وأتعبه والهزل الذى مسه فأتعبه ، وعج باقى الركاب بالرغاء والعويل حزنا لما ألقى من موالاة السفر الطويل وازداد حنينها علىّ لما أجد من النصب الوبيل ، فغرق الناظم في الحزن بين ناقته التى يركبها وباقى ركابه التى يجنبها ويسحبها » .(٣)

---

(١) ديوان حسان بن ثابت ص ١٣١ . ورواية الديوان يلمعن بالضحى .

(٢) نشر العلم ص ٦ والآية المذكورة رقم ٣٢ من سورة النجم .

(٣) نبذ العجم ص ٢٩/ ظ .

وأما أبو جمعة فسوف نوضح ميله إلى «التفسير الرمزى» للقصيدة في موضع تال ، ولكنا نجد في مواضع من شرحه نفس طريقة تأليف (المعنى) ، ففي شرحه للبيت :

١٣- والركبُ ميلٌ على الأكوارِ منْ طَرَبٍ
صاحٍ وآخَرَ مِنْ خَمْرِ الكَرى ثَمِلِ

قال : « والمعنى : وفي حالة كون أصحابنا متمايلين على شهور الأكوار ضجرين من مداومة السهر ومواصلة السير في الليل والنهار ، فهم مابين مائل على قتبة من شدة الحزن وإنْ كان صاحياً من شدة السفر وآخر مائل سكران من مخامرة النوم إياه فهو نشوان من مواصلة السهر » .(١)

وفي شرح البيت :

٣٠- حُبُّ السَّلاَمةِ يثنى عزمَ صاحبه
عن المَعَالِى ويُغرِى المَرْءَ بالكَسَلِ

قال أبو جمعة : « المعنى : أنَّ حب الرجل للسلامة من المكاره ، وتوقيه للمعاطب مما يرد عزمه عن الوصول إلى أنواع المعالى والمكاسب ؛ لأنها لا تنال إلا بركوب متن الخطر ، ويغريه على الكسل الذى لا يفوز معه إلاّ بالذل فانبذه وراء ظهرك ولا تجعله قدوة فى شئ من أمرك » .(٢)

ولعل في طريقة « محمد المنياوي » صاحب شرح (تحفة المرائى) فى نثر المعنى ما يظهر ما وصل إليه حال تفسير الشعر باعتباره جزءاً من النقد فى القرن الرابع عشر الهجري ، وهذه بعض أمثلة منه :

ففى شرحه للبيت العاشر :

---

(١) إيضاح المبهم ص ٣٠/ ظ .
(٢) إيضاح المبهم ص ٧٨/ و .

١٠- وذِى شَطَاطٍ كَصَدْرِ الرُّمْح .. الخ

قال : « (المعنى : ورب صاحب اعتدال قامة كاعتدال صدر الرمح معتقل برمح مثله طولاً واعتدالاً لا يخاف المخاوف ولا يعجز عن شئ من شئونه » .[١]

وفي شرحه للبيت :

٢١- نُـؤُمُّ نَاشِـئَةً بالجِزْعِ قَدْ سُقِيَتْ نِصَالُهَا بِمِيَاهِ الغُنْجِ والكَحَلِ

قال : « المعنى : نقصد بسيرنا قبيلة تربت في منعطف الوادى قد أعطيت عيونها حسن الشكل والكحل ، يشير إلى أن قبيلة محبوبه تربت بهذا الموضع المنيع وأنها جميلة العيون » .[٢]

وفى شرح البيت :

٢٧- لاَ أكْرَهُ الطَّعْنَةَ النَّجْلاَءَ قَدْ شُفِعَتْ

بِرَشْـقَةٍ مِـن نِبَـالِ الأَعْـيُنِ النُّجُـلِ

قال : « (المعنى) : لا أبغض الوخزة الواسعة أى جرحها المتسع من رماح رجال هذه القبيلة مقرونة برمية من لحاظ الأعين الواسعات لنسائها»[٣]

فإذا كان الشارح يختار القصيدة ويعجب بها ويمتدحها فى أول شرحه ثم لا يستطيع أن يصنع من النص شيئاً سوى هذه الترجمة الحرفية الغثة ، فلابد أن هذا هو أبدع مافى إمكان النقاد ولابد أن " طه حسين " كان على حق حينما هاجم درس الأدب فى " دار العلوم والأزهر " - كما قلنا من قبل - فى أول القرن العشرين ، فهذا حالهم وهذه بضاعتهم .

إننا إذا وضعنا كل هؤلاء الشراح فى سلسلة واحدة ظلمنا بعضهم

(١) تحفة الرائى ص ٢٢ . (٢) تحفة الرائى ص ٣٦ .
(٣) تحفة الرائى ص ٤٣ .

ولا شك، ولكنى أريد أن أقرر أن جميع الشراح كانوا يبحثون عن (المعنى) وراء النص، تماماً كما فعل " ابن قتيبة " وبرغم مادفع به مبكراً " عبد القاهر الجرجانى " نظرة " ابن قتيبة " فإن طريقة "عبد القاهر" لم تَسُدْ النقد العربى مثلما سادت طريقة ابن قتيبة، فقد ظلت سائدة فكرة الفصل بين اللفظ والمعنى، واعتبر الجمال معهما زينة خارجية يظفر بها الأديب إذا هو تلاعب بالعبارة فأتى بسجعة أو قدم أو أخر وشبه أو أحسن التعليل ". [1]

ولعل هذا بالتحديد هو ماجعل قصيدة الطغرائى تظفر بكل هذا العدد من الشروح : وتصبح على مدى قرون عديدة النموذج الأعلى للبلاغة العربية

ولابد لنا لكى نؤكد هذا الزعم أن نقف على نموذج من نقد الصفدى فى كتابه، أنقله هنا بتمامه قال : [2] وأما قول " أبى نواس " :

أَقَمْنَا بِهَا يَوْمًا وَيَومًا وَثَالثًا ... ويوماً لهُ يومُ التَّرَحُّلِ خَامِسُ

فقال ابن الأثير " فى " المثل الثائر " (مراده من ذلك أنهم أقاموا أربعة أيام، ويا عجباً له يأتى بمثل هذا البيت السخيف على العى الفاحش) قلت : أبو نواس أجل قدراً من أن يأتى بهذه العبارة لغير معنى طائل، وهو له فى مثل هذا مقاصد جليلة يراعيها ومذاهب يسلكها، ألا ترى إلى ماحكى عنه من أنه ذكر عند " الرشيد " قوله :

فاسْقِنِى البِكْرَ التِى اعْتَجَرَتْ ... بِخِمَارِ لشَّيْبِ فى الرَّحِمِ

فقال الرشيد لمن حضر : ما معناه ؟

فقال أحدهم إنّ الخمر إذا كانت فى دنها كان عليها شئ مثل الزبد فهو الشيب الذى أراده، وكان " الأصْمَعِىُّ " حاضراً فقال : يا أمير

---

(١) تحديدات عربية للجمال : د. أحمد كمال زكى، مجلة كلية البنات - القاهرة ١٩٦٤، ص ١٨.
(٢) الغيث المسجم جـ١ ص ١١٣ (القاهرة).

المؤمنين إن "أبا على " أجلُّ خطراً ، وإنّ معانيه لخفية فاسألوه عن ذلك فأحضر وسئل فقال : إن الكرْم أول مايخرج العنقود فى الزرجون يكون عليه شئ يشبه القطن ، فقال الأصمعى ألم أقل لكم إن أبا نواس أدق نظراً مما قلتم ؟

وأما معنى البيت الأول (أقمنا بها . .) فإن المفهوم منه أن المقام سبعة أيام ، لأنه قال ، وثالثاً ويوماً أى آخر له اليوم الذى رحلنا فيه خامس ، وابن الأثير لو أمعن الفكر فى هذا ربما كان يظهر له " .

فهذا رأى ابن الأثير فى البيت ، وليس رأي الصفدى فى رده عليه مختلفاً معه فى نظرته للشعر ، فابن الأثير يرى أن مراد الشاعر أنهم مكثوا أربعة أيام لم يكن يستأهل استغراق بيت كامل فى القصيدة ، ورأى الصفدى أن الشاعر استطاع أن يلغز بحيث يظهر بعد التأمل أن مراده أنهم مكثوا سبعة أيام ، فهما متفقان على أن (المعنى الذى وراء الكلام هو هل أيام الإقامة كانت أربعة أم سبعة ؟) .

ولعمرى إذا كان أبو نواس - كما زعموا - قصد أن يبين عدد أيام الإقامة فما أسخف مراده . أما الذى نراه أن الأمر أبعد ما يكون عن هذا الغرض الظاهر - كما زعم ابن الأثير - الخفى - كما زعم الصفدى - فإن الشاعر كان مستغرقاً هو وصحبه فى نشوتهم أيما استغراق حتى أخذ السكر منهم كل مأخذ فكلما هموا بالرحيل لم يقدروا عليه ، وما أبدع تعبيره بهذه الحركة الصاعدة فى تكرار كلمة يوم ظرفاً للإقامة تصور عزم الشاعر وصحبه ثم نكوصهم كل ذلك من أثر النشوة التى فَلّت عزمهم وأقعدتهم فى أسر الخمر تحكمهم ، فتأمر فيهم وتنهى ، فهم لا يستطيعون الرحيل متى شاءوا ، بل متى تهاونت معهم النشوة وفكّت إسارهم ، فالذى يمكن أن يؤخذ من النص هو هذا التردد بين العزم والنكوص عن الرحيل على مدى أيام الإقامة .

كل ذلك لن يكون فى ضمير الناقد مادام يبحث عن (المعنى) وكل شراح اللامية كانوا يبحثون عن (المعنى) وان ذلك الشطر من شرحهم الذى وقع تحت عنوان (المعنى) إنما كان نثراً للشعر من أجل الوصول إلى تفسير له ، والنقد الحديث يحذر من نثر الشعر « فنثر القصيدة عمل ينبغى الاحتراز منه ، إنه يعدّل المعني أو يحوله إلى اتجاه قاصد مستقيم ثابت تماماً ، عملية النثر تقوم على أسس مختلفة » .[١]

• • •

(٤)

الوحدة الفنية والتجربة الشعرية :

كان « طه حسين » أول من أثار قضية الوحدة الفنية فى الشعر القديم ، وقد زعم أن القصيدة الجاهلية فيها وحدة فنية ، ومن حديثه فى ذلك ماقاله عن قصيدة « كعب ابن زُهَير » (بانَتْ سُعاد) :

« وأنا حين أقرأ قصيدة كعب أراها تأتلف من ثلاثة أجزاء متباينة في ظاهر الأمر ، ولكنها مؤتلفة أحسن الائتلاف فى حقيقة الأمر ، لولا أنى أكاد أرجح أن جزءاً منها قد كثر فيه عبث الرواة » .[٢]

ولكن ماذا تعنى الوحدة الفنية أو العضوية ؟

يقول الدكتور « محمد غنيمى هلال » :

« نقصد بالوحدة العضوية في القصيدة ، وحدة الموضوع ، ووحدة المشاعر التى يثيرها الموضوع ، وما يستلزم ذلك فى ترتيب الصور والأفكار ترتيباً به تتقدم القصيدة شيئاً فشيئاً حتي تنتهى إلى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار والصور ، على أن تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحية ، لكل جزء

---

(١) مشكلة المعنى فى النقد الحديث : ، د. مصطفى ناصف . مكتبة شباب ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ١٦٨

(٢) حديث الأربعاء ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، ط . ثانية . ١٩٨٠م ، جـ ١ ص ١٢٥ .

وظيفة فيها ، ويؤدى بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر » .[١]

وبهذا المفهوم للوحدة أنكر النقاد وجود الوحدة العضوية في القصيدة القديمة ، **يقول الدكتور محمد مصطفى بدوى :**

« واذا عدنا إلى الشعر العربى القديم جاهلية وغير جاهليه ، فتشنا عن هذه الوحدة العضوية فلن نجدها فى جُلّه إنْ لم يكن كله » .[٢]

ورفضها أيضا الدكتور محمد غنيمى هلال فقال :

« فليست للقصيدة الجاهلية وحدة عضوية في شكل ما من الأشكال ؛ لأنه لاصلة فكرية بين أجزائها فالوحدة فيها خارجية ، لارباط فيها إلاّ من ناحية خيال الجاهلى وحالته النفسيه في وصفه الرحلة لمدح الممدوح ، وكان لهذا الرباط الوافى مبرر من المبررات فى العصر الجاهلى ، ثم صار تقليداً على مر العصور » .[٣]

فهذه آراء النقاد المعاصرين فى الوحدة العضوية ، فهل كان للنقاد العرب رأى فيها . يبدو أننا لا نجد صدى لهذه الوحدة فى آراء النقاد العرب كما **يقول الدكتور محمد مصطفى بدوى** : «وان نحن اختبرنا كتابات النقاد العرب فلن نجدهم قد تنبهوا الى أمر الوحدة العضوية » .[٤]

ولسوف نحاول أيضا اختبار ما كتبه شراح اللامية حول الوحدة العضوية والحق أن الناقد العربى كان يتوقع من الشاعر أن ينتقل من غرض إلى غرض فالوحدة هى وحدة البيت ، وقد اعتبر النقاد أن الشاعر ربما لجأ إلى «الاقتضاب» وأحسن منه أن يلجأ إلى حسن التخلص ، فهذا ما ينتظره الناقد من الشاعر المُجيد لا وحدة الموضوع كما نقول نحن اليوم .

---

(١) النقد الأدبى الحديث ص ٣٧٣ .

(٢) دراسات في الشعر والمسرح ص ٢١ . هيئة الكتاب ، الاسكندرية ، ط ٢ ١٩٧٣ .

(٣) النقد الأدبى الحديث ص ٣٧٤ - ٣٧٥ .

(٤) دراسات في الشعر والمسرح ص ٢٢ .

وفي شرح أبى جمعة إشارة إلى ذلك في تعليقه على البيت العاشر :

(وذى شطاط . . الخ) قال : وانتقاله من وصف أحواله إلى وصف أحوال صاحبه من غير رعاية مناسبة تجمعهما لفظاً ومعنى اقتضاب ، وأكثر ماورد فى كلام شعر الجاهلية ، وأما شعر الإسلام فأكثر انتقالاته من قبيل حسن التخلص وهو أن ينتقل الشاعر مما شبب الكلام به من نسيب أو غيره إلى المقصود مع رعاية الملاءمة بينهما » .[1]

ولهذا إذا نظرنا إلى قصيدة الطغرائى (٥٩ بيتاً) وجدنا أنه يمكن تقسيمها إلى أربعة مقاطع كما يلى :

المقطع الأول : ١-٢ يتحدث فيه الشاعر عن نفسه ويفتخر بمجده .

المقطع الثانى : ٣-٩ ويتحدث فيه الشاعر عن غربته النفسية ، وحاجته لهجر المكان الذى نبابه ، وحاجته إلى المال الذى يساعده على بلوغ أمله .

المقطع الثالث : ١٠ - ٢٩ وهو مقطع غزلى يرحل فيه الشاعر بمساعدة صاحبه إلى ديار الحبيب .

المقطع الرابع : ٣٠-٥٩ وفيه يطلب الشاعر إلى صديقه أو إلى نفسه تحمل المتاعب والصبر على المكاره ، ويوجه اللوم إلى الزمان وأهله ، ويحذر نفسه من غدر الزمان . كما يفتخر بقدرته على مواجهة المكاره استناداً إلى مجده القديم وعزه التليد ، ويحذر نفسه من الأعداء ، ويحاول أن يصوغ أكثر هذه المعانى فى أبيات حكمة مفردة .

---

(١) ايضاح المبهم ص ٢٣/ و .

أما الطبرى والصفدى من الشراح ، وكذلك ابن مبارك ، فلا تجد صدى لهذه الوحدة فى شروحهم ، ولا حاول واحد منهم أن يربط أجزاء القول ، إلا ما كان من حديثهم في مقدمة الشروح عن حياة الطغرائى وأنه قد قال قصيدته يشكو زمانه ويفتخر بمجده .

وواضح من النص الذى أثبتاه من شرح أبى جمعة أنه يسلم بأن الشاعر قد اقتضب في حديثه فى المقطع الغزلى .

ولاشك أن مصدر إعجاب الشراح وغيرهم من قراء اللامية هو هذه الأبيات التي بث فيها الشاعر (حكمته) إضافة إلى ماسبق وقررناه من ارتباط الشاعر بالبديع ونهج القصيدة وعمود الشعر .

أما المقطع الغزلى فلم نجد أحداً أنكر على الشاعر أن يكون فى حوالى الستين من عمره وفى حالة نفسية مضطربة بعد عزله من وظيفته ويزعم أنه :

٢٩ - ولا أُخِــــلُّ بغِــــزلانٍ تُغَازِلُــــنى
ولـو دهَتْنِى أُسُـودُ الغِيلِ بالغِيلِ

بل قال الصفدى : " وهذه مبالغة عظيمة فى الإشتغال بالمحبوب ، والأنس به ، عن كل مايذهب النفوس ويشغل القلوب التى ترتاع وتنفر من حصوله " [١] بل ساعد الصفدى رواية تزعم أن الطغرائى قد ظل متعلقاً بهذا المحبوب حتى وهو فى حال القتل حتى قال شعراً غزلاً ، وساق سنداً لهذه الرواية . فأوقع ابن مبارك فى وهم أن هذا السند مما يُوثق به كأنه من مرويات الحديث .[٢]

---

(١) الغيث المسجم ، جـ٢ ، ص٣٣ .
(٢) الغيث المسجم ، جـ١ ، ص١٢ ، ونشر العلم ص٣٩ .

وعلى هذا فالمقطع الغزلى فى القصيدة مفهوم فى موضعه على أنه غزل مباشر من الشاعر يجرى فى مضمار سابقيه من الشعراء ، إلا أن " جلال بن خضر " وأبا جمعة " قد حاولا تفسير المقطع الغزلى تفسيراً رمزياً ، فقال " جلال بن خضر " فى تفسير البيت :

١٥ - فَهَلْ تُعِينُ على غَيٍّ هَمَمْتُ بِهِ والغَيُّ يَزْجُرُ أحْيَاناً عَنِ الفَشَلِ

قال : " ويحتمل أن يكون مراد الطغرائى من الغى الذى هم به وقصده ، عزمه على دفع من تقدمه من أقرانه ، وردع من تصدى للرياسة من أبناء زمانه ، ونزع المراتب السنية من أنيابهم التى عضت عليها ، ومخالبهم التى نشبت فى صيدها ، وقد اشرأبت أنفسهم بلذتها وأخذت عقولهم بزخرفها وزينتها ، وأحاطوا عليها بجهدهم وحزمهم . . . يقتحم هذا البأس الشديد برأيه السليم السديد ، وعقله القوى الجيد ، وهذا المعنى هو المناسب لحال الطغرائى ومقامه وشأنه ومرامه ، فإنه أيضاً من غيّ النفس وهواها وقصدها ومعناها " [١] .

بل لقد زعم الشارح أن هذا الغرض الرمزى هو ماتقصد إليه العرب فى شعرها الغزلى ، فقال : " وقد جرت عادة العرب فى قصائدهم التغزل بوصف حسن المحبوب وقصد أكثرهم التورية بذلك عن المطلوب "[٢] .

ولست أدرى متى سيكون ذلك صحيحاً إلا أن يعمل خيالنا بدل خيال الشاعر .

ولقد عاد الشارح مرة أخرى قبل نهاية المقطع الغزلى يحاول أن يفسر هذا الغزل بأنه رمز عن شئ آخر فقال فى شرح البيت :

---

(١) نبذ العجم . ص٧٦ / و ، ٧٦ ظ .

(٢) نبذ العجم . ص ٧٦ / ظ

٢٦ - لَعَـــلَّ إلمامــةً بالجـــزعِ ثانيــــةً

يَدِبُّ منهَا نَسِيمُ البُرْءِ فى عِلَلى

" ويحتمل أن يكون مراد الطغرائى بالترجى عودة ثانياً لما كان فيه من المناسب العليا فهى لأرباب الدنيا المحبوب الأسنى ، وعليها يتنافسون ، وفى هواها يتهالكون ، وأشار بالبيت الثانى إلى أنها لاتصفو لبشر ولا تخلو من بأس وكبد ، فهى مشوبة بالأكدار والأتراح . . . . الخ فقال :

(لا أكرهُ الطَّعْنَةَ النَّجْلاَءَ . . . . . الخ)(١)

إننا قد نسلم بهذا التفسير إذا سلمنا بالنظرية التى ترى أن كل قصيدة لها من التفسيرات بعدد من يقرأونها ، وعلى هذا يكون هذا الشارح مفسِّراً خاصاً لكلام الشاعر ، ومصداقاً لهذا نورد ماذهب إليه الشارح من تفسير صوفى أخذ يسقطه على البيت التالى للمقطع الغزلى :

٣٠ - حُــبُّ السّــلامَةِ يَثْنِى عَزْمَ صَــاحِبِه

عَنِ المَعَالِى ويُغْرِى المَرْءَ بالكَسَلِ

قال : " ولا ريب أن الإقدام هو السبب لتحصيل منازل السعادة الأخروية ومراتب السيادة الدنيوية ، فهو عبارة عن قوة القلب وتصميم فى العزم وعظم همة وشدة فى الحزم ، وذلك يحمل الإنسان على العبادة الشاقة ويصبر الإنسان على الإتيان بالكلف بحسب الطاقة ، قال -- ص - حُفّت الجَنّة بالمكاره ، فطوبى لمن فاز فى العقبى بالمكرمة العظمى والمثوبة الحسنىَ " (٢)

وإذا كان جلال بن خضر قد فسر المقطع الغزلى تفسيراً رمزياً محتملاً الصَّواب والخطأ فإن أبا جمعة يضع القصيدة كلها موضع الرمز ، فيقول

---

(١) نبذ العجم . ص ٩٥/ ظ .

(٢) نبذ العجم ، ص ١٠٣/ ظ .

فى شرح البيت :

٧ - وضجَ من لَغَبٍ نِضْوى وعجَّ لِمَا ... الخ

« وقد بالغ فى وصفه نفسه بملابسة أسباب الغربة ، وأنه كرع لأجلها فيما جرى من ماء الكربة ، حيث ادعى أن ذلك ظاهر للجمادات العجم من الخيل والجمال ، ولذلك اجتهد فى لومه عليه أولو البصائر من الرجال ، وبهذا تعلم صحة ماذكرناه من أن مطلوبه ليس إلا الرياسة ، وأن نفسه ترغب إلى ما ألفه من التلبس بالتدبير والسياسة ، وما ذكره مما يوهم أنه نسيب إنما هو كناية عنها وتعلل لنفسه بأنه سيصلها عن قريب ، والغرض إظهار أنه لم يألُ جهداً في طلبه لها ، وأن يمهد عذره إنْ فاته التمسك بسببها »(١)

وهذه مبالغة من الشارح تنطوى على حسن نية ؛ لأن الشاعر لم يكن من المقاتلين الأفذاذ ولا من أصحاب الطموح الكبير للولاية والرياسة ، كما زعم هو وغيره من الشراح ولكنه كان مجرد موظف ينصب أو يعزل ، ولعله ضاق بهذا الوضع فأخذ ينفث ما في نفسه ، وقد نال الطغرائى أكبر منصب فى حياته وهو منصب الوزارة بعد أن كتب هذه القصيدة .

ثم عاد أبو جمعة يؤكد تفسيره ، زاعماً أن من قال بغير ذلك من الشراح فقد وَهم ، وغاب عنه الصواب ، فقال في شرح البيت :

٢٦- لعَلَّ إلْمَامَةً بالجِزْعِ ثَانِيةً ..... الخ

« وما ذكره بعضهم من أن هذا البيت نكث لما تقدمه ، لأنه وصف فيه محبوبته بأنها في غاية التحصن ونهاية التمنع منه ، ثم كر على ذلك بالبطلان لما قال : (لعل المامة بالجذع ثانية) فدل ذلك على أنه قد اجتمع

---

(١) إيضاح المبهم ص ٢٤/ ظ ، ٢٥/و .

بهـا أولاً ، فكلام لا حـاصل له ، ولا طائل تحتـه أمـا أولا فـقد علمت أن الطغـرائى إنما يطلب رئاسـته التى انتـزعت منه ، وأنهـا هى مـحبوبتـه التى ارتكبت تلك المخـاطر وامتطى تلك المهـالك لأجلهـا ، وجـميـع مـاتقـدم كنايات عنهـا ، واستعـارات لهـا ، وأمـا ثانيـا فلو سلمنا أن مـراده المحبوبة الحقيقية فكيف يمكن أن يرتكب جميع ما تقدم وصفه من الأهوال والمشاق المتلفة للنفس والمال لأجل امرأة لم يرها ولا علم حسنها من قبحهـا ، ولو فـعل ذلك لعـد من المجـانين الخلعـاء واسـتحق أن يمحى رسـمـه من ديوان العقلاء »[1] .

وباستثناء هذه المحاولة من الشارحَيْن لتفسير القصيدة أو بعضهـا تفسيراً رمزياً ابتعد الشراح عن الإشارة الى ترابط القول في القصيدة ، أى الوحدة العضوية كما سميت في النقد الحديث .

وإذا كـان من النقـاد من رأى وجـود نوع من الوحـدة فى القـصـيـدة الجاهلية ، كالدكتور « شكرى عياد » الذى رأى فيهـا وحدة فكرية ، فقال : «فمعلقة امرئ القيس أو لبيد أو طرفة أو عنترة لا تعبر عن انفعال واحد ، كمـا أنها لا تروى قصة ، واذا أردنا أن نتخيل كيفية صدورها عن صاحبها فالأقرب إلى التصور أنها تمثل - زمنياً - مرحلة النضج في حياته ، وتظهر إلى الوجود بوصفهـا فعلاً استرجاعـياً لتجارب هذه الحياة بما فيهـا من مسرات وآلام ونجاحات واخفـاقات ، بين مطامع الشاعر الشخصية وعلاقـاته الحـميـمة ، وانتماءاته العريضة والوحدة التى تنتظم هذا الفعل الاسترجاعى هى وحدة فكرية غالبا »[2] .

ولا أجد مبرراً للنظر إلى « لامية الطغرائى » نفس النظرة ، فتجربة

---

(١) إيضاح المبهم ص ٧٠/و .

(٢) جماليات القصيدة التقليدية : د. شكرى عياد ، مجلة فصول ، مرجع سابق ، ص ٦١ .

الشاعر مختلفة ونقصد بالتجربة « الصورة الكاملة النفسية أو الكونية التي يصورها الشاعر حين يفكر فى أمر من الأمور تفكيراً بنم عن عميق شعوره وإحساسه ، وفيها يرجع الشاعر إلى اقتناع ذاتى ، وإخلاص فنى ، لا إلى مجرد مهارته فى صياغة القول ليعبث بالحقائق أو يجارى شعور الآخرين لينال رضاهم »(١)

ولسنا نطلب من الشاعر أن يخضع خضوعا كليا لشعوره وانفعاله ، فلا شك أن التجربة أعمق من ذلك « إنها تجربة يتحكم فيها العقل ، ولا يصل اليها المرء من خلال معاناة للواقع يمكن أن تكون طويلة ومؤلمة »(٢) .

ومع ذلك فماذا يمنع الناقد أن ينفذ إلى البواعث الحقيقية للتجربة الشعرية ، ومعرفة التيارات المهمة التى تنازعت نفسية الشاعر من خلال سيرته . . إنَّ دراسة السيرة ضرورية بقدر ما يجلو التجربة » (٣) .

فنحن نعلم من تجربة الطغرائى أنه قد حاول محاولات عديدة فى الكيمياء ، واضح أنها آلت إلى الفشل فلا نعرف أنه أضاف شيئاً إلى علم الكيمياء ، ثم هو قد تمكن من الوصول الى مكانة مرموقة فى مهنة الكتابة الديوانية حتى كان يقال له الأستاذ ، والظن أنه كان يطمح إلى تحقيق أعلى المراتب فى قرض الشعر ، كل هذه المنازع والطموحات قد اضطرمت في نفسه بعد عزله من وظيفة نتيجة مؤامرة في البلاط السلجوقى فكتب القصيدة التى ذكرنا مطلعها فى التمهيد ثم هيأ نفسه ليكتب هذه اللامية وقد اضطربت في نفسه منازع شتى ، ولكنى أزعم أنه كان متعلقا بنماذج الشعراء السابقين فربط نفسه بصورهم وتعبيراتهم وأوقع نفسه فى قبضة النقاد فاتهموه بالسرقة علاوة على ذلك فإن معجم الشاعر كان محدوداً

---

(١) النقد الأدبى الحديث ، ص ٣٦٣ .

(٢) دائرة الإبداع : د . شكرى عياد ، دار إلياس ، القاهرة ١٩٨٧م ، ص ٨٨ .

(٣) في النقد والأدب : إيليا الحاوى ، ط ٤ ، بيروت ، دار الكتب اللبنانى ، ١٩٧٩م ، جـ١ ص ٥٢

إلى حد كبير ، ولهذا لم تكن القصيدة على قدر تجربته النفسية المعقدة ، لقد جاءت فى عدة مقاطع كما رأينا ، وارتبط الشاعر بنموذج النسيب عن عمد ، ثم كتب عدة أبيات بدت كأنها مجرد خواطر تفتقد للترابط والقوة النفسية ، وبرغم كل ذلك حققت قصيدة الطغرائى ماحققته من نجاح ، لأنها ارتبطت بالنموذج الأعلى للشعر التقليدى ، وارتبط الشاعر بعمود الشعر ونهج القصيدة ، وأكثر من ذلك بمذهب البديع ، ثم ما كان من وجود الفائدة التى تحققت في أبيات الحكمة المتعددة التى حققت شرط ابن قتيبة من صحة المعنى واستقامته وشرفه ، فأبيات الحكمة كانت عاملاً مهما من عوامل ذيوع القصيدة .

إنّنى أزعم أن الطغرائى قد وقع أسير نزعتين الأولى نزعة العلم والثانيةَ نزعة الفن ، وبرغم ما بين النزعتين من اشتراك في الهدف فإن وسيلة كل واحدة منهما مختلفة :

« ان الأسباب لا تعنى الأديب ، وإنما تعنيه النتائج ، فالفلكى يرقب فعل الجاذبية ويرصد حركة الأفلاك ولكن الشاعر يصور نظامها الدقيق وتلاؤمها العجيب وتطورها الدائم ، والكيميائى يشرح سطوع الروائح على طريقته الخاصة ، ولكن الشاعر يصورها لذهنك فى النسيم الرفاف يصفق في الهواء بأجنحته المخضلة بأنداء الفجر المضمخة بعطور الصباح» [١] .

وإننى إذْ أحاول أن أفسر أقوال الطغرائى ، أعنى النص الذى كتبه ، أود أن أسلم بما يراه « ييتس » إذ يقول : هناك أسطورة واحدة لكل إنسان ، لو عرفناها لفهمنا كل أفعاله وأقواله » [٢] ، وأنا أزعم أن الطغرائى قد وقع أسير أسطورته الخاصة حيث حاول أن يكشف أسرار العالم عن طريق

---

(١) دفاع عن البلاغة : أحمد حسن الزيات ، مرجع سابق ، ص ٥٢ ، ٥٣ .

(٢) دائرة الإبداع ص ١٠٢ .

الكيمياء ففشل ، فاتجه إلى الفن يحاول أن يبث فيه ضيقه بالواقع ، لا معترفا بفشله، بل ناعياً حظه السيء ، والواقع لم يؤيد الطغرائى فخرجت قصيدته لتعبر عن هذا التوتر بين الواقع والذات « ولا تخرج أسطورة كل إنسان عن أن تكون نوعاً من العلاقة المتوترة بين مبدأ الذات ومبدأ الواقع »[١] ولعل هذا التوتر أن يكون ذريعة لتفسير وحدة القصيدة وحدة نفسية كما ذهب بعض المعاصرين إذ يرى أنه برغم ما تحفل به القصيدة من «التعاقب بين ألوان متباينة من العواطف حتى نظن أنه يفقدها تسلسلها المنطقى ، ولكنه على أى حال يبقى على وحدتها النفسية »[٢]

وعلى كل حال فما دام الطغرائي قد حقق النموذج العربى ، فقد أرضى النقاد ولم يعد الشراح بحاجة إلى الحديث عن الوحدة العضوية أو التجربة الشعرية ، بل استطاعت القصيدة أن تأخذ مكانها بين مختارات المصنفين لما حوته من أبيات الحكمة غالبا .

• • •

(٥)

النقد الذى انفرد به الصفدى

(أ) نقد شعر المتنبّي :

انفرد صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى في شرحه (الغيث المسجم) بأمور دخل بعضها في مجال النقد الأدبى ، من ذلك بعض المواضع التى تناول فيها شعر أبى الطيب المتنبى كما في قوله :

« وقد عيب على أبى الطيب في قوله :

إنْ تَرَيْنِى أدِمْتُ بَعْدَ بَياضٍ ... فَحَمِيدٌ مِنَ القَنَاةِ الذُّبُولُ

---

(١) دائرة الإبداع ص ١٠٣ .

(٢) د . حسن عباس ، مجلة العربى الكويتية ، عدد أكتوبر ١٩٨٨ م .

قالوا : ما الآخر منطبق على الأول ، وكان ينبغي أن يقول : فحميد من القناة السمرة ، لأن الأدمة هي الحمرة بسواد وهو يقول إن تريني حصل الي أدَمَة من الأسفار لمقابلة الشمس بعد بياض من الواجب أن يقول فحميد من القناة السمرة وهو إيراد متوجه ، وقد أجاب ابن جني عنه بأشياء طول فيها وليست بطائلة ، قلت : ويمكن أن يجاب عنه بأن الذبول يعطى السمرة ، لأن الإنسان اذا هزل اسمر وإذا سمن ابيض »[1] .

وفى موضع آخر قال الصفدى :

وقد عيب على أبى الطيب المتنبى في قوله :

وأَنْتَ بالأمسِ كُنْتَ مُحْتَلِمًا شَـيْخَ مَعَـدٍّ وأنْـتَ أَمْرَدُهَـا

قال ابن وكيع فى أخباره أنه كان فى قوله محتلماً مايغنى عن قوله وأنت أمردها أو يكتفى بقوله وأنت أمردها عن ذكر محتلم ، وليس هذا من الحشو الحسن »[2] وواضح أن الصفدى يوافق على نقد ابن وكيع مسلماً بأن هناك حشو حسن وحشو غير ذلك وأن هذا من النوع الأخير .

(ب) الشعر والمهنة :

وللصفدى تعليق جيد على أثر المهنة على الشعر قال : « . . وكل من عانى النظم وغلب عليه فن من الفنون مال به إلى ذلك الفن ، وغلبته عليه قواعده، واستعملها فى مقاصده الشعرية وتخيلات معانيه ، وظهر على مايرومه اصطلاح ذلك الفن وأحكامه، ألا ترى إلى أبى الفتح البستى ومقاطيعه المشهورة فى الآداب والحكم كيف يغلب عليها ألفاظ المنجمين »[3]

(١) الغيث المسجم جـ ١ ص٩٨ (القاهرة) ، وهو فى ديوان المتنبى جـ ٣ ص ٢٦٩ .

(٢) الغيث المسجم جـ١ ص١١٢ (القاهرة) وفى ديوان المتنبى جـ٢ ص١٧ - ٣٧ ورواية البيت المذكور : وأنكَ بالأمس كُنتَ محتلماً . . الخ .

(٣) الغيث المسجم جـ ١ ص١٢٤ (القاهرة) .

وفى موضع آخر من كتابه نقل الصفدى مايدل على اطلاعه ، ويؤكد ماذهب إليه فى النص السابق ، قال " حكى ابن المزرع قال : سمعت الجاحظ يقول وقد أنشد أبيات أبى نواس السينية التى أولها :

ودارِ نَدَامَى عَطَّلُوهَا وأدْلَجُوا . . . . الأبيات

لا أَعرف شعراً يفضل هذه الأبيات ، ولقد أنشدتها أبا شُعيب القَلاّل فقال :

(والله ياأبا عثمان إنّ هذا لهو الشعر ولو نُقِرَ لَطَنّ) فقلت له ويحك ما تفارق عمل الجرار والخَزَف انتهى . قلت : وكتاب : الصنائع " " لابن مولاهم " ، و " لابن يعمر " فى هذا الباب غاية ، وفى العجب العجيب آية وما أحسن قول أبى الحسين الجزار :

فَـإنْ يَكُـنْ أَحْمَـدُ مُتَّهَمَـاً بالفَخْرِ يَوْمـاً فَإنى لَسْـتُ أُتَّهَـمُ

فاللَّحـمُ والسِّـكينُ تَعرفُـنِي والخَلْعُ والقَطْعُ والسَّاطورُ والوَضَـمُ

يشير إلى قول أبى الطيب :

فالخَيْـلُ واللّيلُ والبَيْـداءُ تَعرفُـنِي

والسَّيفُ والرُّمْحُ والقِرطاسُ والقَلَمُ (١)

(جـ) الصعوبة فى شعر " ابن الفارض " :

مال الصفدى إلى السهولة دائماً وفى شعره دليل على تلك السهولة ، وقد عاب الصفدى على " ابن الفارض " لجوءه إلى الغموض ، قال فى نقد ديوانه :

" ولهذه الألفاظ التى عقدها عقد الميزان ، لأجل الجناس صار كلامه وحشياً من العَوَام ، بل من بعض الخواص الذين لم يتمهروا فى الأدب ،

---

(١) الغيث المسجم ، جـ ٢ ، ص٣٨٢ ، وبيت المتنبي فى ديوانه جـ ٤ ص ٨٥ .

وقل أن تجد لديوانه نسخة صحيحة ، وأكثر مايساعد الأفاضل على تصحيح ألفاظه وزن الشعر . . كما فى قوله :

وإذا أَذَى أَلَـمٍ أَلَـمَّ بُمهْجَـتِي ... فَشَذَا أُعَيْشَابِ الحِجَازِ دَوَائِي

فانظر إلى هذا لم يستقر الكلام إلا بمراعاة الوزن ، فإنه يضطر الواقف عليه أن يجعل الأول من الألم والثاني من الإلمام " [1]، ولقد كان لعمل الصفدى بالنسخ أثر فى معرفة المشكلات التى تقع فى النسخ المختلفة لديوان الشاعر .

(د) التثبت فى رواية الشعر :

ولابد أن فى عمل الصفدى بالنسخ مادفعه كذلك إلى التثبت فى رواية الشعر ومن ذلك قوله :

أَصبحَ فى قيدكَ السماحةُ والجُـودُ ... وفضْـلُ السِّلاحِ والحَسَـبِ

لابَطَـرَ أنْ تَتَابَعَـتْ نعَـم ... وصَبر فـى البـلاء مُحْتَسِـبِ

أَحْـرَزْتَ سَـبْقَ الجِيـادِ فى مَهَـلٍ ... وَقَصَّـرَتْ دُونَ سَـعْيِكَ العَـرَبُ

وقد روي صاحب الأغانى هذه الأبيات " لحمزة بن بيض " مع يزيد المذكور [2]

وقال أيضاً ووجدت منسوباً إلى أبى العلاء المعرى :

زَعَمَ الجَهولُ ومَنْ يقـولُ بقَوْلِـه ... إنَّ المَعَاصِيَ منْ قَضَـاء الخَالِـقِ

إنْ كَانَ حقّاً مَايَقُولُ فَلِمْ قَضَى ... حَدَّ الزِّنَاء وقَطْعَ كَـفِّ السَّـارِقِ [3]

كذلك نلاحظ تشكك الصفدى فيما يروى من شعر على بن أبى طالب على خلاف غيره من الشراح الذين دأبوا على ذكر شعره وشعر الإمام الشافعى دون تثبت ، قال الصفدى : قال على بن أبى طالب -

---

(١) الغيث المسجم جـ٢ ، ص٥٥ . والبيت المذكور في ديوان ابن الفارض ص ١٧٥ .
(٢) الغيث المسجم جـ١ ص١٩٩ (القاهرة) . (٣) الغيث المسجم جـ١ ص٧٢ .

رضى الله عنه - فيما ينسب إليه من الشعر :

عيناكَ قدْ دلّتا عينيّ منْكَ عَلى
أشْيَاءَ قَدْ كُنْتَ طُولَ الدَّهْرِ تُخْفِيها

والعيْنُ تَعْلَمُ مِنْ عَيْنَيْ مُحَدِّثِها
إنْ كانَ مِنْ حِزْبِها أَوْ مِنْ أَعَادِيهَا[1]

(هـ) تعليق على شعر ابن الرومى :

كذلك انفرد الصفدى بمثل هذا الحكم على شعر " ابن الرومي " : " انه شاعر جيد ، دقيق النظر ، صحيح الذوق ، حسن التخيل ، فإذا طرق المعنى بكْراً أتى به فى غاية الحسن ، فالذى يأتى بعده لم يجدفيه فضلة ، وأما هوَ فلا يرى أن يأخذ إلاّ المعانى الجيدة من الفحول وأولئك قد سبقوه إليها فلا يكون له فيها فضلة "[2]

فواضح أن الصفدى يرصد فى هذا النص ظاهرة الاستقصاء فى شعر " ابن الرومى " ويبقى أنه يحكم وعينه على المعنى دائماً كما بيّنا من قبل .

(و) ظواهر فى شعر الصوفية :

وكما رصد الصفدى تكلف ابن الفارض وصعوبة شعره ، رصد كذلك ما وقع فى شعر المتصوفة من إحالة ، ومن ذلك قوله :

" روى أن أعرابياً لقيه رجل لم يكن يعرفه قبل ذلك ، فقال له كيف كنت بعدى ، فقال له الأعرابى مابعد ما لا قبل له ، وأما قول شرف الدين ابن الفارض :

حَدِيثى قَدِيمٌ فى هَوَاهَا وَمَالَهُ ... كَمَا عَلِمَتْ بَعْدٌ ولَيْسَ لَهُ قَبْلُ

---

(١) الغيث المسجم جـ٢ ص٣٩٦ ، وسيأتى البيت الأخير برواية أخرى عند ابن خضر ص٧ / ظ وفى هذا الكتاب فى الفصل السادس .
(٢) الغيث المسجم جـ٢ ص٢٥٠ .

فأمر خارج عن العقل ؛ ولكن الصوفية يحيلون مثل هذه الأشياء على الذوق ، ويقولون فى مثل هذه الأمور إنَّها من وراء العقل »[١] .

(ز) لكل مقام مقال (السِّيَاق) :

وبرغم ما وقع فيه الصفدى من تعسُّف ، حين كان يحاول أن يبدل لفظاً مكان لفظ في بيت شعر أو كلام ، فإنه قد ساق في النص التالى مايدل على فهمه لمسألة السياق ، قال : « وحكى « ابن حَيُّوس » لما سمع قول ابن الخياط :

لَـمْ يَبْـقَ عِنْـدِي مَايُبَـاعُ بِدِرْهَـمٍ وكَفَاكَ شَاهِدُ مَنْظَرِى عَنْ مَخْبَرِى

إلاّ بَقِيَّـةُ مَـاءِ وَجْـهٍ صُنْتُهَا مِنْ أَنْ تُبَاعَ وَأَيْـنَ أَيْنَ المُشْـتَرِى ؟

قال : لو قال وأنت نعم المشترى لكان أحسن ، قلت : اشتهر هذا بين الناس واستحسنه أهل الأدب ، وليس ذلك وارداً على ابن الخياط ، فإنه لكل مقام مقال ، وابن الخياط هنا ليس فى مقام التعرض للاستماحة من أجل أحد بل هو فى مقام تَشَكٍّ وتظلُّم من الدهر ، وأنه من الفقر فى غاية ولم يبق مايملكه غير ماء وجهه ولو باعه لعزّ وجود المشترى له لعدم الكرام ، ألا ترى كيف أكد ، بقوله : أين ثانياً »[٢] .

(حـ) ثقافة الناقد وتحليل الشعر :

وفى تحليل الصفدى للشعر تظهر ثقافته فيحسن التحليل وان كان ذلك نادراً فى كتابه ، من ذلك قطعة من شعر « ابن دَقِيقِ العِيد » أجاد فى تحليلها ، وان بالغ فى الإعجاب بها قال :

« أنشدنى الشيخ الإمام الحافظ أبو الفتح محمد بن سَيِّد الناس ، قال

(١) الغيث المسجم جـ١ ص ١٠٥ - ١٠٦ (القاهرة) .
(٢) الغيث المسجم جـ٢ ص ٨٩ .

أنشدني لنفسه الشيخ العلامة تقي الدين بن دقيق العيد - رحمه الله تعالى - :

كَمْ ليلةٍ فيكَ وَصَلْنا السُّرَى لا نَعرِفُ الغَمْضَ ولا نَسْتَرِيحْ
واخْتَلَفَ الأصْحَابُ ماذا الذي يُزيلُ مِنْ شَكْوَاهُمُ أوْ يُرِيحْ
فَقِيلَ لِي تَعْرِيسُهُمْ سَاعَةً وقُلْتُ بَلْ ذِكْرَاكَ وهْوَ الصَّحِيحْ

قلت : انظر إلى هذا النظم ما ألطف تركيب ألفاظه وأحلاه ، وكونه استعمل طريق الفقهاء في البحث في ذكر اختلاف الأصحاب وأنه قيل كذا اختلاف ، وأنه قيل كذا وقيل كذا ، وقلت كذا وهو الصحيح ، كأنه إمام الحرمين وقد ألقى درساً في مسئلة فيها خلاف بين الأصحاب وقد رجح ماراَه هو عنده من الدليل ، وما رأيت أحسن من هذا بينما هو يصف أحوالهم في السُّرَى ومشاقهم في التعب وتشاورهم فيما بينهم ، وما أشار به كل منهم في إزالة ما حصل لهم من العناء إذا به برز من بينهم برأى أدخل فيه ذكر الممدوح ونص على تصحيحه ، فكأنه في حلقة الدرس وقد شرع في مسئلة خلافية ويحرم مثل هذا النظم على غير الشيخ تقي الدين :

فَلَمْ تَكُ تَصْلُحُ إلاَّ لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُحُ إلاَّ لهَا[1]

ط) مراسالات نقدية :

وانفرد الصفدي في كتابه بما أورده من مراسلات نقدية بين « ابن سَنَاء المُلْك » و « القاضي الفاضل » حول استعمال لفظ الكنس قال :

« قال ابن سناء الملك من أبيات :

تزَخرفَ منها وجهُها وهْيَ جَنَّةٌ ويَخضَرُّ منها نَضْرَةً فَهْوَ سُنْدُسُ
صِلِينِي وهذا الحُسْنُ بَاقٍ فَرُبَّمَا يُعَزَّلُ بَيْتُ الحُسْنِ مِنْهُ ويُكْنَسُ

---

(١) الغيث المسجم جـ١ ص ١٢٣ (القاهرة) .

ولما وقف القاضى الفاضل - رحمه الله تعالى - على هذه القصيدة التى منها هذه الأبيات كتب إلى ابن سناء من جملة فصل [١] . . . . والقصيدة فائقة فى حسنها بديعة فى فنها ، وقد ذلت السين فيها وانقادت ، فلو أنها الراء لما زادت ، وبيت يعزل ويكنس أردت أن أكنسه من القصيدة ، فإن لفظة الكنس غير لائقة بمكانها « فأجاب ابن سناء الملك قائلا : وعلم المملوك ما نبه عليه مولانا من البيت الذى أراد أن يكنسه من القصيدة ، وقد كان المملوك مشغوفاً بهذا البيت مستحليا له ، متعجبا منه معتقداً أنه قد ملح فيه وأن قافية بيته أميرة ذلك الشعر ، وسيدة قوافيه ، وما أوقعه فى الكنس إلاّ « ابن المعتز » فى قوله :

وقَوامِي مِثْلُ القَنَاةِ مِنْ الخَطِّ   وخَدِّى مِنْ لِحْيَتِي مَكْنُوسُ [٢]

والمولى يعلم أن المملوك لم يزل يجرى خلف هذا الرجل ويتعثر ويطلب مطالبه فتعسر عليه وتتعذر ، ولا أنسى ناره إلاّ لما وجد عليها هذى ، ولا مال المملوك إلاّ إلي طريق من ميله إليه طبعه ، ولا سار قلبه إلاّ إلى من دل عليه سمعه ورأى المملوك أبا عبادة قد قال :

وَيَا عَاذِلى فى عَبْرَةٍ قَدْ سَفَحْتُها   لِبَيْنٍ ، وأُخرى قَبْلَها لتجنُّبِ
تُحَاوِلُ مِنّي شِيمةً غَيْرَ شِيَمتِي   وتَطْلُبُ مِنِّى مَذْهَباً غَيْرَ مَذْهَبِى [٣]

وقال :

---

(١) واضح أن هذا الذى ينقله الصفدى هو من كتاب ابن سناء الملك « نصوص الفصول » وهو مخطوط ، انظر عصر الدول والامارات ، مصر والشام د . شوقى ضيف ص ١٢٥ .

(٢) ديوان أشعار الأمير أبى العباس (ابن المعتز) : تحقيق د . محمد بديع شريف ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٨ م ، جـ٢ ص ٢٧٣ .

(٣) ديوان البحترى : تحقيق حسن كامل الصيرفى ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧١ ، جـ١ ص ١٩١ ورواية الديوان ويا لائمى .

وما زَارَنـي إلاَّ وَلِهْـتُ صَـبَابَـةً   إلَيْـهِ ، وقُلْـتُ أهلاً ومَرْحبَـا (١)

فعلم الممنوك أن هذه طريقة لا تسلك وعقيلة لا تملك وغاية لا تدرك ووجد « أبا تَمَّام » قد قال :

سَلَّمْ على الرَّبْعِ مِنْ سَلْمَى بِذِى سَلَمِ .

وقد قال :

خَشُنْتَ عَلَيْهِ أُخْتُ بَنِى خُشَيْنِ .

فأشمأز من هذا النمط طبعه واقشعر منه فهمه ونبا عنه ذوقه . . . إلى أن نظم تلك اللفظ تقليداً لابن المعتز فإنه قالها وحمل أثقالها »(٢) .

وقد أجاب القاضى الفاضل بألاَّ حجة لابن سناء الملك فى اتباع ابن المعتز ، فإنه لا يقلد إلاَّ فى الصواب (٣) ، ثم علق الصفدى على تلك المراسلة بقوله :

« وقد استعمل ابن سناء الملك رحمه الله تعالى هذه اللفظة فى غير هذا الموضع . . لأنه غلب عليه الهوى فقال :

تَوَسْـوَسَ شَـعْرِى به مُـدّةً   ومـا بَـرِحَ الحَـلْىُ والوَسْوَسَةْ

وخَلَّصَنى مِنْ يَدَىْ عِشْـقِـهِ   ظَـلامٌ عَـلى خَـدِّهِ حَنْدَسَـهْ

كَنَسْـتُ فُـؤادِىَ مَنْ عِشْقِـهِ   ولِحْيَتُـهُ كَانَـتِ المَكْنَسَـةْ (٤)

وأما القاضى الفاضل فما أظنه خلا في هذا الإيراد من ضعف انتقاد فمن كلام القاضى الفاضل في بعض رسائله : « وما استطاعت أيديهم أن تقبض حجره ، ولا ألبابهم أن تسيغ خبره ، ولا سيوفهم أن تكنس قميمه

(١) ديوان البحترى جـ ١ ص ١٩٦ .
(٢) الغيث المسجم جـ ٢ ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .
(٣) الغيث المسجم جـ ٢ ص ٣٧٤ .
(٤) ليس فى ديوان ابن سناء الملك المطبوع .

ولا أعراضهم أن تأخذ لطيمه »[١] .

(ى) من نقد « ابن جُبَارة » :

وأهم من هذه القطعة من مراسلات القاضى الفاضل وابن سناء الملك ما نقله الصفدى من نقد ابن جبارة لابن سناء الملك فى كتابه « نَظْمُ الدُّرِّ فى نقد الشعر » الذى من المرجح أنه مفقود[٢] ، وقد دافع الصفدى عن ابن سناء الملك في أكثر من موضع من ذلك ماورد فى «الغيث المسجم» قال الصفدى ، قال ابن سناء الملك :

أَلا فَارْفَعِــى ذَا الشِّعْرَ عنَّـا فَإِنَّنَــا
نَغَــارُ عَلَيْــهِ مِنْ مُلاعَبَــةِ الحِجْــلِ

عَجِبْـتُ لَـــهُ إذْ يَطْمَئِـــنُّ مُعَانِقَــاً
أَما أذْهَلَ الخُلْخَالَ خَوْفُ بَنِى ذُهْلِ

بِشَرْكِ القَنَا يَحْمُون شُهْدَ رُضَا بِها
(ولا بُدَّ دُونَ الشُّهْدِ مِنْ إِبَرِ النَّحْلِ)[٣]

قال « ابن جُبَارة » بعد أن أورد على البيت الأول والثانى ما أورده من فساد المعنى ونقصه ، أراد أن يمد حسهم فهجاهم بالمثل المضمن آخر بيته الذى جعل كفن ميته ؛ لأنه جعل طعن رماحهم كإبر النحل ، وإبر النحل لا أثر لها .

---

(١) الغيث المسجم جـ ٢ ص ٣٧٥ ، والقميم : يبس البقل ، أو القمامة .

(٢) قطع الدكتور شوقى ضيف بأن الكتاب مفقود ، عصر الدول والامارات (مصر والشام) ص ١٢٦

(٣) ديوان ابن سناء الملك : تحقيق محمد إبراهيم نصر ، دار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٩ م ، ص ٢٢١ ورواية البيت الأول :

ألا فارفعي ذا الشعرِ عنه إنني أغار عليه من مداعبة الحجلِ

وبين البيت الأول والثاني هناك بيت في الديوان نصه :

إذا نشبَ الخلخال فيه فاءنه يعانقه والخِلُّ يصو إلى الخِلَ

ولا ألم يحصل منها ولو أن كل عاشق إنما يمنعه من معشوقه ويحجزه عنه لسع الزنابير ولدغها عليه صعبها وذل له متعها ولله درُّ المجنون إذ يقول كما نقل عنه :

وحَقَّكُم لا زُرْتُكُم في دُجُنَّة ... منَ اللَّيْلِ تُخْفيني كَأنِّيَ سَارِقُ
ولا زُرْتُ إلاَّ والسُّيوفُ هَوَاتِفٌ ... إليَّ وأَطْرَافُ الرِّمَاحِ عَوَاشِقُ(١)

ثم ذكر أشياء غير ذلك وقال : لولا وقوع هذا الشاعر في شعره وقلة معرفته وقصور فكره لما قال :

« بِشَوْكِ القَنَا يَحْمُونَ شُهْدَ رُضَابِها »

وكيف يُحمى الشهد بالشوك ، ولواتفق له أن يقول جنى رضابها لكان أسوغ وأبلغ ثم قال فى أول البيت شهد وفى آخره شهد وانما الأحسن أن يأتى بالمثل بالمعنى لا باللفظ ؛ لأنه إذا كرر بلفظه فكأنه هو وإنما القصد أن يكشف المعنى بلفظ موجز ، وبقول مجموع معجز . . (قلت) أما كونه يدعى أنه لا ألم فى إبر النحل ولا ضرر فى الزنابير فهذا مما لا يسمع وهو تحامل ، أليس أن فى إبر النحل والزنابير سُماً يمنع القرب منه والدنو إليه ، وغالب الناس يهاب ذلك ولا يقدم عليه . . ولعل بعض الناس لسعه زنبور فتورم منه ومات ، وبالجملة ففى إبر النحل سم تعاف النفوس من الإقدام عليه وهو ما أراد أن طعن قومها مثل لسع إبر النحل كما قال المعرى :

وأضعفَ الرعبُ أيديهم فَطعنُهُم ... بالسَّمْهَرِيَّة دُونَ الوَخْزِ بالإبَرِ

. . . وأما إنكاره شوك القنا فهو استعارة حسنة ، والتشبيه مطابق ؛ لأن الأسنة أشكال مستدقة ملسنة حادة كما هو الشوك . . . وما أعجبنى شئ مما أورده عليه غير إنكاره تكرار الشهد وكان الأحسن لو قال :

(١) ليس فى ديوان مجنون ليلى المطبوع .

« بِشَوْكِ القَنَا يَحْمُونَ رَشْفَ رُضَابِها » .(١)

وفى موضع آخر عاد الصفدى لنقد «ابن جُبَارة» لابن سناء الملك فقال :

« وقال ابن سناء الملك من قصيدة يمدح بها القاضى الفاضل :

وإِذَا سَأَلْتَ مَنِ الكَرِيمُ فإنَّهُ ... عَبْدُ الرَّحِيمِ لأنَّهُ مولى الوَرَى

يَخْتَارُ أنْ يَهَبَ الخَرِيدَةَ كَاعِباً ... والطِّرْفَ أجْرَدَ والحُسَامَ مُجَوْهَرَا

يَقْرِى الضُّيُوفَ شُعَاعَ تبرٍ أَحْمَرٍ ... فَشُعَاعُ ذَاكَ التِّبْرِ نِيرَانُ القِرَى(٢)

وتعنت ابن جبارة عليه في هذه الأبيات فمما قال فى هذا الثالث :

ألَمَّ أولا بقول « ابن عمّار » :

قَدْحُ زِنَادِ المَجْدِ لا يَنْفَكُّ مِنْ ... نَارِ الوَغَى إلاَّ إلى نَارِ القِرَى

وزاحم فيه أبا الطيب في قوله :

تَرَكَتْ دُخَانَ الرِّمْثِ فى أَوْطَانِهَا ... طَلَباً لِقَوْمٍ يُوقِدُونَ العَنْبَرَا(٣)

وقوله يقرى الضيوف شعاع تبر أحمر ، والتبر لا يكون إلاّ كذلك .. وقد جعله يدفع إلى الضيوف صلة الإنعام ويمنعهم من الطعام وكم من ضيف يمتنع من أخذ ذلك ويعده عيباً شنيعاً .

(قلت) هذا تعنت زائد وليس للبيت علاقة بما قاله ابن عمار ، ولا بقول أبى الطيب ، نعم لو قال نظر إلى قول أبى الطيب :

وَمَلِلْتُ نَحْرَ عِشَارِهَا فَأَضَافَنِى ... مَنْ يَنْحَرُ البِدَرَ النُّضَارَ لِمَنْ قَرَى(٤)

لكان فيه بعض شرقة ، وأما قوله التبر لا يكون إلاّ أحمر لا نسلم له

---

(١) الغيث المسجم ، جـ١ ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٢) ديوان ابن سناء الملك ص ١٥٩ ورواية الشطر الثانى من البيت الثانى فى الديوان :

... والألف ألفاً والكلام مجوهرا

(٣) ديوان المتنبى : جـ ٢ ص ٢٧٥ . (٤) ديوان المتنبى جـ ٢ ص ٢٧٧ .

هذه الدعوى ؛ لأن التبر ما كان من الذهب غير مضروب والشاعر هنا ما أراد الا الذهب المضروب ، ولكنه قال تبراً مجازاً والذهب منه مايكون أحمر ومنه مايكون أخضر ، ومنه مايكون أصفر . . ومابقى له من النقد عليه إلا قوله إنّ الأضياف فيهم من لا يقبل الإنعام وهذا نقد حسن فإن الضيف قد يكون أكبر قدرا ممن أضافه » . [1]

●●●

(١) الغيث المسجم جـ ١ ، ص ٢٦٤ .

الفصل السادس

الاتجاه التذوقي والجمالي

الفصل السادس

الاتجاه التذوقي والجمالي

(١)

مفهوم الذوق :

« ليس من شك في أننا لا نستطيع أن ندرك طعم شراب أو طعام مالم نتذوقه بأنفسنا ، ولا يمكن أن يغنينا عن هذا التذوق الشخصى أي تحليل كيماوى أو تقرير خبراء ، كذلك الأمر فى كافة الفنون ، فأى وصف للوحة زيتية أو تمثال من الرخام لا يمكن أن يغنى عن الرؤية المباشرة ، وكذلك الأمر فى الأدب ، فذوقنا الخاص هو أساس كل فهم له . بحيث يبدو الأمر الذوقى أمراً مشروعاً ، وهو بعد حقيقة واقعة حتى عند العلماء من النقاد المحدثين »[(١)]

ولقد يبدو لأول وهلة أن الذوق أمر شخصى بحت لادخل للمعرفة به ، ولكن واقع الأمر غير ذلك وكما يقول الدكتور " شكرى عياد " :

" يكفى أن نقرر أن أحداً لم يقدم إلينا دليلاً على أن عملية التذوق ذاتها عملية غير موثوق بها ، والشئ الذى يبدو أكثر احتمالاً – إلى أن يثبت الدليل عكسه – هو أن التذوق عملية ذهنية قابلة للتدريب والصقل كعملية الإدراك الحسى "[(٢)] .

وليس مصطلح الذوق من المصطلحات المحددة التى لا يقع الخلاف حولها ، فقد استخدمه الصوفية .[(٣)] بمعنى كما استخدمه نقاد الأدب بمعنى آخر ، واختلفوا كذلك فى تحديد مفهومه فمثلاً يرى النقاد الجدد " أن

---

(١) النقد المنهجى عند العرب : د. محمد مندور ، ص ١٦ .

(٢) الدراسة العلمية للأدب ، مقال بمجلة كلية الآداب جامعة الرياض ، مجلد ٧ ، ١٩٨٠م ، الرياض ص ٢٥٤ .

(٣) انظر كشاف اصطلحات الفنون ، جـ ٢ ، ص ٣٢١ ومابعدها .

التذوق ليس هو الوقوف عند السطح أو اطلاق العنان للمشاعر الشخصية أو التلذذ بالعجز عن الرؤية النافذة " [١] .

كما اختلف الرومانسيون والكلاسيكيون فى تحديد معناه " فاصطلاح الذوق اصطلاح قديم عرفه الكلاسيكيون ولكنهم ربطوه بالقواعد أما الرومانسيون فقد اسرفوا فى الاعتماد عليه ، ودخل منظومتهم الفكرية صنوا للخيال والعبقرية ، ومن هنا أصبح النقد الذى يعتمد على الذوق ضرباً من الإبداع الذى يعتمد على العبقرية ، ولكنه ربطه بالقواعد والتدريب كما كان عند الكلاسيكيين حتى حدد غاية النقد بأنها " توضيح الأعمال الفنية وتصحيح الذوق " .[٢]

وعرف " مجدى وهبه " نظام الإيثار لموعة محددة من القيم الجمالية نتيجة لتفاعل الإنسان معها "[٣] أو هو " مصطلح يستخدم فى النقد الأدبى ليحدد الأساس الشخصى لقبول أو رفض عمل فنى ينتج لذة أو ألما للقارئ أو السامع أو المشاهد "[٤] .

ولأهمية الذوق فى دراسة الأدب كان لابد من التعرض له فى هذا الفصل حتى نتبين ما كان عليه جمال " التذوق " فى عصور هذا الشروح ، لا لنحكم على أذواق هؤلاء الشارح بالصواب أو الفساد ، وكما يقول " الزيات " :

" إنك لاتجد ، مهما استقصيت واستقربت ذلك الذوق المطلق

---

(١) مشكلة المعنى فى النقد الحديث : د. مصطفى ناصف ، ص١٧٠ .

(٢) دائرة الإبداع : د . شكرى عياد ، ص٢٩ ، وانظر تعريف الزيات للذوق فى (دفاع عن البلاغة ص٥٥-٥٦)

(٣) معجم مصطلحات الأدب : د. مجدى وهبة ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ١٩٨٦م ، ص٥٦٣

(٤) J . R.Harmsworth : Dictionary of Litrerary Terms, Coles Notes Torino, I968 , P.121 .

المستقل الذى لايختلف باختلاف الألوان والأزمان والأمكنة ، وفى الأقوال المأثورة (لاجدال فى الذوق) .[١]

ولقد وردت كلمة الذوق فى بعض مواضع من كتاب " الغيث المسجم " ولعل فى أحد هذه المواضع ما يوضح كيف كان لظروف العصر والبيئة الأدبية أثرها فى تكوين الذوق : قال ، قول المجون :

إنَّ الجَمالَ مَظَنَّةٌ للحُسَّد   مَوْسُومَةٌ بالحُسْنِ ذاتُ حواسد

سَوْدَاءُ تَرْغَبُ عَنْ سَوَادِ الإثمِد[٢]   وتَرى مَدَامِعَهَا تَرقْرقُ مُقْلَةً

ومن هنا أخذَ ابن التَّيمةُ قوله :

مُنَزَّهٌ عَنْ لَوْثَةِ المِرْوَد   بَيْضَاءُ كَحْلاَءُ لَهَا نَاظِرٌ

وقوله منزه أبلغ من قول المجنون ترغب ، وأحسن فى الذوق " .

ولاشك أن النقد الحديث لايقر " الصفدى " على اتهامه " لابن النبيه " بالأخذ عن " المجنون " وفى نفس الوقت إذا كان الذوق المعاصر لايوافق " الصفدى " على اعتبار بيت " ابن النبية " أحسن من بيت " المجنون " ، فإنه لايستطيع أن يتهم الصفدى " بفساد الذوق فى هذا الموضوع ، لأنه يمثل ذوق عصر بأكمله ، ومع ذلك فقد اتهم " الصفدى " من بعض معاصريه ولاحقيه بفساد ذوقه الأدبى ، لأنه كان يميل إلى الجناس ويعشقه "[٣].

وقد اتهم أبو جمعة ذوق « الصفدى » بالفساد في بعض مواضع شرحه وان لم يذكر ذلك صراحة ، لما كان يكن « للصفدى » من احترام ، وفى شرح كل منهما للبيت الثانى من اللامية تعليق يدل على ذلك ، قال

---

(١) دفاع عن البلاغة ، للزيات ، ص ٣٠ .

(٢) ديوان مجنون ليلى : تحقيق د . حسين نصار ، مكتبة مصر ، القاهرة ١٩٧٩ م ، ص ٩٣ .

(٣) النقد الأدبى في العصر المملوكى : د. عبده عبد العزيز قلقيلة ، ص ١٠٣ .

الصفدى في شرح البيت :

٢- مَجْـــدِي أَخِـــيراً وَمَجْـــدِي أَوَّلاً شَـــرَعٌ
وَالشَّمْسُ رَأْدَ الضّحَى كالشَّمْسِ فِى الطَّفَلِ

وقولُ المعريّ :

وَافَقْتُهُـــمْ فِـى اخْتِـــلاَفِ مِـــنْ زَمَانِـــكُمُ
وَالْبَـدْرُ فِى الوَهْـنِ مِثْـلُ الْبَـدْرِ فِـى السَّحَرِ

ولكن قول « المعرى » ألطف عبارة وأحسن إشارة ، لأن « الطغرائى » أغرب فى لفظتى رأد والطفل وعذوبة الألفاظ أمر مهم فى البلاغة وكلا المعنيين يشبه قول « الحريرى » :

وَطَالَما أُصْلِيَ اليَاقُوتُ جَمْرَ غَضَىً   ثُمَّ انْطَفَـا والياقُـوتُ ياقُـوتُ[(١)]

ووقف « أبو جمعة » على كلام « الصفدى » فقال :

« فـالظاهر أن هذا الكلام صـدر عن صـدر بلا تأمل ، لأنه ان أراد بكونه ألطف عبارة . . . الخ أنه أجود نظما وأحسن تناسبا فى وضوح الدلالة على المراد فلاشك أن التفريق بين المصراعين فى هذا المعنى خروج على حد الإنصاف . . ومن الواضح أنا لا نحتاج فى فهم معنى كل منهما إلى الإخراج على وجه بعيد ولا إلى التنقير والبحث عنهما فى كتب اللغة على أن الوهن فى بيت المعري ليس بأشهر منهما »[(٢)] .

ولا عجب أن يعجب « الصفدى » ببيت « الحريرى » ، « فالحريرى » واحد ممن أعجب بهم « الصفدى » كثيرا مثله مثل « القاضى الفاضل » و «ابن سناء الملك » وغيرهم ، ولهذا قال :

---

(١) الغيث المسجم ، جـ١ ، ص ٨٠ . و نبيت المذكور فى مقامات الحريرى (المقامة الحجرية) ، دار الفكر ، القاهرة ١٣٢٦ هـ ، ص ٤٦ .

(٢) إيضاح المبهم ، ص ١٠/ ظ .

« وما أطرب لشئ » كطربى لاستعارات « القاضى الفاضل» - رحمه الله - فى مثل قوله : وتلك الجبهة وإن كانت عربية فإنها مستودع الأنوار ، وكنز دينار الشمس ومصب أنهار النهار . . وقوله : ونصبر حتى تنجلي هذه الغمرة ، وحتى تجف مناديل الجنون فإنها كانت بالدموع عصرة »[١] .

وإذا كنا نختلف مع « الصفدى » فى إعجابه الشديد وطربه باستعارات «القاضى الفاضل» التى ربما بدت لنا غثة ، فلا عجب أن وجدنا «أبا جمعة» يختلف معه أيضا كما رأينا فى الحكم على بيت « الطغرائى» .

●●●

(٢)

بيت القصيد :

أما الذى يدعو لوقفة تحليل وتبصر هو ما نجد فى جميع الشروح من اتفاق يكاد يبلغ حد الاجماع على اعتبار أحد أبيات اللامية « بيت القصيد» فقد اتفق ذوقهم علي اعتبار البيت الآتى بيت القصيد :

٤٦- وَإنْ عَلانِيَ مَنْ دُونِى فَلاَ عَجَبٌ

لِى أسوةٌ بِانْحِطَاطِ الشَّمْسِ عَنْ زُحَلِ

قال « الصفدى » : « وهذا البيت قد أخذ بمجامع الحسن ، وفاق علي المقاول اللسن ، لأنه واسطة هذا العقد الفريد ، وليس بيتا كما يقال وانما هو قصر مشيد ، سكنه الحسن البديع وما ظعن عنه ولا ارتحل ، وفاق آفاق البلاغة ، لأن تلك إن كان فيها نجوم فهذا مما فيه الشمس وزحل ، ودار به على قطب الفصاحة فلكه الدائر وسار في الأقطار مَثَلُهُ السائر ، وأضاءت به الشموس في أيام الطروس ، وأسفرت به البدور في ليالى السطور ، . . . . والقصيدة ذات بدائع لمن يعددها وفرائد لمن ينضدها ومحاسن

(١) الغيث المسجم ، جـ ١ ، ص ١٨٤ (القاهرة) .

تتبرج للمتأمل فردها وزواهر يشرق فى سماء البلاغة توقدها وهذا البيت :

شَمْـسُ ضُحَاهَا هِلاَلُ لَيْلَتِهَـا   دُرٌّ تَقَاصِـيرِهَـا زَبَرْجَـدُهَـا

وأما تمثله بالشمس وزحل فهو مثل مطابق لمن يكون بحالته التى ذكرها وشرحها من ارتفاع السفل وانحطاط الكرام ؛ لأن الشمس في الفلك الرابع ؛ وزحل فى السابع وانما حكموا بأن زحل في السابع والشمس في الرابع ؛ لأن ذلك أمر يشاهده الحس ويحكم به العقل وهو أنهم وجدوا زحل يدور فلكه في كل ثلاثين سنة دورة كاملة بالتقريب . . والشمس يدور فلكها في كل سنة واحدة مرة واحدة . . . »[1] .

وتابع « ابن مبارك » رأي « الصفدى » ، ونقل تعنيفه على البيت السابق فاعتبره أيضا بيت القصيد[2] .

وفي شرح « أبى جمعة » لنفس البيت (٤٦) قال : « ثم هذا البيت من غرر هذه القصيدة ودررها المنزلة من عقدها منزلة الفريدة ، لكونه من الأمثال السابقة فى ميدان البلاغة ومن المعانى المضيئة فى سماء الفصاحة ، يهتدى إلى ضربه كل من خفضه الدهر من أولي النهى والعلم ، ويستنير بضياء شمسه كل من تورط من هذا الزمان فى الظلم ، لمطابقة معناه لهذه الحال التي قصدها « الطغرائى » - رحمه الله تعالى - ولا شك أن التأسى مما تسكن اليه النفوس ويسكن عندها كل ضرر وبؤس ، ولهذا قالت الخنساء ترثى أخاها صخرا :

وَلَوْلاَ كَثْـرَةُ الْبَاكِـينَ حَوْلِـي   عَـلَى إِخْوَانِهِـمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِـي

وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ   أُسَـلِّي النَّفْسَ عَنْـهُ بِالتَّأَسِّـي

وإنما خص الشمس بالذكر عن سائر الدراري مع أنها كلها تحته ؛

---

(١) الغيث المسجم ، جـ ٢ ، ص ٢٢٢ .   (٢) نشر نعنه ، ص ٥٤ .

لأنها على ما يزعم المنجمون هى التي تمد القمر بالضياء كما تقرر فى علم الهيئة ، والقمر هو أشرفها فيلزم أن تكون الشمس أشرف من جميع الكواكب »[١] .

وممن اتبع « الصفدى » ، وان لم يصرح أنه ينقل عنه فى شرح هذا البيت « يوسف الشلفون » فقال « وتمثيله هذا هو حسن مطابق لمن بحالته التي ذكرها بارتفاع السفل وانحطاط الكرام ، لأن الشمس في الفلك الرابع وزحل فى السابع فوقها ، وهذا البيت يصدع الفؤاد ويرصد الأكباد لأن الدهر مولع برفع الناقص وخفض الكامل وسعد الجاهل وشقاء الفاضل ، وبؤس الكريم وتنعيم اللئيم وتعب المتحرز وراحة المتوهر »[٢] .

وقد لا يحق لنا أن ندخل « محمد على المنياوى » (صاحب تحفة الرائى) ضمن من أعجبوا بهذا البيت ، لأنه لم يكن ليشغل نفسه بتذوق الشعر ، إلا أنه قال عن هذا المثل « إنه لم يتفق لمثله »[٣] .

لقد قصدت بنقل كل هذه النصوص أن أوضح أنه برغم اتساع المكان الذى ظهرت فيه الشروح من « القسطنطينية » شرقا حتى « فاس » غربا ، واتساع الزمان من القرن السادس حتى القرن الرابع عشر الهجرى فان ذوق هؤلاء الشراح جميعا يكاد أن يكون متقاربا فى أمور كثيرة ، وبرغم ماقد يبدو من اختلاف الذوق بين أصحاب الشروح المستقلة « كالصفدى » و «أبو جمعة » ، فإن حقيقة الأمر غير ذلك ، إذ نرى حرص كل الشراح على البديع وما فيه من تفاصيل أعجب بها الشراح .

وقد ورد فى شرح « أبى جمعة » تعليق على البيت (١٢) يؤكد حرصه الشديد وإعجابه به ، فقد انفرد برواية للبيت رتب عليها فهما جعله

---

(١) إيضاح المبهم ص ١١٤ / و ، ١١٤/ ظ .

(٢) شرح الشلفون ، ص ٢٥ .

(٣) تحفة الرائي ، ص ٦٥ .

يعجب به إعجاباً شديداً ، فقد روى البيت كما يلى :

١٢- طَرَدَتُ سَرْحَ الكَرَى عَنْ وَرْدِ مُقْلَتِه
وَاللَّيْلُ أَغْرَى سَوَامَ النَّوم بِالمُقَلِ

وقد ورد فى الشروح الأخرى (ورْد) أما على رواية الشارح هذه فقال : " وهذا البيت من أجَلِّ أبيات القصيدة . . . فإن معناه بديع وألفاظه كالعسل فى الحلاوة والنسيم فى الرقة ، أراد أن يشبه صورة إقبال النوم على العيون فى الليل وولوعه بها من كثرة السهر بصورة من يغرى ماشيته علي أكل النَّوْر وإذهابه من مكانه ، ووجه الشبه ذهاب منفعة التسلية من الصاحب بذهاب مقلته بالنوم عند تغميضها به ، كما أن حسن الربيع يذهب بذهاب نَوْره بأكل الماشية إياه ، ووجه حسن الجمع أنه شبه الكرى بذى السَّرْح على مامر والنوم بالسرح ونفسه بالطارد له والمقلة بالنَّوْر الذى يرعاه السرح ، والليل بالراعى المغرى له على الأكل فجاء جميع ذلك فى غاية الحسن ونهاية الاجادة على مايشهد به الذوق السليم »[1] .

واذا ، فكل هذا التكلف - الذى من المرجح أن الشاعر لم يقصده وان يكن غير مستبعد تماماً - هو من أجل عيون البديع ، وهو يؤكد ما نذهب اليه من اتفاق الشراح فى هذا « الذوق السليم » كما قال«أبو جمعة » وواضح أن هذا الذوق قد خضع لمؤثرات بيئية وثقافية واحدة أنتجت هذا الاتفاق فى ذوق الشراح .

● ● ●

(١) ايضاح المبهم ص ٣٦/ و ، ٣٧/ ظ .

(٣)

بين العلم والشعر :

واذا كان الذوق هو حصيلة الخبرة[١] ، فلا شك أن الخبرات التى أنتجت هذا الذوق هى خبرات متشابهة ، ويروق لى أن أربط بين هذا الذوق والعلم العربى فى تلك العصور ، لما وجدنا من إعجاب بالمثل المضروب (. . لى أسوة بانحطاط الشمس عن زحل) وهو مرتبط بعلم الفلك ، ومما يشجع على هذه المحاولة - الربط بين الذوق والعلم والشعر - أن « الطغرائى » نفسه كان من المشتغلين بعلم الكيمياء كما نعرف ، وذلك فى مرحلة كان العقل العربى قد توقف عن الابداع العلمى أو قل كان نصيبه من الاخفاق أكثر من نصيبه من النجاح ، بدليل حالة الطغرائى نفسه الذى لم يكن على شئ وذهب سعيه بددا

وكما يقول الدكتور شوقى ضيف « نحن نعترف بأن الثقافة العلمية ضرورية للشاعر حتى يعترف أنه ليست هناك مباينة بين العلوم المبنية على الحقيقة ، وبين الشعر القائم على الخيال ، وحتى يقرب الشعراء المسافة بين العلم والشعر فينزعوا بشعرهم منزعا علمياً يتخذونه مذهباً أو كالمذهب ويدققون فى التعبير ويحققون فى صنيع العلماء أصحاب المذاهب »[٢] .

وهذا حق ، وحق كذلك أن الرؤية العلمية لم تكن واضحة أمام الشاعر العربى ، فانعكس ذلك على الشعر وانعكس كذلك على النقد وعلى الذوق ، واذا كان الدكتور شوقى ضيف يرى : « أن علم الشاعر العربى في العصور الوسطى استمر بعيدا عن أدبه وفنه ولم يتسرب منه شئ إلى آثاره ونماذجه ، ولعل من أكبر الدلالة على ذلك مانراه عند الشعراء من غرامهم بلون المبالغة وهو لون يخالف تمام المخالفة طبيعة العقل العلمى الذى يميل إلى التحقيق والتدقيق وألا تتجاوز ألفاظه مايريد التعبير عنه»[٣]

---

(١) دائرة الابداع ، ص ١٧ .
(٢) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ، ص ٢٩١ .
(٣) السابق ، ص ٢٩١ .

فإن المؤكد أن واقع هذا العلم وما أصابه من ضعف هو الذى دفع إلى هذا الموقف المخالف لطبيعة العقل العلمى ، بل دفع إلى استخدام حقائق علمية ناقصة والتعويل عليها كما سنرى .

وهنا يجب أن نوضح نقطتين :

الأولى : « أن الشاعر لا يشبه العالم الذى يبدأ مع الفروض يحققها ويختبر صلاحيتها ، الشاعر ليس أمامه مثل هذا الفرض »[1] .

الثانية : « أن العلم ليس يقيناً مطلقاً ، ولهذا فإن العلماء المحدثين المنصفين لا يتهمون القدماء بالجهل ، وفى الفقرة التالية نص كتبه أحد علماء الفلك يعكس نظرة منصفة لقديم العلم وجديده، قال : «لقد انعكس التحول الدوري الجديد للعقل السليم فى العلم بشكل دقيق جدا فى الأبيات الشعرية التالية :

١ - كان الظلام الدامس يلف هذا العالم .

٢ - وكان لابد وأن يحل النور ، فظهر نيوتن .

٣ - يبدو أن الشيطان لم ينتظر طويلا لحظة الانتقام .

٤ - فجاء أينشتين ، وصار كل شئ كما كان سابقاً .

والطريف أن صاحبى البيتين الأولين والأخيرين هما شاعران مختلفان ، وجرى نظمهما فى فترتين تفصل ما بينهما ٢٠٠ سنة ولا ريب أن الصواب هنا يكمن فقط فى أنه وجب التخلى عن التصورات الكلاسكية حول الفضاء ، ولكن هذا لا يعنى البتة بأن نظرية النسبية أعادت العلم إلى ماقبل نيوتن وأرسطو ، لقد كانت الفيزياء الجديدة خطوة هامة للغاية نحو الادراك الأعمق لتركيب العالم المحيط بنا ، . . .

---

(١) مشكلة المعني فى النقد الحديث ، ص ١٤٤ .

وتتواصل عملية تغير العقل السليم هذه فى يومنا وستتواصل فى المستقبل أيضا . . لأن معارفنا الحديثة عن الكون لا تعتبر البتة حقيقة فى المرجع الأخير .

إذن ، فالعقل السليم فى العالم هو ظاهرة نسبية مؤقتة تتناسب ومستوي المعارف فى العصر المعنى » [١] .

وفي هذه النظرة العلمية المنصفة يتبين أن العقل العربى في عصوره الوسطى لم يكن كله على ضلال برغم مافى علمه من نقص ، ولهذا لن يكون استخدام الشاعر لمعارفه العلمية كله ضلالا ، ولكن اذا كانت «علاقة الشعر بالعلم لا تقتصر علي مجرد استخدام الشعراء لمضامين علمية بل أن العلاقة تمتد لتشمل الأسلوب الذى يشكل به الشاعر قصيدته » [٢] ، فإن الشاعر العربى لم يستخدم إلا الأفكار الجزئية ، وهذا مادفع بالذوق نحو هذه الجزئيات ، فكأنه غَدا فصلا بين الشكل والمضمون وهو خطأ لا يحق للناقد أن يغفله ، « فانه يستحيل الفصل بين الشكل والمضمون فى ابداع العمل الفنى أو تذوقه ، كما يستميل الفصل بين هيئة الانسان وملامحه ، وبين لحمه ودمه ويلزم أن يكون الحكم بقيمة العمل ، مبنياً على فهم دلالته لا على تحليل شكله فحسب » [٣] .

ولقد أوقع « الطغرائى » نفسه فى هذا المحظور حين استند إلى معرفة جزئية ، لا أقول خاطئة ، بل أقول ناقصة تمثلت فى اعتبار الشمس منحطة عن زحل ، ولا دليل على هذا « الانحطاط » الا خيال بعيد عن روح العلم إنَّ فكرة (انحطاط الشمس عن زحل) هذه بعيدة عن روح العلم ،

---

(١) طرائف علم الفلك ، ص ٤٤ - ٤٥ ، ف . كوماروف . ترجمة عبد الله حبة ، دارمير ، موسكو ١٩٨٥ م

(٢) التفسير العلمي للأدب ، د . بيار رعب ص ٣٥ . مركز الثقافى الجامعى ، القاهرة ، ١٩٨٠

(٣) الدراسة العلمية للأدب ، ص ٢٠٥ .

وتبع الشاعر فيه قراؤه ونقاده ، وقد نتج ذلك من جزئية في التفكير توهم أنها مستندة الي دليل من العلم .

ولا غضاضة علي الشاعر أن يستخدم الإشارات إلى العالم ، ولكن «الظاهرة الطبيعية ينبغى أن تحمل من روح الشاعر وعاطفته ما يجعلها تنفصل عن وجودها الموضوعى المحدد »[1] ، وهذا مالم يفعله الطغرائى ، ويقول رتشاردز :

« إن الاشارات الوصفية إلى العالم جزء من العمل الشعري شأنها شأن وزنه ، أو الصور المتضمنة فيه ، ومن ثم يصبح بطلان هذه الإشارات - فى بعض القصائد - مضاداً لقيمتها الجمالية شأنه شأن الوزن المكسور أو الصورة غير الملائمة »[2] .

إنَّ بطلان الإشارة الوصفية في بيت « الطغرائي » للشمس وزحل ، قد بدت ظَلَعًا فى قصيدته ، ومن أسف أن هذا الظلع عينه كان موطن الاعجاب وبيت القصيد في نظر النقاد وعلى مدى قرون متطاولة .

إن صورة الشمس وزحل فى القصيدة صورة ثابتة ، بعيدة عن النمو وهذا عيب آخر فيها ؛ لأنها بعيدة عن عاطفة الشاعر : « ونمو الصورة مصدره عاطفة الشاعر ، وروحه الحية ، وبعبارة أخرى يمكننا أن نقول أن الصورة الثابتة قد سيطرت عليها الألفاظ بحيث أنها خضعت لمعنى واحد أما الصورة النامية فهى التى سيطرت على الألفاظ ، فبزيادة نموها فى نفس القارئ المستجيب تكتسب الألفاظ معانى جديدة .[3]

---

(١) دراسات فى الشعر والمسرح ، ص ٢٥ .

(٢) التفسير العلمى للأدب ، ص ٥٩ .

(٣) دراسات في الشعر والمسرح : د . محمد مصطفى بدوي ، الاسكندرية ، ١٩٧٩ ، ص ٢٧ .

وقبل « الطغرائي » بمئات السنين أنشد الأعرابى شعراً في الشمس ، ممتدحا إياها شاكرا أياديها مصوراً فضلها ، فانظر كيف صور ذلك في صورة نامية فيها من عاطفة الشاعر أكثر مما فيها من عقله ، بل ليس فيها من العلم إلا ماكان من الرؤية المباشرة لإنسان الصحراء ، قال :

مُخَبَّـــأةٌ أمَّـــا إذَا الليْـــلُ جَنَّهَـــا
فَتَخفَى ، وأمــا بِالنَّهَــارِ فَتَظْهَــرُ

إِذَا انْشَقَّ عَنْها سَاطِعُ الفَجْرِ وانْجَلَى
دُجَى الليْلِ وانْجَابَ الحجَابُ المُسَتَّرُ

وألبِــسَ عرضُ الأرْضِ لَوْنــاً كأنَّــهُ
علَـى الأفــقِ الغَرْبــيِّ ثَــوْبٌ مُعَصْفَرُ

تَجلَّتْ سَــرِيعاً حِينَ يَبْــدُو شُعَاعُهَــا
ولَــمْ يَبْــدُ لِلعَيْــنِ البَصِــيَرةِ مَنْظَــرُ

عَلَيْهَــا كَــدِرْعِ الزَّعْفَــرَانِ يَشُوبُــهُ
شُــعَاعٌ تَــلألأَ فَهْــوَ أَبْيَضُ أصفَرُ

فَلَمَّا تَجلَّت وَابْيَضَّ مِنْهَا اصْـفِرَارُهَـا
وَحَالَــتْ كَمَــا حَــالَ الوِشَاحُ المُشَهَّرُ

وَجَلَّلَــتِ الآفَــاقَ نُــوراً فَأَصْعَـدَتْ
بحَــرٌّ لَــهُ صَــدْرُ الشَّجِي يَتَسَــعَّرُ

تَرَى الظِّلَّ يُطوَى حِين تَبْدُو وتَــارَةً
تَــرَاهُ إذَا زَالَــتْ عَلَــى الأرْضِ يُنْشَــرُ

كَمَــا بَـدَأَتْ إِذْ أَشْــرَقَتْ بِطُلُوعِهَــا
تعـودُ كمــا عــادَ الكبيــرُ المعَمَّــرُ

وتُلْنَـــفُ حـــتًّ مايكـــادُ شُـــعَاعُهَا
يَبِـــينُ إِذَا وَلَّـــتْ لِمَـــنْ يَتَبَصَّـــرُ
فَأَفْنَتْ قُرُونَاً وَهْـى إِذْ ذَاكَ لَمْ تَـــزَلْ
تَمُـوتُ وتَحَيّـا كُلَّ يَـومٍ وتُنْشَرُ(١)

فهذه صورة نامية تبدو فيها " حياة الشمس " ساطعة مؤثرة فى نفس القارئ ، كما أثرت فى نفس الشاعر فأبدعت هذه القطعة الجميلة ، بعكس "انحطاطها " فى شعر "الطغرائى " الذى قصد منه امتداحها كما قصد الأعرابى أيضاً .

ولايخفى أنه لايحق للناقد أن يقارن بين الصورتين مقارنة كاملة لما بينهما من تباين فى السياق ، ولكنى قصدت أن أبين الفرق بين الصورة النامية والصورة الثابتة وكذلك أثر العلم فى قصيدة " الطغرائى " فى مقابل أثر العاطفة فى نفس الأعرابى وقصيدته .

وأعود فأقول إن العلم العربى لم يكن على ضلال ، بقدر ماكانت الروح العلمية مفتقدة فى البيئة العربية ، وسأدل على ذلك بهذا النص الذى ورد فى شرح الصفدى قال :

" إن الشعاع الخارج من العين إذا اتصل بجسم صقيل وهو الماء أو غير ذلك لم يثبت عليه "(٢) .

فقد ورد هذا النص على لسان الصفدى برغم ما نقرأ فى كتابه أنه قد رأى "كتاب المناظر" "لابن الهيثم "(٣)، ونحن نعرف أن "ابن الهيثم" قد أبطل النظرية القديمة التى كانت تعد الشعاع الذى بواسطته يرى الإنسان خارجا من العين ، فأثبت أن العكس هو الصحيح ، وأن الشعاع يكون

---

(١) الغيث المسجم ، ص ٢٣٥ .   (٢) الغيث المجسم ، جـ٢ ، ص٢٥٣ .
(٣) الغيث المجسم ، جـ١ ، ص٨٧ (القاهرة) قال الصفدى : وهو فى سبعة أجزاء ، وانظر الملحق التالى

منعكسا من الجسم المرئى ، ولهذا لايرى الإنسان فى الظلمة ، وقد وصل ابن الهيثم إلى ذلك بعد إجراء تجربة فى حجرة مظلمة .

ولقد يحق لى أن أقول ان جمود العلم العربى ، هو جمود للابداع العربى ففى الفن كما فى العلم ، يلزم تطور للأفكار فمصدر كل منهما واحد ، " فإن هناك تطوراً متوازيا ومتقاربا جدا للأفكار العلمية والأفكار الفنية "(١) .

وإذا كان واقع الشعر العربى على مدى قرون متطاولة يؤكد جمود الخيال العربى إلى حد كبير ، فإن هذا الجمود هو نفسه الذى أثر على العلم العربى ، حيث يرى العلماء المعاصرون ارتباطاً بين الخيال فى إبداع العلم والخيال فى إبداع الفن ، يقول عالم الفزياء المعاصر ، دولف راير :

" يلعب الخيال تماماً كما يفعل التفكير العقلاني المنطقى دوراً رئيسيا فى أية فعالية إبداعية ، وقد أجريت عدة دراسات للخيال الإبداعى من قبل علماء النفس خاصة ، وتم التمييز بين نوعين مختلفين من التفكير :

النوع الأول : ويسمى التفكير A وهو الذى يشتمل على الرؤى والهلوسة والأحلام والكوابيس وما شاكلها من الصور التى تظهر فى الواقع تحت تأثير الحالات الذهانية .

النوع الثانى : ويسمى التفكير B وهو الذى يشتمل على الأنماط النقدية والمنطقية من التفكير . ويبدو أن تداخل هذين النوعين من التفكير مسئول عن النتاجات العلمية والفنية كليهما . "(٢)

فإذا كانت مصادر الإلهام والخيال سواء الواعية منها أو الأقل وعيا ، هى مصدر العلم والفن جميعاً ، فإن هذه المصادر قد أصبحت فى وضع

---

(١) بين الفن والعلم ، تأليف دولف راير . ترجمة . د. سلمان الواسطى ، دار المأمون ، بغداد١٩٨٦م ، ص١٨

(٢) بين الفن والعلم : ص١٩ - ٢٠ .

شديد العجز والتراجع فى الواقع العربى على مدى قرون .

وروى " الصفدى " فى كتابه هذه الرواية التى ربما تكون ذات مغزى فى هذا السياق قال : " وكان " شمس الدين محمد " شيخ الربوة المعروف " بابن أبى طالب " يقول : زعم بعضهم أن المقامات وكليلة ودمنة رموز فى الكيمياء ، سمعته يقول ذلك غير مرة ، ويزعمون أيضاً أن الصناعة (صناعة الكيمياء) مرموزة فى صورة البرابى وكل ذلك من شغفهم وكلفهم بحبها نسأل الله السلامة "[١] .

وفى نص آخر ما يصور عجز العقل العربى عن مجاراة الميراث العلمى العربى الذى أبدعه العلماء فى العصور السالفة، قال " الصفدى " : " ووجدت بعض من جرب وتعب فأقلقه الوجد، وظن أن جدها لعب، قد كتب على بعض مصنفات " جابر بن حيان " ، تلميذ " جعفر الصادق " :

هَــذَا الــذِى بِمَقَالِــه غَــرَّ الأَوَائِلَ وَالأَوَاخِــرْ
مَــا أَنْــتَ إِلَّا كَاسِــرٌ كَــذَبَ الــذِى سَمَّاكَ جَابِــر[٢]

ونحن نعلم أن " جابر بن حيان " قد توصل إلى بعض نتائج ، أو أنه ربما كان يسير فى طريق صحيح ، وترك مؤلفات أدرجت فى تاريخ العلم ، ومن أسف أن أمثال " الطغرائى " لم يستطيعوا أن يضيفوا شيئا إليها ، مما جعل من جاءوا بعد " الطغرائى " على تلك الحال من العجز التى صورها الناظم فى البيتين المذكورين[٣] .

---

(١) الغيث المجسم، جـ١ ، ص١٧ . (٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٣) ولعل تأثير المنطق مبكرا على العلم العربى قد أفسد فيه ، كما يمكن أن نستنتج من نص ورد أيضا فى كتاب " الغيث المسجم " قال " قيل أن (الجاحظ) ناظر " يوحنا بن ما سويه " فى هذه المسألة (لا تأكل السمك وتشرب اللبن) فقال " الجاحظ " : لايخلو الجمع بين السمك واللبن اما أن يكونا جميعاً متساويين أو متضادين ، فإن تساويا كان الجمع بينهما بمثابة استعمال الكثير من أحدهما ، وان تضادا كان كل واحد منهما يقوم بدفع ضرر الآخر ، فلا فائدة فى منع الجمع بينهما ، فقال ابن ماسويه : هذا البحث ما أعرفه ، ولكنى متى جمعت بينهما انفلجت ! . هـ . (الغيث جـ١ ص١٣١ (القاهرة) . فواضح من هذا أن طريق ابن ما سويه الطبيب غير طريق الجاحظ المنطقى ، إذا صح ان الجاحظ هو الطرف الثانى فى هذه المناظرة ولعل هذه كانت مقدمة منطقية - وان كانت مبكرة جدا - لمستقبل العلم العربى .

ولعل هذه الإطالة أن تكون قد حققت ما هدفت إليه من بيان الارتباط بين القصور فى الفن والقصور فى العلوم فى تاريخ الإبداع العربى ، حتى لانظلم الذوق العربى ، الذى هو نتيجة للخبرة الجمالية التى جمعت بين صورة هذا العلم ، وصورة الفن الذى أبدعه العقل العربى .

• • •

(٤)

ذوق الاختيـــــار :

إذا كان اختيار المرء قطعة من عقله ، فإن ما وقع فى الشروح من اختيارات هو خير معبر عن الخبرة الجمالية لدى الشراح ، وقد اتفق لهم اعجاب ببعض الشعراء ، واختلفوا أيضاً فى النظر إلى الشعر شيئاً من الاختلاف باختلاف الثقافة أو المهنة .

وأول ما يلفت من اختيار الشراح هو اتفاقهم على الإعجاب بشعر كل من "المتنبى" و "أبى العلاء" ، فقد دأب "الصفدى" وأتباعه من الشراح (الذين لخصوا شرحه أو استفادوا منه) على إيراد شعر "أبى الطيب" بصورة لافتة ، كذلك يلاحظ حضور شعر " أبى العلاء " فى شرح "الصفدى" وشروح أخرى ، أما الفقهاء فقد اتفقوا مع الآخرين فى الإعجاب "بالمتنبى" و " أبى العلاء" ، وانمازوا عنهم بايراد شعر كثير " لعلى بن أبى طالب " والإمام "الشافعى" .

ولقد أشرنا فى الفصل السابق الى تدقيق "الصفدى" فى رواية شعر كل من الإمام "الشافعى" و "على بن أبى طالب" أما غيره من الشراح فقد دأبوا على إيراد شعرهما من دون تمحيص غالباً .

ولعل انتساب كل من "ابن مبارك" و "ابن خضر" إلى المذاهب الفقهية واشتغالهما بالفقه يفسر وجود شعر الإمام الشافعي كثيراً فى

شرحهما ، أما "ابن مبارك" فقد كان يصرح بذلك الانتساب لمذهب الإمام الشافعي فيروى شعره قائلا : ولإمامنا "الشافعى" ، ثم يورد شعرا كلما حانت مناسبة لذلك .

ومن ذلك قوله فى التعليق على البيت الرابع :

نَاء عَنِ الأَهْلِ صِفْرُ الكَفِّ . . . الخ "

ولإمامنا الشافعى رضى الله عنه :

عَلَىَّ ثِيَابٌ لَوْ يُبَاعُ جَمِيعُهَا
بِفَلْسٍ لَكَانَ الفَلْسُ مِنْهُنَّ أَكْثَرَا

وَمَا ضَرَّ نَصْلَ السَّيْفِ إِخْلاقُ غِمْدِه
إِذَا كَانَ عَضْباً حَيْثُ وَجَّهْتَهُ بَرَى[1]

وفى تعليقه على البيت :

٩- وَالدَّهْرُ يَعْكِسُ آمَالِى . . . .الخ

قال : " ولإمامنا الشافعى" (رضى الله عنه) :

يَالَهْفُ نَفْسِى عَلَى مَال أُفَرِّقُهُ
عَلَى المقِلِّينَ مِنْ أَهْلِ الْمُرُوءَاتِ

إِنَّ اعْتِذَارِى إِلَى مَنْ جَاءَ يَسْأَلُنِى
مَا لَيْسَ عِنْدِى مِن إِحْدَى الْمُصِيبَاتِ[2]

وهو فى نبذ العجم أيضاً[3] .

واختار "ابن خضر" من شعر "الإمام الشافعى" أيضاً، ومن ذلك قوله :

---

(١) نشر العلم ص ٨ .   (٢) نشر العلم ص١٢ .

(٣)نبذ العجم ص٦٦/ ظ ، ٦٧/ و .

وقـال " الإمـام الشـافـعى " - رضـى الله تعـالى عنه - ونفـعنا به وبعلومه آمين :

صَدِيقٌ لَيسَ يَنفَعُ يَوْمَ بَأسٍ   قَرِيبٌ مِنْ عَدُوٍّ فِي القِيَاسِ
وَمَا يَبْقَى الصَّدِيقُ بِكُلِّ عَهْدٍ   وَلا الإخْوَانُ إلَّا للتإسي
خَبِرْتُ الدَّهْرَ مُلْتَمِساً بِجَهْدِي   أخَا ثِقَةٍ فَأكْدَاهُ التَمَاسِي
تَنَكَّرَتِ البِلادُ عَلَيَّ حَتَّى   كَأنَّ أُنَاسَهَا لَيْسُوا بِنَاسِ (١)

وواضح أن شعر " الإمام الشافعي " كان منتشرا فى كتب الطبقات وكتب الفقه ، وواضح أيضاً اهتمامه بشعر الحكمة ، وفى هذا ما يدفع لاختياره غير مرة فى تلك الشروح .

كذلك دأب الشراح على إيراد شعـر "لعلي بن أبي طالب " ، قال " الطبري " : قال أمير المؤمنين " علي " - كرم الله وجهه -

شَيْئَانِ لَوْ بَكَتْ دَمَاً عَلَيْهِمَا   عَيْنَاكَ حَتَّى تُؤْذِنَا بِذَهَابِ
لَمْ يَبْلُغَا المِعْشَارَ مِنْ حَقَّيْهِمَا   فَقْدُ الشَّبَابِ وَفُرْقَةُ الأحْبَابِ(٢)

وجاء فى شرح " الصفدى " : " ومما ينسب إلى الإمام " على بن أبى طالب - رضى الله عنه :

كدَّ كَدَّ العَبْدِ إنْ آ   ثَرْتَ أنْ تُصْبِحَ حُرَّا
لاتَقُلْ ذَا مَكْسَبٌ يُزْرِي   سُؤَالُ النَّاسِ أزْرَى (٢)

وفى شرح " ابن مبارك " ، قال " أمير المؤمنين سيدنا " على بن أبى طالب " - كرم الله وجهه :

رَضِينَا قِسْمَةَ الجَبَّارِ فِينَا   لَنَا عِلْمٌ وَلِلجُهَّالِ مَالُ

---

(١) حل المبهم والمعجم ص٢٦/ ض

(٢) الغيث المسجم ، جـ٢ ، ص٤٣ .

فَإِنَّ الْمَالَ يَفْنَى عَنْ قَرِيبٍ ... وَإِنَّ الْعِلْمَ بَاقٍ لَا يَزَالُ(١)

وجاء في شرح " جلال بن خضر " : قال " على بن أبى طالب " - كرم الله وجهه - :

إِنَّ الْمَكَارِمَ أَخْلَاقٌ مُطَهَّرَةٌ ... فَالْعَقْلُ أَوَّلُهَا وَالدِّينُ ثَانِيهَا
وَالْعِلْمُ ثَالِثُهَا وَالْحِكْمُ رَابِعُهَا ... وَالْجُودُ خَامِسُهَا وَالْعُرْفُ سَادِيهَا
وَالْبِرُّ سَابِعُهَا وَالصَّبْرُ ثَامِنُهَا ... وَالشُّكْرُ تَاسِعُهَا وَاللِّينُ عَاشِيهَا
وَالنَّفْسُ تَعْرِفُ أَنِّي لَا أُصَدِّقُهَا ... وَلَسْتُ أَرْشُدُ إِلَّا حِينَ أَعْصِيهَا
وَالْعَيْنُ تَعْرِفُ فِي عَيْنَيْ مُحَدِّثِهَا
إِنْ كَانَ مِنْ حِزْبِهَا أَوْ مِنْ أَعَادِيهَا(٢)

وواضح ما فى هذه القطعة من تلفيق ، إذ يبدو نسيج الثلاثة الأبيات الأولى أوهن من نسيج البيتين الأخيرين ، وبرغم ذلك أثبتها الشارح غير شاك فى صحتها ، فاختياره تعبير عن ذوق لاعن تمحيص ونقد .

هذا عن تأثير المهنة والثقافة فى الاختيار ، أما تأثير البيئة فواضح فى تعلق بعض الشراح بشعر معاصريهم أو مواطنيهم ، كما نجد فى شرح " أبى جمعة " الذى دأب على ايراد أبيات من مقصورة حازم القرطاجنى ، فقد ضرب مثلا لحسن التخلص بقوله :

" ومن أحسن ماورد فى ذلك قول " أبى الحسن حازم بن محمد الأنصارى القَرْطَاجَنِّي " - رحمه الله تعالى -فى مقصورته التى مدح بها المستنصر :

ضَنَّتْ بِمَبْذُولِ الْقِرَى مِنَ الْكَرَى ... كَيْ لَا أَرَى طَيْفاً لَهَا إِذَا سَرَى

(١) نشر العلم ، ص٤٨ .
(٢) نبذ العجم ، ص٧/ و ، ٧ط . وانظر الغيث المسجم حيث روى البيت الأخير : والعين تعلم من عينى محدثها . . . الخ ، حـ٢ ، ص٣٩٦ .

فَلَوْ تَجُودُ قَدْرَ مَاضَنَّتْ حَكَتْ   جُودَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُرْتَضَى

وقد علق على البيتين بما يدل على إعجابه ، قال :

" ألا ترى كيف انسل من النسيب الى المدح بوجه لطيف حيث راعى الملاءمة بينهما بتشبيه ما يفرض من جود محبوبته ، وإن كان ذلك أقل القليل فى حالة النوم بجود أميره الفائض عليه حتى انغمس فيه "[١] .

ثم عاد فى تعليقه على البيت :

١٣- وَالرَّكْبُ مِيلٌ عَلَى الأَكْوَارِ . . . الخ

فقال : " فهو نشوان من مواصلة السهر ، وهذا مثل قول أبى الحسن حازم الأنصارى :

أَلْوَتْ بِكُلِّ مُعْتَزِمٍ كَأَنَّمَا   قَدْ لُوِيَتْ أُصُولُهُ عَلَى لِوَى[٢]

مِنْ كُلِّ سَاهِي الطرف مَغْشٍ عَلَى   فُؤَاده مِنْ كَثْرَة الْوَجْدِ غَمَى

تَمَلْمَلُوا فَوْقَ ذُرَى أَكْوَارِهِمْ   كَأَنَّمَا بَاتُوا عَلَى حَدِّ الْمُدَى[٣]

وواضح أنها من مقصورته المذكورة ، ثم عاد مرة ثالثة فى التعليق على البيت :

٢٦- لعل المامه . . . الخ .

فقال : " قال " أبو محمد القاسم بن على الحريرى " – رحمه الله – : بذر الهوى طموح العين ، ومثله قول " أبى الحسن حازم الأنصارى " :

أَخَذْتِ قَلْبِي دُونَ طَرْفِي فِي الْهَوَى

ظُلْماً بِمَا قَدْ جَرَّ طَرْفِي وَجَنَى

---

(١) إيضاح المبهم ، ص٣٢/ و .   (٢) فى الأصل المخطوط ، أصله بدل أصوله .

(٣) إيضاح المبهم ، ص٤٠/ ظ .

وَلَـــمْ تَكُــونِي كَمُــداوِي العُرِّ

إِبْــرَاءِ مَالَــمْ يَكْــوِهِ بِمَــا كَــوَى

ألا ترى كيف نسب الذنب إلى الطرف ، وأنه هو الذى أوقع القلب في ذلك فكان الاولى بحقها أن تأخذه ، لأنه المتسبب الأول فى الجناية ، لكنها أخذت القلب الذى كان بريئاً فى الأصل ، فلهذا جعل صدها له ظلماً ، وقوله ولم تكونى كمداوى العر أى مثل المداوى لهذه العله حتى يبرأ طرفى لما أخذت قلبى بذنبه لكنك أخذتيهما معا ، والعُرّ قرح لعضلات الإبل فى أعناقها تزعم العرب أن لا دواء له أنفع من أن تكوى الصحاح في مشافرها فتبرأ المرضى .(1)

وكما دأب أبو جمعه على ذكر شعر " حازم القرطاجنى " ، دأب " جلال بن خضر " على ذكر شعر " ابن الفارض " طوال شرحه للمقطع الغزلى من قصيده " الطغرائي " ، وقد يوحى هذا الاختيار بميول صوفيه عند الشارح ، إلا أن اللافت فيها أننى وجدته عند شرح بيت الطغرائى :

٢٤ - يَقْتُلْنَ أَنْضَاءَ حُبٍّ .... إلخ

يقول : " وما أحسن غراميات ابن الفارض " -رحمه الله -فى قصيدته :

مَالِي سِوَى رُوحِي وَبَاذِلُ نَفْسِهِ ... فِي حُبِّ مَنْ يَهْوَاهُ لَيْسَ بِمُسْرِفِ

فَلَئِنْ رَضِيتِ بِهَا فَقَدْ أَسْعَدْتِنِي ... يَاخَيْبَةَ الْمَسْعَى إِذَا لَمْ تُسْعِفِ

وقال : " جرير " :

إِنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ ... قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْلاَنَا

يَصْرَعْنَ ذَا اللُّبِّ حَتَّى لاَ حَرَاكَ بِهِ ... وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانَا(2)

فكأنه حينما سمى أبيات ابن الفارض " غراميات " وذكر بعدها

---

(1) إيضاح المبهم ، ص ٧٠ / ظ .
(2) نبذ العجم ، ص ٩٨ / ظ .

بيتى " جرير " قد كشف عن فهمه للشعروأنه مجرد غزل يستوى فيه قول " جرير " مع قول ابن الفارض " وهذا عجيب منه .

●●●

(٥)

تباين الاختيارعند الصفدي :

أما " الصَّفَدي " فيبدو تأثير البيئة الادبية فى اختياره واضحاً فى نواح متعددة ، فقد دأب على إيراد شعر المصريين رالشوام من شعراء القرنين السادس والسابع وشعر معاصريه كذلك فى القرن الثامن ، وكذلك شعر االفقهاء وخاصه " ابن سيد الناس " أستاذه وشعر " ابن دقيق العبد " الذى ذكرنا قطعه من شعره في الفصل السابق ، ويلفتنا في كتاب الصفدى " ميله إلى إيراد شعر المجون " لابن حجاج " وغيره ، بل انه دأب على نظم له فى المجون أيضاً ، لا أظن أننا بحاجة إلى ذكر أمثلة منه .

وظاهرة أخرى تمثلت فى دأب " الصفدى " على ذكر شعر به ألفاظ منافية للذوق السليم ، من عجب أن المجالس الخاصه فى عصره كانت تموج بالحديث فى هذه الأمور من اللواط والغزل بالغلمان وغير ذلك ، مما دفع « الصفدى » إلى نظم شعر ترد فيه ألفاظ ومعان خارجة على الذوق السليم ، ولكنه ذوق عصر بأكمله فلا نستطيع أن نحكم بأنه ذوق خاص «بالصفدى » وان كنا لا نبرئه ، لأنه لم يكن بحاجة إلى ذكرها فى كتابه ، ولا حاجة بنا إلى ذكر أمثلة من هذا الشعر ، إلا أن نجتزئ بمثال من نوع آخر قد يعبر عن جانب من ذوق الوسط الذى كان « الصفدى » يعجب به كثيراً قال :

« قبل لبعض العشاق ما تتمنى فقال : أعين الرقباء وألسنة الوشاة

وأكباد الحساد وأخذ بعضهم هذا ونظمه فقال :

قَالَ لِي عُوَّدِي غَدَاةَ أتَوني ... مَا الَّذِي تَشْتَهِيهِ وَاجْتَهَدُوا بِي

قُلْتُ مَقْلِيَّ فِيهِ لِسَانُ وُشَاةٍ ... قَطَّعُوهُ فِيهِ بِصُنْعٍ عَجِيبِ

وَأُضِيفَتْ إِلَيْهِ كَبِدُ حَسُودٍ ... فُقِئَتْ فَوْقَهَا عُيُونُ رَقِيبِ [(١)]

ومن عجيب أمر « الصفدى » أنه قد ذكر في كتابه كثيرا من الاختيارات الجيدة من شعر الجاهليين والإسلاميين كما كان رائد الشراح فى اختيار شعر « المتنبى » و « أبى العلاء » ، وجمع كل ذلك الى ما ذكرنا من ميله إلى شعر المجون وألفاظ كثيرة يمجها الذوق السليم كما قلنا .

كما يلفت النظر إعجاب « الصفدى » بالبديع إعجاباً بالغاً ، وهذا أيضا مما تأثر فيه بذوق عصره ، ولقد تنبه إلى ظاهرة جمع « الصفدى » بين المتناقضات أحد الباحثين فقال فيه : « هو من ناحية بديعى يحب البديع ويتحمس له ، فيكثر منه ويتمحله ، وهو من ناحية أخرى رجل ذوق وطبع يفهم تاريخ وطبيعة البلاغة والأدب والنقد حق الفهم »[(٢)]

وكثير من صفحات كتاب « الصفدى » تشهد بهذا التباين فى الذوق ، إذ جمع القبيح والحسن فى سلة واحدة ، وليس أدل على ذلك من إهانته للبيت الذى عده بيت القصيد « وتغزل » فى حسنه كما بيناه اذ قال : «وكلفت تضمينه فى من يعلوه عبد فقلت :

رَأَيْتُهُ تَحْتَ عَبْدٍ بَاتَ يَرْهَزُهُ ... فَقُلْتُ تَرْضَى بِذَا قُبِّحْتَ مِنْ رَجُلِ

وَكَيْفَ يَعْلُوكَ عَبْدُ السُّوءِ ، قَالَ : نَعَمْ

---

(١) الغيث المسجم ، جـ ٢ ، ص ١٣٨ - ٢٣٩ .

(٢) النقد الأدبى فى العصر المملوكى : د. عبده عبد العزيز قلقيلة ، ص ١١٣ .

وليس بعد هذا دليل على ما تدنى اليه ذوق « الصفدى » [١]

وأخير نشير الي ذوق « الصفدي » فى حكمه على التشبيه ذكر قول «ابن الرومي » :

لاَ أَنْسَى لاَ أَنْسَى خَبَّازاً مَرَرْتُ بِهِ يَدْحُو الرُّقَاقَةَ وَشْكَ اللَّمْحِ بِالْبَصَرِ

مَابَيْنَ رُؤْيَتِهَا فِى كَفِّهِ كُرَةً وَبَيْنَ رُؤْيَتِهَا كَوْرَاءَ كَالْقَمَرِ

إلا بمقدارِ مَا تَنْدَاحُ دَائِرَةٌ فِى صَفْحَةِ المَاءِ يُلْقَى فِيهِ بِالحَجَرِ

وعلق بقوله « وهذا من التشبيهات العصم » [٢]

وفى تعليقه على الاستعارة ذكر « الصفدى » قول « أبى تمام » :

لاَ تَسْقِنِى مَاءَ المَلاَمِ فَإِنَّنِى صَبٌّ قَدْ اسْتَعْذَبْتُ مَاءَ بُكَائِى

قال : « انه قد استعار قبيحاً . . وما أحلى قول « الحسن بن وهب » : شربت البارحة على وجه الجوزاء فلما انتبه الفجر نمت ، فما غفلت حتى لحقنى قميص الشمس » [٣] .

وفى موضع آخر قال : قال " ابن قلاقس " :

إِمَاءُ القُدُورِ الرَّاسِيَاتِ لَدَيْهِمُ غُبَارَ القِرَى فِى كُلِّ يَوْمٍ طَوَامِثُ

انظر إلى هذه الاستعارة فى قوله إماء القدور الراسيات اذ يشبه القدور بالجوارى السود وفيه نقص من وجوه .

الأول : أنه لا تناسب فى ذلك لأنه ليس كل أمة سوداء .

الثانى : أن هذا الشكل مخالف لذلك الشكل لأن هذه مستديرة وتلك مستطيلة .

الثالث : عدم الإحساس ، ولكن لما رشح التشبيه بأن النار بمنزلة دم الحيض

---

(١) الغيث المسجم ، جـ ٢ ، ص ٢٥٩ . (٢) الغيث المسجم ، جـ ٢ ، ص ٢٤٨ .

(٣) الغيث المسجم ، جـ ١ ، ص ١٨٩ (القاهرة) .

لهن حسنت الاستعارة وصارت غاية فى البلاغة »[(١)]

وواضح أن ذوق " الصفدى " فى التشبيه والاستعارة ذوق حسى ، أثر فيه شيوع البديع ، والشكلية التى سادت النقد العربى نتيجة لانحسار الخيال فى دائرة ضيقة كما أوضحنا فى حديثنا عن الإبداع العربى فيما سبق [(٢)] .

● ● ●

(١) الغيث المسجم ، جـ ١ ، ص ٢٥٣ (القاهرة) .

(٢) ان النظرة الدقيقة للاستعارة تؤكد أنها ذات نسيج مختلف فى صياغتها كما أنها تستعصى على التحليل والشكلية التى نظر بها الصفدى للاستعارة ، ولهذا قال أحد الباحثين المعاصرين : « أن دلالة الاستعارة شئ نتذوقه واستقامتها يمكن أن ترى . . وفضلا عن ذلك نستطيع أن نستخلص عددا من الاستدلالات من قول حرفى على حين أن الأمر يختلف عن ذلك فى الكلام الذى ينطوى على استعارة ، فهذه العبارة مثلا (الطريق ثلجى) تسمح لنا بأن نستنتج أن الطريق سيكون زلقا ولكنك اذا قلت : ان فصلا من الطلبة خلية نحل من النشاط ، لا يسمح لك ذلك بأن تستنتج أن أفراده سوف يلدغونك اذا اعترضت طريقهم ، فالاستعارات شئ لا يمكن شرحه لأن تأثيرها مستمد من الصدمة التى تنشأ من مجرد قرنها (مقال بعنوان : الخيال وأقوال الفلاسفة ، ديفيد ثيوبولد منشور بمجلة ديوجين ، ترجمة فؤاد كامل ، عدد ٨ ، (القاهرة) ١٩٦٨ م ، ص ٤١ ، ٤٢ .


خاتمة

عرضت فى فصول هذا الكتاب ما ينبغى دراسته من أمور تتعلق باللغة والنحو والصرف والبلاغة والنقد والتذوق .

وقد قسمت كتابى إلى ستة فصول وتصدير وخاتمة ، وجعلت :

الفصل الأول : للحديث عن الشروح

الفصل الثانى : للحديث عن ظروف إنشاء اللامية وعلاقة الشاعر بالسلاجقة وبينت أنه قد أنشأ قصيدتين في ظروف خلعه من وظيفته ورجحت أن اللامية كانت الأخيرة فى ترتيب إنشائها ، ثم عرضت لكل شرح من الشروح التى تناولها البحث على حدة ، فتحدثت عن المؤلف وعن منهجه فى الشرح ، وعن علاقة كل شرح بالشروح الأخرى .

وأما الفصل الثالث (الاتجاه اللغوى والنحوى) :-

فقد قسمته إلى ثلاثة مباحث ، ففى المبحث الأول تعرضت لمباحث صرفية هى :-

أ - **القياس الصرفى** ، وبينت اضطراب مفهوم القياس عند النحاة والشراح .

ب - **الجمع** ، وقد رصدت ظاهرة الحديث على جموع القلة وجموع الكثرة وأيدت وجهة نظر الباحث المعاصر (محمد خليفة التونسى) فى اعتبار أن قاعدة جموع القلة وجموع الكثرة لا أساس لها .

جـ - **الإعلال والابدال** ، وقد ذكرت ما قرره اللغويون المعاصرون فى رفضهم صور للكلمات لم تنطق بها العرب .

وفي الاتجاه النحوى تحدثت عن :-

أ - **العامل** ، وبينت أن نحو الشارحين هو نحو السابقين لا جديد فيه ولا خصوصية له ، فقد اتبعوا آراء النحاة وسلموا بنظرية العامل ولم نجد لآراء « ابن مضاء » في " الرد على النحاة " صدىً فى الشروح .

ب - **القياس :** وقد تحدثت عن مفهوم القياس ، وكيف أربك القياس بعض معاصرى الصفدى فظنوا أن كلمة أبيات هى جمع بالألف والتاء ، وبينت أن من المعاصرين من يرى أن هذا القياس النحوى هو قياس مصنوع لا أساس له ، وأنه من ادعاءات النحاة .

جـ - **التعليل :** بينت كيف كان للمنطق تأثيره على التعليل كما أثر على القياس .

د - **ازدواجية الإعراب في بعض الأبيات ،** فبين البناء والإعراب حار اسم لا النافية للجنس فقد ظن النحاة - ومعهم بعض الشراح - أن الإعراب هو « الطريق السليم للوصول إلى المعنى » وهذا مخالف لما تقوله الدراسات اللغوية الحديثة ؛ لأن هذا التحديد هو فرض للقانون على اللغة .

هـ - **الإعراب المحلى والإعراب التقديري :** ويرى اللغويون المعاصرون أن هذا الإعراب المحلى مغالاة من النحاة فى تقدير أثر الإعراب ، وفى الإعراب المحلى خالف « ابن مضاء » رأى النحاة .

و - **معانى الحروف .**

ز - **مسائل الخلاف والمصطلحات النحوية :** وقد مال أكثر الشراح إلى رأى البصريين فى أكثر المسائل ، وكان أكثر الشراح اعتناءً بالخلافات النحوية " أبو جمعة " فى شرحه إيضاح المبهم .

ح - **الشواهد النحوية :** وقد تعرضت لما استشهد به الشراح من شواهد القرآن ، والحديث ، والشعر القديم ، وكان لجمال الدين بن مالك الفضل فى أنه أكثر من الاستشهاد بالحديث النبوى وقد حمدنا للشراح اتباعهم ذلك المبدأ .

ط - الاستدراك على الصفدى ، وقد بينت ما استدرك به بعض الشراح على " الصفدى " فى بعض مواضع الإعراب ، وقد ظهر تجنى " الدمامينى " عليه فى بعض المواضع ، وانتصر له آخرون .

وفي المبحث الثالث من الفصل الثالث : تعرضت لموضوعات لغوية منها الترادف وتعدد اللغات ، فحددت مفهوم الترادف كما قرره المحدثون وذكرت أمثلة من الترادف الذى جاء فى الشروح . وتعرضت للمعيارية والوصفية فى تحديد الدلالة ، فبينت كيف تحكمت معاجم "معينة " فى دراسة اللغة ، وأهمل الشراح " لسان العرب " ، وبحثت مسألة المعيار وتحكمه فى الاستعمال ، والعرف اللغوى ، وخضوع " الصفدى " لطريقة الحريرى المعيارية الصرفة ، ثم خضوع الشراح - كما أظن - لطريقة الصفدى بعدُ ، وعرضت للشواهد اللغوية ومنها شواهد القرآن والحديث ، وبينت كيف اقترب بعض الشراح من الشواهد الشعرية للمتأخرين على استحياء ، ثم ختمت ذلك الفصل بما انفرد به الصفدى من الإشارات اللغوية ومنها حديثه على اللحن ، كما أشار إلى استخدام بعض معاصريه لألفاظ معينة ، وكذلك الحقيقة العرفية كما ذكرنا فى استعمال كلمة عادة فى عرف الكتاب والناس من معاصريه .

وفى الفصل الرابع (الاتجاه البلاغى) : جعلت ذلك الفصل لدراسة مباحث البلاغة (المعانى و البيان والبديع) ففى مبحث المعانى تناولت الإسناد وعرفته ثم تناولت الحقيقة والمجاز العقليين ، ثم تناولت ما تحدث به الشراح عن الإيجاز من حذف وقصر كذلك تناولت حديثهم عن الالتفات والاعتراض والتتميم .

ثم انتقلت إلى مباحث البيان فعرضت لحديثهم عن التشبيه ثم الحقيقة والمجاز وبعد ذلك عرجت على الاستعارة ، وبينت كيف كانت نظرة

الشراح للاستعارة نظرة قاصرة ، تقرر قرب المستعار منه للمستعار له ، مما دفع الشراح إلى استهجان الاستعارات العميقة كما لمسنا فى تعليقهم على استعارة أبى تمام فى قوله :

لا تَسقِنى مَاءَ المَلامِ فإنَّنى   صَبٌّ قد استَعْذَبتُ مَاءَ بُكَائِى

وانتقلت إلى القسم الثالث من الفصل الثانى وهو البديع حيث تناولت فيه الأنواع التالية :

الجناس والمطابقة والمقابلة والتدبيج وإرسال المثل والتورية والاستخدام والجمع مع التقسيم ، والمذهب الكلامى وأخيرا لزوم مالا يلزم ، ولم تكن هذه المباحث هى كل ماتحدث فيه الشراح من البديع بل لعلها كانت أهم الأنواع البديعية التى تعرضوا لها مع ولعهم الشديد به ، وأوضحت كيف أصبحت تلك الألوان البديعية مجرد ملاحظات جزئية هشة ، وكيف سجن الشراح أنفسهم فى أسر البديع اختياراً لا اضطراراً كما قلت فى خاتمة الفصل الثانى

وفى الفصل الخامس (الاتجاه النقدى التقليدى) : تناولت قضية السرقات الشعرية ، وأوضحت كيف نظر الشراح إلى السرقة الشعرية نظرة قاصرة هى نفس نظرة النقاد القدماء غالباً ، ثم تناولت قضية اللفظ والمعنى ، وأوضحت نظرة الشراح لـ " المعنى " وكيف دفعهم البحث عن المعنى إلى نثر الشعر مما أبعدهم عن روح العمل الفنى فى أغلب الأحيان . بعد ذلك تناولت الوحدة الفنية والتجربة الشعرية وقد ربطت بينهما فى جزئية واحدة من البحث لما رأيته من ارتباط الشاعر بعمود الشعر ونهج القصيدة من ناحية وارتباطه بتجربة مزدوجة سميتها " أسطورة الشاعر " كما قال ييتس . بعد ذلك رصدت ما انفرد به الصفدى من نقد فى كتاب (الغيث المسجم) .

وفى الفصل السادس (الاتجاه التذوقى والجمالى) : تناولت مفهوم الذوق ، ثم تناولت اختيار الشراح لبيت القصيد فى اللامية ، وإجماعهم على قول الشاعر :

٤٦ - وإنْ عَلانِيَ مَنْ دُونى فَلا عَجَبٌ

لِى أُسْوةٌ بانْحِطَاطِ الشَّمْسِ عَنْ زُحَلِ

ثم ربطت بين ذلك الذوق وبين العلم العربى ، واستطردت إلى بيان العلاقة بين العلم والشعر وأوضحت كيف يكون الإبداع بعامة نتيجة من نتائج العقل الواعى والخيال فى العلم وفي الشعر سواء بسواء ، وتناولت ذوق الاختيار عند الشراح وأثر المهنة والبيئة الأدبية والثقافة فى ذلك الاختيار ثم بينت ما وقع فيه الصفدى من تباين في ذوقه بين السقوط في براثن البديع الفج والأدب الساقط وارتفاعه إلي ذروة التذوق في مواضع أخرى من اخياراته وأخيرا حكمه على الاستعارة والتشبيه وخضوعه لنظرة ضيقة شكلية تحصر الاستعارة وتبعد بها عن الآفق الرحبة والخيال الجامح الذى تهدف الاستعارة إلى شغل الذهن به .

●●●



ثبت المصادر والمراجع

ثبت المصادر والمراجع

أولاً : مصادر اللامية مخطوطة ومطبوعة :

١ - إيضاح المبهم من لامية العجم (لأبى جمعة) سعيد بن مسعود الصنهاجى الماغوسى ، نسخة مخطوطة محفوظة بمكتبة المعهد الدينى بدمياط تحت رقم ٤٠/ أدب .

٢ - تحفة الرائى للامية الطغرائى : لمحمد على المنياوى ، ط . الثالثة : المطبعة الأميرية ، بولاق ، ١٩٠٦ م

٣ - حل المبهم والمعجم فى شرح لامية العجم ، لعلى بن قاسم الطبرى ، نسخة مخطوطة محفوظة بمكتبة المعهد الدينى بدمياط برقم ٨٢/ أدب .

٤ - شرح لامية العجم ، لإبراهيم سند ، مطبعة الموسوعات بمصر ، ١٣٢٠ هـ

٥ - شرح لامية العجم ، ليوسف الشلفون (يوسف بن فارس الخورى) دون تاريخ أو مكان للطبع .

٦ - شرح لامية العجم : أبو البقاء عبد الله بن الحسين العُكْبَرى الحنبلى ، نسخة مصورة من مكتبة أوقاف الموصل منسوخة سنة ١٢٠٥ هـ ، وتقع في ١٧ ورقة .

٧ - الغيث المسجم في شرح لامية العجم ، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى ، نسختان مطبوعتان :

الأولى : في جزءين (٢ مجلد ٤١٨ + ٤١٥ صفحة) بالمطبعة الوطنية بالاسكندرية ١٢٩٠ هـ .

الثانية : في جزءين أيضاً (٢٧٩ + ٢٧٩ صفحة) مطبوعة بالقاهرة ١٣٠٥ هـ .

٨ - نبذ العجم عن لامية العجم : جلال بن خَضر الحنفى ، نسخة مخطوطة محفوظة بالمكتبة الأزهريَة برقم ١٨٧٥/ أدب وهي مكتوبة سنة ١٣٣٧ هـ نسخها على جلال .

٩ - نزول الغيث : بدر الدين (محمد بن أبى بكر المخزومى القرشى المعروف بابن الدمامينى)مخطوط مصور بدار الكتب / ٨٦٠ أدب

١٠- نشر العلم فى شرح لامية العجم ، جمال الدين (محمد بن عمر بن مبارك الحضرمي) بحرق اليمنى ، المطبعة الكاستلية ، سنه ١٢٨٣ هـ ، القاهرة .

ثانياً : المصادر والمراجع العربية :

١١- الإرشادات الجلية فى القراءات السبع من طريق الشاطبية : محمد محمد سالم ، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ١٩٧١م

١٢- أصول النحو العربى : د . محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة ١٩٧٨م

١٣- أضواء على لغتنا السمحة : محمد خليفة التونسى ، الكويت ١٩٨٦م

١٤- إعراب لامية الشنفرى : لأبى البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى ، تحقيق محمد أديب جمران ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٤م .

١٥- الأعلام : خير الدين الزركلى : الطبعة السابعة ، دار العلم للملايين (ثمانية أجزاء) بيروت ١٩٨٦م .

١٦- الإنصاف فى مسائل الخلاف ، لأبى البركات بن الأنبارى ، تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، ١٩٨٢م بدون مكان نشر .

١٧- الإيضاح : للخطيب القزوينى ، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجى ط . الرابعة دار الكتاب اللبنانى بيروت ١٩٧٥ م .

١٨- البلاغة تطور وتاريخ : د . شوقى ضيف ، الطبعة الخامسة ، القاهرة دار المعارف ١٩٨١م .

١٩- البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى : د. محمد أبو موسى ، القاهرة دار الفكر العربى ، بدون تاريخ .

٢٠- بين الفن والعلم : تأليف دولف رايسر ، ترجمة د. سلمان الواسطى دار المأمون ، بغداد ١٩٨٦م .

٢١- تاريخ الأدب العربى ، كارل بروكلمان ، الترجمة العربية ، جـ ٥ ، دار المعارف ، ١٩٧٧م .

٢٢- تجديد النحو : د . شوقى ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٥ م

٢٣- الترادف في اللغة : حاكم مالك الزيادى ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٠ م

٢٤- التعريفات : لأبى الحسن علي بن محمد بن على الجرجانى، المعروف بالسيد الشريف ، دار الشئون الثقافية بغداد ، ١٩٨٦م

٢٥- التفسير العلمي للأدب : د. نبيل راغب ، المركز الثقافى الجامعى ، القاهرة ، ١٩٨٠م .

٢٦- حديث الأربعاء : طه حسين ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ١٩٨٠م .

٢٧- دائرة الإبداع : د. شكرى محمد عياد ، دار إلياس ، القاهرة ١٩٨٧م

٢٨- دراسات في الشعر والمسرح : د. محمد مصطفى بدوى ، الإسكندرية ، هيئة الكتاب ط ٢ ، ١٩٧٩ م .

٢٩- الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، لابن حجر (أحمد) العسقلانى ، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٦م .

٣٠- دُرَّةُ الغَوَّاص في أوهام الخواص ، لأبى القاسم (محمد) الحريري ، دار نهضة مصر ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم القاهرة ١٩٧٥ م .

٣١- دفاع عن البلاغة : أحمد حسن الزيات ، عالم الكتب ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .

٣٢- ديوان أشعار الأمير أبى العباس (ابن المعتز) : تحقيق د . محمد بديع شريف ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٨ م .

٣٣- ديوان البحتري : تحقيق حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٢م

٣٤- ديوان حسان بن ثابت : تحقيق د . سيد حنفي حسنين ، دار المعارف القاهرة ١٩٨٣ م .

٣٥- ديوان ابن سناء الملك (تحقيق محمد إبراهيم نصر) ، دار الكاتب العربى ، القاهرة ١٩٦٩ م .

٣٦- ديوان صريع الغواني (مسلم بن الوليد) تحقيق د . سامي الدهان ، دار المعارف ط . ٢ ، القاهرة ١٩٧٠ م .

٣٧- ديوان ابن الفارض (عمر بن الفارض) : تحقيق د . عبد الخالق محمود ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٤ م .

٣٨- ديوان الطغراذي : الحسين بن على الأصبهاني ، مطبعة الجوائب ، القسطنطينية ١٣٠٠ هـ .

٣٩- ديوان المتنبي (أحمد بن الحسين) شرح عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٩٨٠ م .

٤٠- ديوان مجنون ليلى : تحقيق د . حسين نصار ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ١٩٧٩ م .

٤١- الرد على النحاة : ابن مضاء القرطبى ، تحقيق د . شوقى ضيف الطبعة الثانية ، دار المعارف ١٩٨٢ م .

٤٢- زهر الربيع فى المعانى والبيان والبديع : لأحمد الحملاوى ، الطبعة السابعة ، مطبعة الحلبى ، القاهرة ١٩٧١ م .

٤٣- سِرّ صناعة الإعراب ، لأبى الفتح عثمان بن جني الموصلى ، الجزء الأول ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، الحلبى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٥٤ م .

٤٤- الشخصية المصرية في الدراسات البيانية فى القرن السابع : د . مصطفى الصاوى الجوينى ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧٠ م

٤٥- شذا العرف في فن الصرف : أحمد الحملاوى الطبعة ٢١ ، مطبعة البابى الحلبى ، القاهرة ١٩٧٩ م .

٤٦- شرح بانت سعاد لابن هشام : الطبعة الثالثة ، مطبعة الحلبى ، القاهرة ١٩٥٦ م

٤٧- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار التراث ، القاهرة ١٩٨٠ م .

٤٨- شرح ديوان الحماسة ، للمرزوقى ، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٧ م .

٤٩- شرح ديوان المتنبى ، عبد الرحمن البرقوقى ، دار الكتاب العربى ، بيروت ١٩٨٠ م
٥٠- شرح عقود الجمان : لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى ، مطبعة البابى الحلبي ، القاهرة ١٩٣٩ م .
٥١- شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام ، تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، دار الثقافة ، القاهرة ١٩٦٠ م .
٥٢- شرح المختار من لزوميات أبى العلاء، لابن السيد البطليوسى، تحقيق د . حامد عبد المجيد، مطبعة دار الكتب القاهرة ١٩٧٠م
٥٣- شروح الشعر الجاهلي : د . أحمد جمال العمرى، دار المعارف ١٩٨٠م
٥٤- الشعر والشعراء : لابن قتيبة، تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف ١٩٨٢
٥٥- طبقات فحول الشعراء : لمحمد بن سلام الجمحى . تحقيق الأستاذ محمود شاكر ، مطبعة المدنى ، القاهرة ١٩٧٤م .
٥٦- الطغراتي : حياته وشعره ولاميته، د . علي جواد الطاهر، بغداد ١٩٦٥م .
٥٧- العمدة : لابن رشيق القيرواني ، تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٢ م .
٥٨- فض الختام عن التورية والاستخدام : صلاح الدين (خليل) بن أيبك الصفدى ، تحقيق د . المحمدى عبد العزيز الحناوي ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ١٩٧٦م .
٥٩- فقه اللغة : للثعالبى ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٠ م .
٦٠- فلسفة البلاغة : د . رجاد عيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٠
٦١- الفن ومذاهبه في الشعر العربى : د . شوقى ضيف ، الطبعة العاشرة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٨ م .

٦٢- فى النقـد والأدب ، إيليا الحاوى ، الجزء الأول ، الطبعة الرابعة ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ١٩٧٩ م .

٦٣- كتاب الحروف : للرمانى (على بن عيسى) تحقيق د . عبد الفتاح شلبى . دار الشروق ، جدة ١٩٨١ م

٦٤- كشاف اصطلاحات الفنون : للتهانوى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٦٣م .

٦٥- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون : حاجى خليفة ، دار العلوم الحديثة ، بيروت ، ١٩٨٢ م .

٦٦- لسان العرب ، لابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم) (ستة أجزاء) دار المعارف ، القاهرة ١٩٨١ م .

٦٧- اللغة العربية عبر القرون : د . محمود فهمى حجازى ، دار الثقافة القاهرة ، ١٩٧٨ م .

٦٨- اللغة العربية . . معناها ومبناها : د . تمام حسان ، هيئة الكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩ م .

٦٩- اللغة والنحو بين القديم والحديث : عباس حسن ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧١م .

٧٠- مجمع الأمثال : للميدانى (أحمد بن محمد) تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ١٩٥٥م .

٧١- المدارس النحوية : د. شوقى ضيف ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٧٦م .

٧٢ - مشكلة السرقات في النقد العربى : د . محمد مصطفى هدارة ، المكتب الإسلامى ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٨١ م .

٧٣- مشكلة المعنى في النقد الحديث : د . مصطفى ناصف ، مكتبة الشباب، القاهرة ١٩٧٦م .

٧٤- معجم مصطلحات الأدب ، د . مجدى وهبة ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، ١٩٨٦م .

٧٥- معجم المطلحات البلاغية وتطورها : د . أحمد مطلوب (ثلاثة أجزاء) مطبعة المجمع العلمى العراقى ، بغداد ، ١٩٨٣م

٧٦- مفتاح العلوم : للسكاكى ، الطبعة الأولى فى المطبعة الأدبية بمصر ١٣١٧ هـ

٧٧- مقامات الحريرى : أبو القاسم (محمد) الحريري ، دار الفكر ، القاهرة ١٣٢٦ هـ .

٧٨- معجم الأدباء : ياقوت الحموي ، ط . أحمد فريد رفاعى ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٣٨م .

٧٩- المطول علي التلخيص : للعلامة التفتازانى ، ط . تركيا ، مطبعة أحمد الثالث ، ١٣٣٠ هـ .

٨٠- من أسرار اللغة : د . إبراهيم أنيس ، الطبعة الخامسة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٥م .

٨١- نظرة فى قرينة الإعراب : د . محمد صلاح الدين بكر ، جامعة الكويت (حوليات كلية الآداب) ١٩٨٤م .

٨٢- النقد : د . شوقى ضيف (سلسلة الفنون الأدبية) دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠م .

٨٣- النقد الأدبى الحديث : د . محمد غنيمى هلال ، دار نهضة مصر ، القاهرة ١٩٧٩م .

٨٤- النقد الأدبى فى العصر المملوكى : د . عبده عبد العزيز قلقيلة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٢م .

٨٥- نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، تحقيق د . محمد عبد المنعم خفاجى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٩٨٠م

٨٦- النقد المنهجي عند العرب : د . محمد مندور ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، دون تاريخ .

ثالثاً : الدوريات والمجلات :

٨٧- مجلة الإكليل : صنعاء (العدد الأول ١٩٨٥م) ص ٢٠٨ ومابعدها)

٨٨- مجلة الثقافة العربية : عدد ٢ (تونس) مقال : اللغة العربية فى نيجيريا د . أبو بكر يلارمى .

٨٩- مجلة ديوجين (مصباح الفكر) عدد ٨ ، القاهرة ١٩٦٨ (اليونسكو) مقال بعنوان : الخيال وأقوال الفلاسفة (لديڤيد ثيوبولد ، ترجمة فؤاد كامل) .

٩٠- مجلة رسالة اليونسكو : عدد ٢٦٩ ، الطبعة العربية ، القاهرة ، مقال بقلم نويل بيريفز .

٩١- مجلة فصول : أ) المجلد السادس العدد الأول ، مقال : الأبعاد النظرية لقضية السرقات وتطبيقاتها في النقد العربى القديم ، د . محمد مصطفى هدارة ، القاهرة : ١٩٨٥م

ب) العدد الثانى ، من المجلد السادس ، مقال : جماليات القصيدة التقليدية ، د . شكرى محمد عياد ، القاهرة ١٩٨٥م .

جـ) العدد ٣ ، ٤ المجلد الرابع ، مقال : المصطلح البلاغى القديم فى ضوء البلاغة الحديثة . د . تمام حسان ، القاهرة ، ١٩٨٧م .

٩٢- مجلة الفكر العربي : عدد ٤٦ (السنة الثامنة) مقال : البلاغة العربية في أساس نشأتها ، د . عبد الحميد زراقط ، بيروت ١٩٨٦م .

٩٣- مجلة كلية البنات ، جامعة عين شمس ، مقال : تحديدات عربية للجمال ، د . أحمد كمال زكي ، القاهرة ١٩٦٤م .

٩٤- مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، مجلد ٧ : مقال (الدراسة العلمية للأدب : د: شكري محمد عياد، الرياض ١٩٨٠م

٩٥- مجلة مجمع اللغة العربية ، مجموعة القرارات العلمية (٣) د. إبراهيم أنيس ، القاهرة ١٩٦٣م .

٩٦- مجلة المورد : أ) العدد الثاني مج ١٤ ، مقال : النحو عند التبريزي د . عبد الحسين الفتلي بغداد ١٩٨٧م .

ب) العدد الأول مج ١٦ ، بغداد ١٩٨٧م .

٩٧- مجلة معهد المخطوطات العربية : جـ ٢ مج ٢٧ الكويت، ديسمبر ١٩٨٣م .

رابعاً : المراجع بلغة أجنبية :

1- D. C arlyle ; Specimens of Arabian Poetry, Cambridge, 2.ed London, 1840 .

2- J . R. Harmaswortyh : Dictionary of literary Terms , coles notes , Torino , 1968 .

مُلحَــــق

فهرس الكتب الواردة فى الشروح

ملحــــــق

فهرس عنوانات الكتب التى ذكرت فى الشروح

رأيت أن أجمع هذا الفهرست للكتب التي ورد ذكرها فى الشروح ، لما يمكن أن تدل عليه من دلالات ثقافية ، وأنبه على أن ليس كل كتاب ذكر هنا يعد مرجعا من مراجع الشراح ، وخاصة ماذكره الصفدي حيث كان يستعرض أحياناً مؤلفات واحد من الكتاب أو العلماء لمجرد أن يعرّف القارئ بها ، كما هى الحال عند استعراضه لكتب السهرودى .

ويلاحظ أن بعض هذه الكتب كان شائعاً فتكرر ذكره ، وبعضها كان مقتصراً على بيئة معينة أو عصر معين ، وأريد أن أنبه إلى أننى قد استنتجت اسم الكتاب أحيانا من نص لم يذكر الشارح فيه الكتاب صراحة ، كما هى الحال مع كتاب " الإنصاف " لابن الأنبارى ، وكتاب " نثر الدر في نقد الشعر " لابن جبارة ، ويبدو أن عدم ذكر اسم كتب النحاة المعاصرين له صراحة ، وكذلك لم يذكر أبو جمعة مؤلفات النحاة المعاصرين فى المغرب ، والسابقين فى الأندلس لما لهم من شهرة هناك كابن عصفور والسهيلى والشلوبين وغيرهم ،كذلك لاحظت غياب كتاب ابن مضاء «الرد على النحاة» وذكرت ذلك في صلب البحث .

وقد رتبت الكتب ترتيباً أبجدياً ثم ذكرت اسم المؤلف ورقم الصفحة التى ورد فيها من الشرح بحيث إذا تكرر ذكره فى شرح من الشروح ذكرته مرة واحدة غالباً .

وأوضحت فى هامش الصفحات ما طبع من هذه الكتب ، وبينت بقدر الإمكان ما هو مخطوط منها ، أما الكتب التى لم أتوصل لشئ بشأنها فقد تركتها غفلاً من أى بيان .

١ - أجناس التجنيس : أبو الوفاء صادق بن كامل (قال وهو بخطه٢٦٩ : الغيث المسجم جـ ٢ - ص ٢٩٦ .)

٢ - الأجوبة المسكتة : لابن عبد ربه (الغيث جـ ١ ص ٧٥)

٣ - إحياء علوم الدين [١] : أبو حامد الغزالى (نشر العلم ص ٦٦)

٤ - الأذكار : للنووى [٢] (نشر العلم ص ٦)

٥ - أساس البلاغة : [٣] للزمخشرى ، (إيضاح المبهم ص ٨٨/ ظ)

٦ - الاستبصار فى علم المناظر (مسائل) لشهاب الدين العراقى ، الغيث جـ ١ ص ٧٨ (القاهرة)

٧ - إسفار الصباح : بدر الدين بن النحوى (الغيث جـ ٢ ص ٢٤)

٨ - أسرار العربية [٤]: لابن الأنبارى (الغيث جـ ٢ ص ٧٣)

٩ - أسنى المنائح فى أهنى المدائح : (مجموعة شعرية للقاضى شهاب الدين أبى الثناء محمود (الغيث جـ ١ ص ٦٧) .

١٠ - أشرطة الساعة : للمحدث السخاوى (نبذ العجم ص ١٩ / و)

١١ - إصلاح المنطق [٥] . لابن السكيت (إيضاح المبهم ص ٨/ ظ)

١٢ - إعراب القرآن [٦] : لأبي البقاء العكبرى (قال : قال أبو البقاء فى إعرابه ، الغيث جـ ١ ص ٨٨ جـ ٢ ص ١٨٠) .

١٣ - الأغانى [٧] لأبى الفرج الأصبهانى (الغيث المسجم مواضع مختلفة وفي نبذ العجم ص ٤٣/ و)

---

(١) نشر فى مصر ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة عدة طبعات د . ت .

(٢) منه طبعات مختلفة .

(٣) طبعته دار الكتب المصرية ، الطبعة الأولى ١٩٢٢م . الثانية ١٩٧٣م .

(٤) طبع بريل بليدن سنة ١٨٨٦ م .

(٥) حققه أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف ١٩٧٠ م .

(٦) طبع فى تبريز بعنوان (التبيان فى إعراب القرآن) علي هامش تفسير الجلالين ١٨٦٠ م وفى القاهرة ١٣٢١ هـ .

(٧) أهم طبعاته طبعة دار الكتب المصرية ، وأكملتها هيئة الكتاب .

١٤- أمالي [١] ابن الشجرى : (الغيث جـ ٢ ص ٣٦٨)
١٥- الأنساب [٢] : للسمعاني (الغيث جـ ١ ص ٩)
١٦- الإنصاف [٣] : لابن الأنبارى (أبو البركات) (إيضاح المبهم ولم يشر له صراحة)
١٧- أنوار البروق : شهاب الدين القرافى (الغيث جـ ١ ص ١٠٧ ، القاهرة)
١٨- الأنيس والجليس : لابى الفرح المعافى بن زكريا (الغيث جـ ٢ ص ١٠٩) ، والجليس والأنيس (الغيث جـ ٢ ص ١٤٨) .
١٩- الإيضاح : للخطيب القزوينى [٤] : (إيضاح المبهم ص ٨ / ظ) .
٢٠- بشارة النيل : لمحيى الدين بن عبد الظاهر (الغيث جـ ٢ ص ٥٦)
٢١- تأسيس التقديس [٥] : للفخر الرازى (الغيث جـ ١ ص ١٣٣ ، القاهرة)
٢٢- تاريخ بغداد [٦] : للخطيب البغدادى (الغيث جـ ١ ص ٧٤)
٢٣- تاريخ حلب : لابن أبى طىّ (الغيث جـ ٢ ص ١٠٩) .
٢٤- تاريخ الذهبى الكبير [٧] : (أخذه الصفدى عنه قراءة ، الغيث ص ١٧٤)
٢٥- تاريخ مصر : لابن يونس (الغيث جـ ٢ ص ٣٦٩) .
٢٦- التذكرة الصفدية : [٨] : لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى (الغيث جـ ٢ ص ١٩٦ ، ٢٧٣) .

---

(١) نشرها كرنكو فى حيدر آباد ١٣٤٥ هـ ، ونشرها عبد المعين الملوحى ، وأسماء الحمصى فى دمشق ١٩٧٠ م .
(٢) نشره مرجليوث ١٩١٢ م ، طبع حجر ، بليدن .
(٣) طبع فى ليدن سنة ١٩١٣ م ، ونشره محمد محيى الدين عبد الحميد د . ت .
(٤) طبع محمد علي صبيح بالقاهرة ، ودار الكتاب اللبنانى بيروت ١٩٧٣ م .
(٥) مطبعة كردستان العلمية ، القاهرة ١٣٥٤ هـ .
(٦) مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٣١ - ٣٢ م ودار الكتب العلمية . بيروت د . ت
(٧) انظر دول الإسلام للذهبى ، طبع حيدر آباد : ١٣٢٧ هـ .
(٨) مايزال مخطوطاً ، ومنه بعض الأجزاء في دار الكتب المصرية (المكتبة التيمورية) ، الجزء السابع في ١٩١ ص رقم ١٩٠٥/ ١٩٣٥ .

٢٧- تذكرة الفارسى : لأبى علي الفارسى (الغيث جـ ١ ص ٩٨)
٢٨- التعليقة علي الحاجبية : للصفدى (فى النحو)(الغيث جـ ٢ ص ٣٣٥)
٢٩- التنبيه على حدوث التصحيف [١] : لحمزة الأصفهانى (الغيث جـ ٢ ص ٣٠٧)
٣٠- التوراة : الغيث جـ ٢ ص ١٠٣)
٣١- الجزولية : الجزولى (فى النحو) (إيضاح المبهم ص ٣٠ / د)
٣٢- جمهرة اللغة [٢] : لابن دُريد (إيضاح المبهم ص ١٠٥ / و)
٣٣- جنان الجناس [٣] : الصفدى (الغيث جـ ٢ ص ٤٠٩) .
٣٤- الحاجبية : لابن الحاجب (نحو) (الغيث المسجم جـ ٢ ص ٣٩٦) .
٣٥- حاشية الأمانى (كتاب في الفلك ؟) (ايضاح المبهم ٦٥ / و)
٣٦- الحاوى : للماوردى (الغيث جـ ٢ ص ٣٠)
٣٧- حسن التوسل إلي صناعة الترسل : شهاب الدين أبو الثناء محمود (الغيث جـ ٢ ص ٤٠٩)
٣٨- حل النواهد علي ما فى القاموس من الشواهد : للصفدى (إيضاح المبهم ص ٦١/ ظ)
٣٩- الخريدة [٤]: للعماد الأصفهانى (الغيث جـ ١ ص ١٠)
٤٠- الخلاصة [٥] : جمال الدين بن مالك (مواضع كثيرة من الغيث ، وإيضاح المبهم ص ٧ / ظ) .

---

(١) نشر فى دمشق ، بتحقيق محمد أسعد طلس ، مطبعة الترقى سنة ١٩٦٨ م .
(٢) طبع حيدر آباد ، الهند ١٣٤٦ هـ .
(٣) مطبعة الجوائب بالأستانة ، ١٢٩٩ هـ .
(٤) منها عدة أقسام مطبوعة (الجزء الأول والثانى من القسم الرابع) القاهرة ١٩٦٤ ، وإحسان عباس دار صادر ، بيروت .
(٥) نشر شرح الخلاصة ، لابن مالك فى فاس : المطبعة المولية ١٣٢٧ - ١٣٢٨ هـ .

٤١- درة الغواص [١] : للحريرى (الغيث جـ ٢ ص ٣٠٤) .
٤٢- ديوان الشريف الرضى [٢] (نبذ العجم جـ ١ ص ٨٣)
٤٣- الذخائر فى أحوال الجواهر [٣] (؟) (الغيث جـ ٢ ص ٣٠١)
٤٤- الذخائر والبصائر [٤] لأبى حيان التوحيدى (الغيث جـ ٢ ص ٣٠١)
٤٥- رأس مال النديم ؟؟ (أشار إليه فى الغيث جـ ٢ ص ٩٩ ، ويبدو أنه نقل منه كثيراً ولم يشر إليه) .
٤٦- ربيع الأبرار : للزمخشرى (نبذ العجم ص ٩٢ / و)
٤٧- رسائل إخوان الصفاء [٥] (الغيث جـ ٢ ص ٢٣٣) .
٤٨ - رسائل القاضى الفاضل : عبد الرحيم البيسانى (الغيث جـ ١ ص ٢٢٦ ، القاهرة)
٤٩- رسالة فى إبطال دعوى الذين يدعونَ صفة الذهب والفضة [٦] : الكندى (الغيث جـ ١ ص ١٤)
٥٠- رسالة فى إنكار صفة الكيمياء : لابن تيمية (الغيث جـ ١ ص ١٢)
٥١- رسالة الغربة الغربية [٧] (الغيث جـ ١ ص ٧٨)
٥٢- رسالة ماذكره فاضل بن ناطق عن الرجل المسمى بكامل : لعلاء الدين ابن النفيس ، رسالة عارض بها رسالة حى بن يقظان لابن

---

(١) طبع الجوائب ١٢٩٩ هـ ، وبتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم نهضة مصر ، القاهرة ١٩٧٥ م
(٢) تحقيق محدم محيى الدين عبد الحميد ١٩٤٩ م ، القاهرة ، مصطفى البابى الحلبى .
(٣) لابد أنه كتاب (نخب الذخائر فى زحوال الجواهر لجمال الدين محمد بن إبراهيم ابن ساعد الأنصاري مخطوط ، ١٣٣٨ ، ١١٢ تيموية طبيعيات ، دار الكتب المصرية .)
(٤) ربما كانت ضمن (رسالتان لأبى حيان ، القسطنطينية مطبعة الجوائب ١٣٠١ هـ)
(٥) نشرت بتصحيح خير الدين الزركلى ، القاهرة ، المطبعة العربية ، ١٢٩٨ هـ .
(٦) نشرت للكندى مجموعة رسائل فلسفية ، بعنوان رسائل الكندى الفلسفية بتحقيق محمد عبد الهادى أبو ريدة ط ٢ القاهرة ، دار الفكر العربى ١٩٧٨ م .
(٧) للسهروردى : نشرها عبد الرحمن بدوى فى كتابه « شخصيات قلقة فى الإسلام » ط ٣ ، وكالة المطبوعات ، الكويت ١٩٧٨ م ، وكذا يوسف زيدان فى الكتاب المذكور بعد هذا .

طفيل (الغيث جـ ٢ ص ٣٦٦)[١] .

٥٣- روائع الوقائع : لأسعد بن مماتى (الغيث جـ ٢ ص ١٧٥)

٥٤- الروض الأنف[٢] : السُّهَيلى (أبو القاسم) الغيث جـ ٢ ص ٢٩٥)

٥٥- الرّيحان والرّيعان[٣] : (الغيث جـ ١ ص ٢٥٨)

٥٦- زهر الآداب[٤] : للحصري القروانى (الغيث جـ ٢ ص ١٩٢) .

٥٧- السر المكتوم[٥] فخر الدين الرازى (الغيث جـ ٢ ص ١٩٠)

٥٨- سفر السعادة : علم الدين السخاوى (الغيث جـ ٢ ص ٣١٢) .

٥٩- السَيرة السلطانية : لابن شداد وهي سيرة صلاح الدين الأيوبى (الغيث جـ ٢ ص ٣٨٦)

٦٠- شرح الخلاصة : [٦] لابن الناظم ، بدر الدين محمد بن مالك (مواضع كثيرة من الغيث) .

٦١- شرح ديوان المتنبى[٧] : لابن جنى (الغيث جـ ١ ص ٢٦٥) .

٦٢- شرح الكافية[٨] : للرضى (إيضاح المبهم ص ٣٠/ و)

٦٣- شرح مختارات من البخارى : لابن أبى حمزة (الغيث جـ ١ ص ١٠٧ ، القاهرة)

٦٤- شرح المقامات[٩] : للمسعودى (الغيث جـ ٢ ص ٧٣)

---

(١) نشرها يوسف زيدان فى كتاب : حى بن يقظان : أربعة نصوص تراثية ، سلسلة الفلسفة والعلم ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ١٩٩٧ م .

(٢) طبع بمطبعة الجمالية بالقاهرة سنة ١٩١٤ م .

(٣) الريحان والريعان لأبى القاسم محمد بن إبراهيم بن خِيرة الإشبيلى ، و هو المعروف بابن المواعينى الإشبيلى ت/ ٥٦٤ هـ ، وهو مخطوط .

(٤) زهر الآداب وثمر الألباب ، طبعه زكى مبارك ، ١٣٤٤ هـ ، ١٩٢٥ م القاهرة .

(٥) مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢٩ ، غيبيات تيمور .

(٦) نشرت في بيروت محققة ، وانظر رقم (٤٠) السابق .

(٧) الفسر : ديوان المتنبى بشرح ابن جنى ، تحقيق د . صفاء خلوصى ، بغداد ١٩٧٠م .

(٨) نشرت الكافية لابن الحاجب فى دهلى ٣١٩ هـ ، نشرها محمد عبد الأحد الهندى .

(٩) دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت .

٦٥- شرح المرزوقى على الحماسة [١] : للمرزوقى (إيضاح المبهم هى١٥/ ظ)

٦٦- شرح النووى على صحيح مسلم [٢] : للنووى (الغيث جـ ١ ص ٦٢)

٦٧- الصحاح فى اللغة [٣] للجوهرى (الغيث جـ ٢ ص ٣٩٦ ، نبذ العجم ص ٨١/ ظ)

٦٨- صحيح البخارى [٤] : للإمام البخاري (نبذ العجم ص ١٥/ ظ)

٦٩- صحيح مسلم [٥] : للإمام مسلم (نبذ العجم ١٨/ ظ)

٧٠- طُرف المجالسة وملح المؤانسة : للكاتب الرئيس أبى عمرو عثمان بن أبى بكر بن يحيى المرابط (الغيث جـ ٢ ص ١٤٠)

٧١- العقد الفريد [٦] : لابن عبد ربه (الغيث جـ ٢ ص ١٩٧٩) .

٧٢- العمدة [٧] : لابن رشيق (الغيث جـ ١ ص ١١٣ القاهرة)

٧٣- فتح البارى بشرح صحيح البخارى [٨] : لشيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى (نبذ العجم ص ١٧/ ظ) .

٧٤- الفتوحات المكية [٩] : محيي الدين بن عربى (نبذ العجم ص ١٣/ ظ)

٧٥- فتوى الفتوة ومرآة المروة : جمال الدين الوطواط الكتبى (نقله الصفدى فى كتابه التذكرة : (الغيث جـ ٢ ص ٣١٢) .

٧٦- الفرج بعد الشدة : (؟) (الغيث جـ ١ ص ٢٤٩) .

---

(١) نشره أحمد أمين وأحمد الزين ، لجنة التأليف والترجمة ، ١٩٥٣ م .

(٢) طبع بالقاهرة بدون تاريخ .

(٣)طبع بولاق ١٢٨٢ هـ بتصحيح نصر الهورينى .

(٤) المطبعة الخيرية الطبعة الأولى ١٣٢٠ هـ ، القاهرة .

(٥) دار إحياء الكتب العربية القاهرة د . ت .

(٦) نشرة أحمد أمين وآخرون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٥ م ، القاهرة

(٧) نشره محمد محيى الدين عبد الحميد ، بيروت دار الجيل ١٩٧٢ م

(٨) دار المعرفة ، بيروت ، د . ت .

(٩) تنشره هيئة الكتاب ، بتحقيق الدكتور عثمان يحيى القاهرة ١٩٧٢ والسنوات التالية .

٧٧- الفلك الدائر على المثل السائر : لابن أبي الحديد (الغيث جـ ١ ص ١٨٦ ، القاهرة) .

٧٨- الكامل فى التاريخ [١] لعز الدين بن الأثير (الغيث جـ ١ ص ١٠)

٧٩- الكامل فى اللغة والأدب [٢] : لأبى العباس المبرد(إيضاح المبهم ص٩٥/ و)

٨٠- كتاب الأفعال [٣] : أبو بكر بن القُوطيَّة إيضاح المبهم ص ٣/ ظ)

٨١- كتاب الأفعال [٤] : لابن القطَّاع (ايضاح المبهم ص ٩٨/ ظ)

٨٢- كتاب الأذكياء [٥]: لابن الجوزى (الغيث جـ ٢ ص ٣٥٨)

٨٣- كتاب التذكرة فى الهيئة : [٦] الخواجة نصر الدين الطوسي (الغيث جـ ٢ ص ٢٣١)

٨٤- كتاب التاج [٧] : للجاحظ (نبذ العجم ٢٥/ و)

٨٥- كتاب لابن النحاس فى النحو (؟) (الغيث جـ ١ ص ١٩٦ القاهرة)

٨٦- الكافية [٨] : لابن الحاجب (ايضاح المبهم ص ٩٠/ و)

٨٧- كتاب الخيل [٩] : للأصمعى (الغيث جـ ٢ ص ٨٠)

٨٨- كتاب التنقيحات : لشهاب الدين السهروردى (الغيث جـ ٢ ص ٣٨٦)

---

(١) طبع فى المطبعة الأزهرية بالقاهرة ١٣٥٢ هـ ، وفى دار صادر بيروت ١٣٣٩ هـ)

(٢) نشرته دار المعرفة ، بيروت ، د . ت والمكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة د . ت .

(٣) طبع فى ليدن ١٨٩٤ م ، نشره جويدى .

(٤) كتاب أبنية الأفعال لابن القطاع ، لخص فيه ما عسر وانعقد من كتاب أبنية الأفعال لابن القوطية ، مخطوط ١٣ ش دار الكتب ، وانظر ترجمة تاريخ الأدب العربى لبروكلمان جـ ٥ ص ٣٤٦ ونشر كتاب ابن القطاع فى حيدر آباد ١٣٦٠ هـ .

(٥) المطبعة الميمنية بالقاهرة ، ١٣٠٦ هـ .

(٦) للطوسى كتاب منشور هو : شكل القطاع ، الأستانة ١٨٩١ م ، وكتاب مخطوط هو تحرير أصول الهندسة والحساب لإقليدس الصورى (خط يد ٧٠٣ رياضة) دار الكتب المصرية .

(٧) انظر ، رسائل الجاحظ ، بتحقيق عبد السلام هارون ، طبع الخانجى ، مصر ١٩٦٥ م

(٨) بولاق ١٢٦٢ هـ ، والهند ، طبع حجر ، ١٢٩١ هـ .

(٩) كتاب الخيل للأصمعى بدار الكتب المصرية ، ٤٨٢٠ هـ . وحققه أوجست هفنر ١٨٩٠ م .

٨٩- كتاب التلويحات : لشهاب الدين السهروردى (الغيث جـ ٢ ص ٣٨٦)
٩٠- كتاب حكمة الإشراق [١] : لشهاب الدين السهروردى (الغيث جـ٢ ص٣٨٦)
٩١- كتاب الهياكل [٢] : لشهاب الدين السهروردى (الغيث جـ ٢ ص٣٨٦)
٩٢- كتاب الروضة : للنووى (في الفقه) (الغيث جـ ١ ص ١٠٤ القاهرة)
٩٣- كتاب الصنائع : لابن مولاهم (الغيث جـ ٢ ص ٣٨٢) .
٩٤-- كتاب الصنائع لابن يعمر (الغيث جـ ٢ ص ٣٨٢)
٩٥- كتاب فى وصف الخيل : أنشأة شهاب الدين محمود(الغيث جـ١ ص٣٢)
٩٦- كتاب الكفاية : (؟) في اللغة (الغيث جـ ١ ص ٢٦٦)
٩٧- كتاب المجسطى : بطليموس (الغيث جـ ١ ص ٨٤ القاهرة)
٩٨- كتاب المذكر والمؤنث : لابن السكّيت (الغيث جـ ١ ص٢٤٨ القاهرة) (إيضاح المبهم ص ٧/ ظ)
٩٩- كتاب المغازى : لشمس الدين الذهبى (الغيث جـ ١ ص ٨٧ ، القاهرة)
١٠٠- كتاب المناظر : لابن الهيثم (فى سبعة أجزاء رآها الصفدى ، الغيث جـ ١ ص ٧٨ القاهرة)
١٠١- كتاب الهيئة : جابر بن أفلح (الغيث جـ ١ ص ٦٥)
١٠٢- الكشاف [٣] : للزمخشرى (الغيث ص ١٩٦ القاهرة) (إيضاح المبهم ص ٣٣/ ظ)
١٠٣- المباحث المشرقية [٤] : فخر الدين الرازى (الغيث جـ ١ ص١٢ ، ٥٨ القاهرة)

---

(١) نشره المعهد الفرنسى الإيرانى بطهران طبع ٤٣٣٠ هـ ١٩٥٢ م .
(٢) هياكل النور (القاهرة طبع ١٩١٧م) مطبعة السعادة ١٣٣٥ هـ (المكتبة التجارية الكبرى ١٩٥٧ بتحقيق محمد على أبو ريان) .
(٣) القاهرة ، ١٢٨١ هـ . ودار المعرفة ، بيروت ، د . ت .
(٤) حيدر آباد ١٣٤٣ هـ ، طهران ١٩٦٦م .

١٠٤- مثالب أهل البصرة : لأبى عبيد (الغيث جـ ١ ص ١٦٩ القاهرة)
١٠٥- المثل السائر : [١] لابن الأثير (الغيث جـ ١ ص ٢٥٠ القاهرة)
١٠٦- المحتسب [٢] : لابن جنى (الغيث جـ ١ ص ٧٩)
١٠٧- مجانى العصر : لأثير الدين أبى حيّان (سمعه منه الصفدى ، الغيث جـ ٢ ص ٣١٢)
١٠٨- المجمل فى اللغة [٣] : لأبى الحسن بن فارس (الغيث جـ٢ ص٣٠١)
١٠٩- المحرر : لفخر الدين الرازى (فى النحو) (الغيث ط ١ ص ٩٣)
١١٠- المحكم فى اللغة [٤] : لابن سيدة (الغيث جـ ٢ ص ٣٤٣ ، وإيضاح المبهم ص ٥٣/ و)
١١١- مختار ابن نباتة من شعر ابن الرومى (الغيث جـ ١ ص ١٦٠)
١١٢- مختار الخالدين من شعر ابن الرومى (الغيث جـ ١ ص ١٥٠)
١١٣- المستقصى [٥] : (فى الأمثال) : للزمخشرى (الغيث جـ ٢ ص ٣٤٣ ، ايضاح المبهم ص ٥٣/ و)
١١٤- المستوفَى فى تاريخ إربل : لأبى البركات (الغيث جـ ١ ص ٩)
١١٥- معجم ابن سدى : (الغيث جـ ٢ ص ٣٥٢)
١١٦- مغيث الخلق فى اختيار الأحقّ : لإمام الحرمين الجوينى (الغيث جـ ٢ ص ١١٠)
١١٧- مروج الذهب [٦] : للمسعودى (مواضع متفرقة من الغيث)
١١٨- المفصّل : [٧] للزمخشرى (ايضاح المبهم ص ١٢/ ظ)

---

(١) حققه محمد محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة الحلبى ، القاهرة ١٩٣٩ م .
(٢) المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات ، تحقيق علي النجدى ناصف ، وآخرين القاهرة ١٣٨٦ هـ
(٣) مجمل اللغة ، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٤ م .
(٤) نشر منه معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ستة أجزاء .
(٥) حيدر أباد ، ١٩٦٢ م .
(٦) طبع في بولاق سنة ١٢٨٣ هـ .
(٧) طبع فى الإسكندرية بتصحيح حمزة فتح الله ، مطبعة كوكب الشرق ١٢٩١ هـ .

١١٩ - المفتاح [١] : للسكّاكى (الغيث جـ ١ ص ١٩٦ القاهرة، ايضاح المبهم ص ٥/ ظ) .
١٢٠ - المطارحة : لابن إياز (فى النحو) (الغيث ط ١ ص ٧٧)
١٢١ - المعجم الكبير [٢] للطّبرانى (فى الحديث) (الغيث جـ٢ص١٢٠)
١٢٢ - مقامات البديع [٣] : بديع الزمان الهمذانى (الغيث جـ ٢ ص ٥٩)
١٢٣ - مقامات الحريرى [٤] : (الغيث جـ ٢ ص ٤٠٣)
١٢٤ - المُلَخَّص [٥] : لفخر الدين الرازى (الغيث جـ ١ ص ١٢)
١٢٥ - مفرِّج الكُروب [٦] : للقاضى جمال الدين بن واصل (الغيث جـ٢ ص٢٧٣)
١٢٦ - المنصف لابن وكيع [٧] (الغيث جـ ١ ص ١٩٠ ، القاهرة)
١٢٧ - نَثر الدُّرّ فى نقد الشعر [٨] : لابن جُبارة (الغيث جـ١ ص٢٤٣ القاهرة)
١٢٨ - نُصرة الفَترة وعُصرة الفطرة [٩] : للعماد الأصبهانى (تاريخ الدولة السلجوقية ، الغيث جـ ٢ ص ٩)
١٢٩ - نُصرة الثائر على المثل السائر : للصفدى (الغيث جـ١ ص٢٣٥ القاهرة)
١٣٠ - نظم السلوك فى وعظ الملوك : لأبى بكر ابن اللبَّانة (فى نكبة المعتمد بن عباد ، الغيث جـ ٢ ص ٢٦٥) .
١٣١ - وفيات الأعيان [١٠] : لابن خَلّكان (الغيث جـ ٢ ص ١١٠ ، وإيضاح المبهم ص ٢٦/ و) .

---

(١) طبع بالمطبعة الأدبية ١٣١٧ هـ ، القاهرة . وبمطبعة الحلبى ١٩٣٧ م .
(٢) طبع بتحقيق أحمد عبد المجيد السلفى د . ت .
(٣) طبعت بتصحيح الشيخ محمد عبده فى بيروت مطبعة المشرق ١٨٩٨ م وطبعات كثيرة بعد ذلك
(٤) شرح مقامات الحريرى ، دار الفكر ، القاهرة ١٣٢٦ هـ .
(٥) الملخص فى الحكمة والمنطق ، مخطوط مصور بمعهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٨٦٠/ راغب .
(٦) مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب : تحقيق محمد ربيع ، القاهرة ، هيئة الكتاب ، ١٩٧٢ م .
(٧) نشر الجزء الأول منه فى الكويت ، ونشر كاملاً ومحققاً فى بيروت .
(٨) رجح الدكتور شوقى ضيف أنه مفقود .
(٩) مصور بدار الكتب ، تصوير شمسى من باريس ١٣٤٤ . تيمورية تاريخ ٢٢١٩ .
(١٠) نشره إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٨ م .

الطبعة الثانية

1421 هـ - 2001 م

رقم الإيداع :

٢٠٠١/٥٤٤٢

الترقيم الدولى :

977-326-080-1

الناشر:

دار الحضارة للطبع والنشر

طنطا ٠٤٠/٣٣٥٤٠٧٤

التنفيذ الطباعى :

البربرى للطباعة الحديثة

بسيون ٠٤٠/٢٧٣٢٣٧٥


Bibliotheca Alexandrina
0261559